تربية الطفل

نظريات وآراء

دكتورة ثناء يوسف العاصي
أستاذ أصول التربية المساعد
كلية التربية - جامعة طنطا

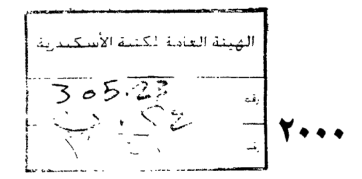




تربية الطفل

نظريات وآراء

دكتورة ثناء يوسف العاصي
أستاذ أصول التربية المساعد
كلية التربية - جامعة طنطا



٢٠٠٠

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الأزاريطة - ت ٤٨٣٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي - ت ٥٩٧٣١٤٦

الكتـــاب: تربية الطفل: نظريات وآراء

الكاتـــب: د. ثناء يوسف العاصى

الطبعـــة: الأولى ١٩٩٤

رقم الإيـداع: ٣٥٦٨ / ٩٤

الترقيم الدولي: 977 - 273 - 053 - 7
I. S. B. N

الناشـــر: دار المعرفـــة الجامعيـــة
٤٠ شارع سوتير الازاريطة
الاسكندرية ت ٤٨٣٠١٦٣

صمم غلاف السلسلة د. نبيل بدران

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لقيت قضية الطفولة على مر العصور، ولاتزال، عناية واهتماما من قبل المربين والباحثين، كما صدرت القوانين والتشريعات الدولية، والقومية، والمحلية، التى تكفل للطفل الحياة والنمو فى الاتجاه السليم، وفى القرن الحالى إزداد الاهتمام بتربية الطفل وذلك ما أظهرته الدراسات النفسية والاجتماعية من أن مرحلة الطفولة المبكرة من حياة الإنسان هى من أهم مراحل حياته، إذ ترسى فيها قواعد شخصيته عموما، ومع زيادة حجم المعرفة والتطور التكنولوجى اللذان أصبحا الحصول عليهما من مستلزمات الحياة فى هذا العصر، فلقد تعددت التجارب والأبحاث حول أفضل الطرق لإستغلال تلك المرحلة أملاً فى الوصول إلى أفضل الطرق لإستغلال طفولة الإنسان فى تعليمه.

إن هذا الكتاب محاولة من المحاولات القليلة للكتابة فى تاريخ تربية الطفل، وهو مأخوذ عن فصول مختارة من رسالتى الماجستير والدكتوراه أثناء دراستى وهما: «دراسة تحليلية لأراء جون اموس كومنيوس فى تربية الأطفال» ١٩٧٩ . كلية البنات جامعة عين شمس «دراسة لتطوير مبدأ استخدام الحواس فى تربية الصغار» ١٩٨٢ ، كلية البنات جامعة عين شمس يحتوى هذا الكتاب على أفكار المربين الخاصة بتربية الطفل وهم «كومنيوس»، «روسو» و «بستالوتزى» و «فروبل» فقد أكد كل من «كومنيوس» و «فروبل» على التربية الخلقية، فبالتربية والتعليم يفصح الإنسان عن نفسه لخير نفسه، ويسالم الطبيعة، ويؤكد المودة بينه وبين الله، ويرفعه التعليم إلى درجة يستطيع فيها أن يعرف نفسه وغيره، ويرفعه إلى حياة نقية طاهرة منزهة عن الرذيلة، ولكى يتم هذا التعليم فمن الواجب أن نعامل كل طفل حسب إمكاناته فلا يصبغ كل الأطفال صبغة واحدة فإن بينهم إختلافات فطرية، مثل هذه الآراء وردت فى مبادئ كومنيوس للتربية. كما أكد «فروبل» الحياة الاجتماعية للطفل، وإلى

أن كمال الأخلاق غير ميسور لمن لايعاشر الناس ويخالطهم. فإنكار الذات ولطف المعاملة والرحمة واحترام آراء الغير كلها فضائل لاتغرس في النفس إلا بالمخالطة والمعاشرة، ومن أجل ذلك ابتدع «فروبل» في رياض الأطفال أنواعاً من اللعب يشترك فيها الأطفال ويتعاونون معاً. كما أكد «روسو» وجوب العناية بحياة الطفل الفردية، ويذهب «بستالوتزى» إلى أن عملية تربية الطفل ماهى إلا عملية تنمية وتفتح لطبيعة الطفل المكنونة فيه، كما تتفتح البراعم من الداخل، ويصف تكوين الأفكار والمعانى فى عقل الطفل عندما تصل إليه عن طريق حواسه وأن للمعرفة أساسها المشاهدة.

إن استخدام الحواس فى تعليم الطفل تلك الفكرة التى أتى بها كل من «كومنيوس» و «روسو» كانت نتيجة للحركة العلمية المبنية على المشاهدة والاستقراء للوصول إلى المعرفة الحقيقية.

لقد أصبحت الاذاعة المسموعة والمرئية من أهم وسائل الاعلام لجماهير الشعب كبيرة وصغيرة ولذا سميت بوسائط الاتصال الجماهيرية Mass Media ولقد جهزت البرامج التعليمية والثقافية لتناسب الأعمار المختلفة من البشر وتتضح أهمية تلك الوسائل «إذ ماتذكرنا أن عملية التعليم عملية تغيير فى الأداء أو تطوير للمهارات والتزود بمهارات وقدرات جديدة مما يمكن الفرد من انجاز مهام جديدة متوقعة منه»، أن تفجر المعرفة فى عصرنا الحديث قد بلغ الذروة وأصبح من ضروريات الحياة فى هذا العصر التعرف بقدر المستطاع على مدى التقدم الثقافى والعلمى والتقنى حتى يمكن أن يعيش الإنسان فى دنيا تتغير فيها الأمور بسرعة مذهلة وتزداد المعرفة وتتراكم لدرجة التفجر.

وهكذا فإن وسائل الاعلام الجماهيرية المستخدمة لتعليم الناس وتثقيفهم والترفيه عنهم كانت بدايتها انتباه الإنسان إلى أهمية استخدام حواسه فى الحصول على المعارف. وعلى وجه الخصوص جهاز التليفزيون الذى أصبح

موجوداً فى كل مكان يرى ويسمع بل أنه يرسل برامجه جذابة ملونة تخلب لب الأطفال وتجهز لهم البرامج التعليمية والتثقيفية بأساليب أخاذه بالإضافة لجديتها. ولقد أصبح البرنامج التعليمى الأمريكى المشهور والمجهز للأطفال الصغار والمسمى «بشارع سمسم» Sesame Street أصبح هذا البرنامج معروفا فى أنحاء كثيرة من العالم بل لقد ترجمت حلقاته إلى لغات عديدة لما فيه من فائدة ومزايا فى تعليم الصغار وهم أما فى منازلهم أو فى المدارس أو فى الأماكن التى يتجمع فيها الصغار كدور الحضانة ومراكز الرعاية النهارية وغيرها يمدهم بالثقافة ويرفه عنهم فى وقت واحد.

إن ماوصلت إليه التكنولوجيا الجديدة من نجاح فى استخدام الأساليب التعليمية المبنية على استخدام حواس الإنسان وبخاصة حاستى السمع والبصر تمتد جذوره إلى النظريات النفسية والتربوية التى ظهرت ابتداء من القرن السابع عشر وتطورت حتى بلغت أبعاداً متنوعة ومتسعة فى القرن التاسع عشر على وجه الخصوص. وبعد أن أخرج «روسو» إلى أوروبا كتابه «إميل» فى أواخر القرن الثامن عشر.

وقد ظهر خلال القرن التاسع عشر مفكرون وتربويون من أمثال «بستالوتزى» و «فروبل» و «هربارت» وغيرهم وكلهم أدلوا بدلوهم فى مجال الحواس ودورها فى تعليم الطفل، وكان لكل منهم مذهبه وأساليبه فى استخدام حواس الطفل وتدريبها فى تعليمه وفى ختام القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين جاءت «ماريا منتسورى» بمذهبها وطريقتها الشهيرة التى لازال معمولا بها فى مدارس أوروبا حتى وقتنا هذا جاءت تلك المربية بأجهزتها التعليمية المبنية على استخدام الحواس النظر والسمع واللمس ونجحت نجاحاً كبيراً إذ صممت أجهزتها وفق مبادئ علمية قامت بتجربتها على العديد من الأطفال المتأخرين عقليا والأسوياء واعتمدت فى تعليم هؤلاء جميعا

مستخدمة حواسهم كوسائل لنقل المعرفة إليهم حتى لقد كانوا يكتبون ويقرأون وهم فى الخامسة من أعمارهم.

وإنى إذ أقدم هذا الجهد المتواضع، وأرجو أن يكون ذا أثر طيب وفائدة مرجوة لدارسى الطفولة بكليات التربية، وكليات رياض الأطفال، وأقسام الطفولة بكليات التربية النوعية.

وأسأل الله أن يوفقنا وإياهم سواء السبيل

د/ ثناء يوسف العاصى

كلية التربية - جامعة طنطا

الفصل الأول
تطور الفكر تجاه حواس الإنسان
ووظيفتها في اكتساب المعرفة

- الاهتمام بتربية الطفل
- أهمية الحواس
- آراء ارسطو فى الحواس
- استخدام الحواس من خلال الفكر الإسلامى
- آراء ابن سينا
- آراء اخوان الصفا
- الواقعية الحسية واستخدام الحواس

الاهتمام بتربية الطفل:

تعتبر دراسة الطفولة والاهتمام بها من أهم المعايير التى يقاس بها تقدم المجتمع وتطوره. ولاشك أن الاهتمام بالأطفال جزء من الطبيعة البشرية السليمة التى قد تختلف باختلاف المجتمعات فى درجتها ومداها تبعا لاختلاف المستويات الاقتصادية والحضارية والثقافية بين هذه المجتمعات ولكنها عامة فى أصل الوجود فطر الله الناس عليها. وقد لاتختلف الكائنات الحية عن الإنسان كثيراً فى رعاية الأبناء والحفاظ عليها وبخاصة فى الفترات المبكرة من الحياة[1].

وتقوم الدعائم الجوهرية لحياة الإنسان على خواص طفولته المبكرة منها والمتأخرة، ففى هذه الفترة يتكون الضمير وأغلب الاتجاهات النفسية وفيها يتكيف الفرد مع بيئته/ ولهذا كانت الطفولة ومازالت ميدانا خصباً تتقاسمها علوم مختلفة. ولهذا أيضا اهتم بفهمها ودراستها الساسة الذين يحاولون أن يوجهوا الجيل الناشئ نحو هدف خاص معين يرون فيه المثل الأعلى للمواطن الصالح، واهتم بفهمها ودراستها علماء التربية والمدرسون والآباء ليتخذوا من مميزات الطفولة أساسا يسيرون بهديه فى تنشئة الأطفال.

كما اهتم بالطفولة أيضا الباحثون الاجتماعيون، والأطباء، وعلماء النفس، كل يحاول أن يفهم عن الطفل نواحى حياته المختلفة ليقيم بذلك الأسس النظرية التى تقوم عليها حياة الطفل./

وهكذا أصبح الطفل مركزاً للدراسات التربوية والاجتماعية والنفسية والعضوية والتشريحية. حتى أصبح طفل العصر الحاضر أصح جسما ونفسا وأسعد إجتماعيا من أطفال العصور الماضية ولذلك سمى هذا العصر بعصر الطفل[2].

وفى الجمعيه العامة للأمم المتحدة فى الجلسة المعقدة فى ٢٠ نوفمبر عام

١٩٥٩ صدر إعلان عن حقوق الطفل وهى كالآتى[٣]:

١- يتمتع الطفل بكل الحقوق المذكورة فى هذا الإعلان. ويمنح هذه الحقوق كل الأطفال دون أى استثناء أو تفرقة أو تمييز بسبب الجنس أو اللون أو النوع أو اللغة أو الدين أو الرأى السياسى أو غيره أو الأصل القومى أو الاجتماعى أو الملكية أو المولد أو أية حالة أخرى له أو لأسرته.

٢- يتمتع الطفل بحماية خاصة ويمنح عن طريق القانون من الوسائل والتسهيلات التى تتيح له أن ينمو جسميا وعقليا وخلقيا وروحيا واجتماعيا نمواً صحيحاً وسوياً.

٣- الطفل عند مولده الحق فى اسم وجنسية.

٤- يتمتع الطفل بمزايا الأمن الاجتماعى، وله الحق فى أن ينمو وينشب فى صحة جيدة، ويجب من أجل هذا أن يحاط هو وأمه: رعاية وحماية خاصتين، بما فى ذلك الرعاية المناسبة قبل الولادة وبعدها. وللطفل الحق فيما يناسبه من غذاء ومسكن وتسلية وخدمات طبية.

٥- يعطى الطفل المعوق جسميا أو عقليا أو اجتماعيا المعالجة والتربية والرعاية اللازمة تبعا لحالته الخاصة.

٦- يحتاج الطفل من أجل نمو شخصيته نموا كاملا أن ينمو فى جو من العطف والأمن المعنوى والمادى. ولايجوز فيما عدا الحالات الاستثنائية أن ينفصل الطفل عن أمه. ومن المرغوب فيه أن تنفق الدولة وتبذل المعونات اللازمة لإعالة الأطفال فى الأسر العديدة الأفراد.

٧- من حق الطفل أن يتلقى تعليما مجانيا وإجباريا على الأقل فى المراحل الأولى، ويجب أن يعطى تعليما يرقى بثقافته العامة ويصبح عضوا نافعاً فى المجتمع.

٨- يجب أن يكون الطفل فى جميع الظروف أول من يتلقى الحماية والمعونة.

٩- يجب حماية الطفل من كل أشكال الإهمال والقسوة والإستغلال. ولا يجوز السماح بتشغيله قبل أن يبلغ حداً أدنى من العمر ولايجوز السماح له بأن يتولى عملا أو وظيفة تضر بصحته أو تعليمه أو تعيق نموه الجسمى أو العقلى أو الخلقى.

١٠- يجب حماية الطفل من ممارسة الأعمال التى من شأنها أن تعزز التمييز العنصرى أو الدينى أو سائر أنواع التمييز ويجب أن يربى بروح التفاهم والتسامح والصداقة بين الناس والسلام والأخوة الشاملة/والإدراك التام بأن يكرس طاقته ومواهبه لخدمة أقرانه.

كما أنه بعد الحرب العالمية الثانية كونت هيئة الأمم المتحدة منظمة دولية لرعاية الأطفال وخصوصا فى الدول التى مزقتها الحروب وسميت هذه باليونيسيف UNICEF. كما كانت الطفولة موضع اهتمام بعض المنظمات الدولية الأخرى التابعة لهيئة الأمم المتحدة مثل منظمة الأنرا UNRRA وهى خاصة بغوث اللاجئين ثم هيئة الصحة العالمية WHO. كما عقدت عدة مؤتمرات دولية من المتخصصين فى شئون الطفولة إبتداء من عام ١٨٨٣ حيث عقد مؤتمر فى فرنسا لبحث مايخص مصلحة الأطفال(٤).

- وتزايد الاهتمام فى مصر فى السنوات الأخيرة بالدراسات المحلية المتعلقة بالطفل فى مراحله المختلفة مايبشر بالخير ويبعث على التفاؤل والأمل فى المستقبل(٥). وقد اشتمل دستور مصر على مواد خصصت للأسرة باعتبارها النواة الأساسية للمجتمع/ وعلى أساس أن المجتمع المتكامل السليم إنما يقوم على الأسرة المتكاملة السليمة وعلى الإتجاهات الصحيحة فى تربية الأطفال. وقد أوضح الميثاق الوطنى المسئولية تجاه الأجيال القادمة لتى ينبغى أن نهيئ لها أسباب الحياة الكريمة من أجل مستقبل مشرق، وهذا المعنى يتضح من قوله أن

الطفولة صانعة المستقبل ومن واجب الأجيال العاملة أن توفر لها كل مايمكن لها من تحمل مسئولية القيادة بنجاح[٦].

وقد عنى رجال التربية والتعليم بتهيئة الفرص المناسبة للطفل وقدموا له من النشاط العلمى والعملى ما يساعده على حسن استغلال قدراته ومواهبه واستعداداته على أن يكون فى ذلك عون للطفل على الترقى بما يهيئه لمراحل النمو التالية[٧]، وكان لابد من وضع برامج وخطط خاصة بالتعليم تناسب فترات معينة من العمر، كما أن فن تربية الأطفال يحتاج كسائر الفنون إلى عبقرية[٨].

إن قضية الطفل من حيث رعايته وتربيته والحفاظ على حقوقه – ليست حديثة العهد – ولكن هذه القضية قديمة قدم التاريخ الإنسانى، وفى الحقيقة فإنه من الصعب القول على وجه التحديد متى بدأت التربية، فالتربية قديمة قدم الحياة ذاتها كما أنها سبقت تاريخ الإنسان إذ أنه حتى حيوانات عصر ما قبل التاريخ شأنها فى ذلك سلالة الإنسان نقلت إلى صغارها بطريقة إرادية أو غير إرادية ما يمكنها من مواصلة الحياة وكيف تنجو من الأخطار وتحصل على الطعام وتهاجم الأعداء[٩].

«والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون»[١٠]. هكذا قال تعالى فى كتابه المجيد لقد خلق الإنسان مزوداً بأدوات المعرفة وهى الحواس والعقل، إذ بها يحصل الإنسان عليه العلم الذى أمرنا الله بالحصول عليه فى أول آية أنزلت على محمد على صلوات الله وسلامه، والتى قالت «اقرأ باسم الذى خلق. خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم»[١١].

لقد أرادت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يزود الإنسان والحيوان بكل

الإمكانات والوظائف الضرورية للحياة والبقاء، فزودهما بالإضافة إلى الدوافع والانفعالات بأجهزة يدركون بها العالم الخارجي ومايدور حولهم من أحداث، كما يدركون بها عالمهما الداخلي وما يحدث فيه من متغيرات. «والإدراك الحسي وظيفة هامة في الحياة فيه يدرك الكائن الحي ما يؤذيه وما يفيده، ويتم ادراكنا للعالم الخارجي بالحواس الظاهرة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس، كما يتم عن طريق الاحساس الداخلي ادراكنا بما يحدث في أبداننا كالجوع والعطش مما يجعلنا نقوم بالسلوك الملائم سواء لظروف العالم الخارجي أو لسد النقص في أنسجة البدن وإعادته إلى حالته من الاتزان العضوى والكيميائي»[١٢]. والله سبحانه وتعالى قد خص الإنسان بوظيفة إدراكية أخرى هامة يتميز بها عن سائر الحيوانات وهي العقل الذى يستطيع به أن يستدل على المبادئ العامة من الملاحظات والتجارب. فالحواس والعقل وسيلتان يستعين بهما الإنسان في الادراك والمعرفة. يولد الطفل لايعلم شيئا ثم لايلبث أن تبدأ حواسه في أداء وظائفها فهو يتأثر بما تقع عليه من مؤثرات خارجية محدثة فيه احساسات مختلفة هي الأساس الذى يتكون فيه فيما بعد ادراكه ومعرفته بالعالم الخارجي[١٣].

وقد اهتم القرآن بذكر السمع والبصر كأداتين من أدوات الاحساس وذلك لأهميتهما القصوى في عملية الادراك الحسي ويأتي ذكر السمع في القرآن قبل البصر في كثير من الآيات وذلك فيما يبدو لعدة اعتبارات.

إن السمع أهم من البصر في عملية الإدراك الحسي والتعلم وتحصيل العلوم فمن الممكن للإنسان إذا فقد بصره أن يتعلم اللغة ويحصل العلوم ولكنه إذا فقد سمعه تعذر عليه تعلم اللغة وهي من أهم أدوات التفكير وتحصيل العلوم وحاسة السمع تعمل عقب الولادة مباشرة حيث يستطيع الوليد أن يسمع الأصوات عقب ولادته مباشرة، بينما يحتاج إلى فترة من

الزمن لكى يستطيع أن يرى الأشياء بوضوح وحاسة السمع تؤدى وظيفتها باستمرار دون توقف بينما حاسة البصر قد تتوقف عن أداء وظيفتها إذا اغمض الإنسان عينه وحاسة السمع تسمع فى كل الأوقات سواء فى الضوء أو فى الظلام وحاسة البصر لاترى إلا فى الضوء. وقد أشار القرآن إلى وجود أعضاء الحس الخاصة بادراك الألم فى بشرة الإنسان[١٣]، وأشار القرآن أيضا إلى حاسة اللمس كأداة يستعين بها الإنسان لتحسس الأشياء للتعرف عليها[١٤]. يقول الحق تباركت أسماؤه: «ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين»[١٥].

لقد استخدم الإنسان أسلحته المعرفية حواسه وعقله منذ بدء الخليقة. فالإنسان البدائى استخدم حواسه فى الحصول على المعرفة الضرورية له، معرفة حصوله على غذائه ومأواه ومعرفة كيفية اتقاء شر الطبيعة ومافيها من أخطار له. استخدم سمعه وبصره وحواسه الأخرى فى كل ذلك، ودرب صغاره على استخدام تلك الحواس دون قصد واضح فى ذهنه فقد كانت أفعاله وأعماله ومنجزاته فطرية أوحت إليه بها طبيعته التى وهبها الله له «ويمكن أن نعتبر نشاطه تقليداً فقلد الولد أباه وتعلمت البنت واجبات المنزل عن طريق تقليد أمها»[١٦].

إلا أنه بنضوج العقل البشرى وتقدمه فى سبيل المعرفة تم ظهور الحضارات القديمة بدأ يتبين أن الإنسان تعمد استخدام حواس الصغار فى حصولهم على المعرفة فعلى سبيل المثال «فى مصر الفرعونية كان الأطفال يعطون اللعب التى تنمى وتدرب حواسهم فكانت لبعض اللعب «شخاليل» معدنية إذا حركت اللعبة أحدثت أصواتا جذابة تلفت انتباه الصغار»[١٧].

«وفى عهد الرومان كانت تصنع لعبا من العظم على هيئة حروف الهجاء وتعطى للأطفال ليتحسسوها بأصابعهم وينطقون الحرف مع أمهاتهم، ولعل

تلك أولى الوسائل التعليمية التى صنعها الإنسان لتعليم الأطفال عن طريق استخدام الحواس»[١٨]

وهكذا فالمتتبع لتاريخ الثقافة الإنسانية يمكنه أن يعرف كيف أن المفكرون على مر تاريخ الحضارة الإنسانية كرسوا تفكيرهم فى أحسن السبل والأساليب لاستخدام حواس الإنسان فى تعليمه وأن العديد منهم قدم النظريات والآراء حول الحواس الحواس وكيفية توصيلها المعرفة إلى العقل، والدور الذى يلعبه العقل فى الحصول على المعرفة عن طريق الحواس.

لقد آمن بعض المفكرين والفلاسفة أن الإنسان يولد ولديه المعرفة كامنة فى نفسه وأن عملية التربية هى تلك التى تساعد الإنسان على إخراج تلك المعرفة وتذكر الإنسان بها وكان الفيلسوف اليونانى «أفلاطون» من أنصار هذا المذهب[١٩]. إلا أن معظم المفكرين ابتداء من «ارسطو» قالوا بأن الإنسان يولد وعقله خال من كل معرفة وأن حواس الإنسان التى زوده الله بها هى النوافذ التى تدخل منها المعارف إلى العقل أى أن المعرفة مكتسبة وليست فطرية. ولم يفت المفكرين فى الإسلام هذا الأمرفهاهو «ابن سينا» يكتب عن الحواس وعملها ودورها الرئيسى فى الادراك الحسى للحصول على المعرفة. وتعتبر آراء «ابن سينا» من أنضج الآراء فى هذه الناحية، فلقد أخذ على عاتقه حلها وتوضيحها وتفصيلها وتعمق فى دراستها وتعد نظريات «ابن سينا» فى شرح عملية الاحساس وبيان عناصره المختلفة وتشريح الدماغ والأعصاب الحسية عملا رائداً فى هذا المجال، فهو يمتاز على من سبقه من فلاسفة الإسلام إذ أنه أظهر علم النفس القديم فى أوضح صورة وأكملها. وأثر تأثيراً كبيراً فى أفكار الفلاسفة طوال القرون الوسطى»[٢٠]

وعلى مر السنين ظهرت النظريات المختلفة الخاصة بعمل الحواس فى عملية تعلم الإنسان وكيفية وصولها إلى العقل ثم وظيفة العقل وأسلوبه فى

الاحتفاظ بالمعرفة. وابتدعت الوسائل التعليمية المبنية على استخدام الحواس لتعين الأطفال على التعلم وتعين المعلمين على التعليم. «وفى عصر النهضة قرأت أوربا المؤلفات التى نقلت إليها عن طريق المسلمين بالأندلس كما أستفاد أهلها بعلوم المسلمين التى وصلتهم عن نفس الطريق ولقد خصص العالم «برايفولت» Briffault فى كتابه The making of Humanity جزءاً من مؤلفه لشرح كيفية انتقال طريقة الاستقراء وطريقة التجريب العلمى واستخدام الحواس فى البحث عن الحقيقة عند العرب المسلمين لعلماء أوروبا»[٢١]. ثم كان عصر الاكتشافات العلمية فى القرون التى تلت عصر النهضة وتمخض عن كل هذا ظهور الحركة الواقعية الحسية Sense Realism فى التربية، وكان «جون أموسى كومنيوس» Comenius أهم المفكرين الذى برزوا فى هذه الحركة التربوية وقد وضع «كومنيوس» تطبيقا لمبدأ أهمية استخدام الحواس فى تربية الصغار، وضع مؤلفه المشهور عالم الصور Orbis Pictus الذى اعتمد فيه على الصورة والكلمة فى تعليم الصغار[٢٢]، ولذا كان كتابه أول كتاب استخدم الرسوم لشرح معانى الكلمات وكان ذلك ابتكارا جليلا»[٢٣] وقد تبع «كومنيوس» مربون ومفكرون آخرون مثل «لوك» Locke و «روسو» Rousseau، وبستالوزى Pestalozzi و «هربارت» Herbart و «فروبل» Froebel و «منتسورى» Montessori مؤكدين - كل بنظريته التربوية - أهمية مبدأ استخدام الحواس فى تربية الصغار وكانت لآرائهم أهمية كبيرة فى نشأة وتطوير الوسائل السمعية البصرية تستخدم فى التعليم على نطاق واسع ومدروس ومتنوع فى نقل العلم والمعرفة إلى الكبار والصغار على حد سواء.

أهمية الحواس:

لقد اتفق المفكرون فى الحضارات المختلفة على مبدأ هو أن الحواس هى أبواب العقل وهى التى تجلب للإنسان المعرفة لذلك اهتموا بإبراز أهميتها فى

حصول الإنسان على المعرفة واستمر التفكير فى الكيفية التى يمكن استغلال الحواس بواسطتها لتكون فى خدمة التربية. «وتربية الصغار على وجه الخصوص إذ يجب أن يشجع الأطفال على استعمال حواسهم من سمع وبصر وشم وذوق ولمس وتدريبها منذ الطفولة.إن أول شئ يجب أن نعنى به هو تربية هذه الحواس وتهذيبها بحاسة اللمس يستطيع الطفل أن يشعر بحرارة الأجسام وبرودتها ونعومتها وخشونتها ... الخ. فالحواس هى أبواب المعرفة والأفكار هى نتائج لعمل الحواس»[٢٤].

«ولقد حاول الفلاسفة اليونانيون دراسة الحواس بالظواهر النفسية المختلفة كالإحساس والادراك الحسى والعقل فخلفوا آثاراً لها أهمية كبيرة فى هذه الناحية وكان لها تأثير عظيم على الدراسات النفسية فيما بعد»[٢٥] «واقتصر العلماء اليونانيون بوجه عام على دراسة الظواهر النفسية من ناحيتها الشعورية المحضة مستقلة عن العوامل الفسيولوجية. فدرسوا النفس وقواها ووظائفها دون أدنى اهتمام بدراسة الجهاز العصبى وتركيب الدماغ، لذلك نجد كتب العلماء القدامى خالية تماما من التعرض لهذه النواحى التشريحية والفسيولوجية التى يهتم بها العلماء المحدثون، فاكتفوا فى أبحاثهم - النفسية - بالإشارة إلى وجود علاقة وثيقة بين الظواهر النفسية والانفعالات البدنية، وكانوا يدرسون المسائل التشريحية فى الطب والتاريخ الطبيعى للحيوان ولكنهم لم يحاولوا الاستفادة منها فى أبحاثهم النفسية»[٢٦].

آراء ارسطو فى استخدام الحواس:

فإذا أخذنا «أرسطو»[٢٧] كمثل نجد أنه فى كتاب النفس يبحث بالتفصيل بعض المسائل عن الحس والمحسوس[٢٨]. ويكتب باستفاضة فى البصر والسمع والشم والذوق واللمس. فدراسة النفس عنده تدخل فى العلم الطبيعى إذ أنه يقول: «إن دراسة النفس[٢٩] تعين على دراسة الحقيقة الكاملة خاصة فيما

يتعلق بالموجودات الطبيعية لأن النفس على وجه العموم هى مبدأ الكائن الحى، وتعتبر دراستها دراسة للحياة وظواهرها. ويعرف أرسطو الاحساس Sen-sation بأنه فعل النفس بمشاركة العضو الحاس المعد لإدراك المحسوس كالعين والأذن فلا يمكن أن يقال على فاقد العينين أن له قدرة على الابصار ذلك أن هذه القدرة مرتبطة بالعين كعضو له»[٣٠].

ويذكر أرسطو أن الاحساس لايتم بدون جسم وكذلك الفكر ولايمكن أن تمارس النفس وظائفها بدون البدن. وعلى ذلك فإن جميع أحوال النفس توجد فى الجسم فعندما يحدث أى انفعال فى النفس يحدث معه تغير جسمى. وقد أجمل «ارسطو» ما أجمع القدماء عليه من تمييز الكائن الحى عن غير الحى فى صفتين هما: الاحساس والحركة وأن الاحساس طريق المعرفة»[٣١].

«لقد أجمع القدماء على أن الكائن الحى يعرف ويدرك الموجودات بالاحساس فقد خضعوا كلهم لمبدأ عام واحد هو أن الشبيه يدرك الشبيه»[٣٢]، ولذلك فقد جعلوا النفس تتألف من العناصر التى تدركها فمنهم من قال بعنصر واحد ومنهم من قال بعدة عناصر، وقال بعضهم إنها جسمانية وقال آخرون أنها لاجسمانية ومنهم من جمع بين الجسمانية وغير الجسمانية. وقد تصور كل فريق من هؤلاء طبيعة النفس حسب رأيه فى طبيعة العناصر حتى يجعل النفس قادرة على ادراك الموجودات»[٣٣].

ويعرف أرسطو الاحساس فيقول: أنه لايوجد كائن قادر على الحس بدون أن تكون له نفس. ويتساءل لماذا لاتكون أعضاء الحس هى نفسها موضوعات الاحساس أى المدركات الحسية؟. ويضيف أرسطو أن هذا قد يكون أقرب إلى الصحة عند من يجعلون الحواس مؤلفه من عناصر الأشياء التى هى موضوعات الادراك الحسى ويقول: «إن قوة الحس لاتوجد فى العضو الحاس بالفعل بل

بالقوة فقط. فهناك احساس بالقوة واحساس بالفعل ومحسوس بالقوة ومحسوس بالفعل. وعلى هذا فالاحساس بالفعل يتوقف حتما على حضور المحسوس إذ أن حضوره ضرورى لتتم عملية الاحساس. والمحسوسات جزئية وخارجية وتتوقف على إرادة الشخص فليس من الممكن أن يكون وجود المحسوسات نتيجة لاحساسنا بها فقط دون الرجوع إلى الشئ الخارجي».

وينهى «أرسطو» كلامه فى هذا الموضوع بقوله «وأن ملكة الحس هى القوة كما أن ملكة المحسوس هى العقل فتنتقل القوة من حيث أنها ليست شبيهة بالمحسوس حتى إذ تم الانفعال أصبحت شبيهة بالمحسوس واتصفت بوصفه».

ويذكر «أرسطو» المحسوس له ثلاثة أنواع. نوعان يدركان بالذات والثالث بالعرض، والأولان أحدهما المحسوس الخاص بكل حاسة وثانيهما المحسوس المشترك بين الحواس. فالأول خاص باللون كالبصر وبالصوت كالسمع أو المحسوسات المشتركة كالحركة والسكون والعدد والشكل والمقدار فإننا ندركها بعدة حواس فى وقت واحد، أما النوع الثالث المحسوس بالعرض فمثلا نقول أن هذا الرجل الأبيض هو ابن دياريس، فالموضوع المحسوس sensible object هو ابن دياريس Diares وأما الأبيض فهو متعلق بالمحسوس بالعرض فندركه بالعرض أيضا لأن الموضوع المحسوس (ابن دياريس) قد اتحد بالأبيض عرضاً(٣٤).

وعالج «أرسطو» المحسوسات الخاصة Special sensibles وقوى الحس الخاصة بها (الحواس) فتناول قوة الابصار وموضوع الرؤية أى الاحساس البصرى والمرئى المحسوس ويشير إلى الحواس الخمس وهى البصر والسمع والشم والذوق واللمس ويقابلها من حيث المحسوسات الرؤية والصوت والرائحة والطعم والملمس على التوالى ويضع أرسطو قاعدة عامة أنه يوجد وسط medium بين المحسوس وعضو الحس ونلاحظ أن موقفه قلق بالنسبة لهذا

الوسط فيما يتعلق باحساس الذوق واللمس فهو تارة يقول: أن الذوق واللمس لايخضعان لهذه القاعدة ومن ثم فلابد أن يدرك الشئ المذاق أو الشئ الملموس عن طريق وسط بينهما وبين قوتى الحس الخاصتين بهما، وتارة أخرى يقول: إن الذوق واللمس يخضعان لنفس القاعدة(٣٥).

ويفسر لنا «أرسطو» كيفية عمل الحواس فيقول عن حاسة البصر: لايتم ابصار الألوان إلا مع وجود الضوء، والضوء هو فعل الوسط الذى بدونه لايتم الابصار، ويشير إلى حاسة السمع فيقول: لكى يكون هناك سمع يجب أن تتوافر ثلاثة شروط: ١- مايحدث الصوت. ٢- الوسط الذى ينتقل فيه الصوت إلى السمع. ٣- أداة السمع أى الأذن، ولم يتم سمع بدون هذه الشروط الثلاثة. فليس الصوت عند أرسطو حركة الهواء أو الماء بل هو صفة تنتقل بواسطة الهواء فالصوت نفسه هو الذى يتلقاه الهواء عن الاجسام الرنانة ثم ينقله إلى الأذن، ويكون الجسم رنانا إذا كان قادراً على تحريك كتلة من الهواء تظل متصلة حتى تصل إلى قوة السمع، فإذا تحرك الهواء الخارجى المقابل للأذن تحرك الهواء الموجود بداخل الأذن. ويقول أرسطو عن الشم: إن احساس الشم ليس دقيقا عند الإنسان بل قد يكون لديه أضعف مما هو عند كثير من الحيوانات ذلك أن احساس الإنسان بالروائح ضعيف ويحدث الشم فى وسط وهو الهواء والماء لا بالملامسة بين المشموم وعضو الشم، والإنسان لايشم بدون تنفس»(٣٦). أما الذوق فإن الشئ المذاق نوع من الملموس وهذا سبب فى أنه لايدرك بالجسم المتوسط الغريب والذوق لايحتاج إلى وسط الهواء والماء، مثل المرئيات والمسموعات، أما عن اللمس فهو أكثر الحواس دقة فى الإنسان ويتساءل أرسطو فى بداية كلامه عن اللمس وعما إذا كان الاحساس اللمسى يرجع إلى علة حواس تختص به؟ وعما إذا كان يحتاج إلى وسط هو اللحم؟ أم أنه يتم بطريقة مباشرة؟ وهو يرد على تساؤله قائلا: «إن كل احساس هو احساس بتضاد واحد، فالتضاد بالنسبة للبصر مثلا هو البياض

والسواد، وبالنسبة للسمع الحاد والغليظ، وللذوق المر والحلو، أما الملموسات فعلى العكس أو أنها تشمل متضادات كثيرة يدرسها اللمس فى وقت واحد كالحار والبارد واليابس والرطب والصلب واللين بينما يكون لكل حاسة موضوع واحد خاص بها، نجد للمس مواضع متعددة. ويذهب ارسطو إلى أن اللحم المتحد اتحاد طبيعيا بالكائن الحى هو وسط لقوة اللمس وبذلك يؤيد بأنه لاتماس أبدا بين المحسوس وعضو الحس إلا فى وجود الوسط ويشير بهذا إلى أن حاسة اللمس ترجع إلى الاعصاب المنبثة فى الجسم الحى على عمق معين بعد الطبقة الأولى من اللحم»[٣٧].

وإذا كان لكل محسوس معين عضو خاص به، فهل يكون للمحسوسات المشتركة عضو خاص بها وينفى «ارسطو» وجود حاسة سادسة، ولكنه يفترض وجود نوع من الاحساس يجمع بين الاحساسات الخاصة ويؤلف بينها بصدد موضوع واحد خارجى فإنه يقابل الموضوع الذى يشتمل على عدة احساسات كالحركة والمقدار والشكل فيدركها فى واحدة باعتبار أنها تتعلق بموضوع واحد فإذا أخذنا تفاحة فسنجد أنها تشتمل على عدة محسوسات إذا هى مرئية بالبصر من حيث لونها وشكلها وهى ملموسة باليد من حيث حجمها وصلابتها وبرودتها وسخونتها وهى مشمومة بحاسة الشم من حيث أن للتفاح رائحة خاصة وهى مذاقة أيضا باللسان. فالذى يجمع بين هذه الاحساسات كلها هو الادراك الحسى الحقيقى الذى نطلق عليه اسم التفاحة فلابد إذن أن يكون الحس المشترك هو الذى يدرك المحسوسات المكونة للتفاحة فهذه أولى وظائف الحس المشترك. وقد نقرن احساسا معينا باحساس آخر لكى ندرك طبيعة الموضوع - موضوع معين - فإذا جعلنا مادة السكر مثلا موضوعا لادركنا الحسى والجمع بين الاحساس البصرى وبين احساس الذوق هو موضوع واحد هو السكر وهو يرجع إلى الحس المشترك وكذلك بالحس المشترك نستطيع أن نحكم على التغاير الموجود بين الاحساسات الخاصة فندرك

أن اللون غير الطعم أو الصوت أو الرائحة، وإذا غابت المحسوسات عنا ظلت صورها موجودة فى أعضاء الحس ويرجع هذا إلى الحس المشترك الذى هو كخزانة للصورة المحسوسة الآتية من الحس، إذن فمن وظائف الحس المشترك إن كل حاسة تدرك محسوساتها[٣٨].

«أما عن نظرية «أرسطو» فى الحس الباطن فيقول: «إن تأثير المحسوسات الخارجية فى أعضاء الحواس الظاهرة يظل باقيا فيها حتى بعد انتهاء الاحساس وغياب المحسوس»، ويدلل على ذلك بعدة أمثلة منها المثال الآتى: «حينما تنظر إلى لون ما مدة طويلة ثم ننظر إلى شئ آخر فإنه يبدو لنا فى نفس اللون. وكذلك حين نغمض أعيننا بعد النظر إلى الشمس فإننا نظل نراها فى لونها الحقيقى أول الأمر ثم تصبح قرمزية ثم ارجوانى ثم سوداء وأخيراً تمحى صورة الشمس. وكذلك يحدث فى حاسة السمع لايسمع الإنسان بعد الأصوات الشديدة، وتضعف قوة الشم بعد الروائح القوية». من هذا يتضح أن الانفعالات القوية التى يحدثها المحسوس الخارجى تبقى بعد زوال المحسوس وتصبح هى نفسها موضوعا للادراك الحسى»[٣٩]. فشرط حدوث الاحساس الباطن هو بقاء الانفعالات الحسية فى أعضاء الحس الظاهر فإذا وصلت هذه الانفعالات الحسية أو الحركات الحسية كما يسميها «ارسطو» إلى عضو الحس الباطن فإنها تنقل إليه صورة المحسوس فيحدث الاحساس الباطن وقد يعوق هذه الحركات الحسية عن الوصول إلى عضو الحس الباطن بعض العوائق مثل انشغال الحواس الظاهرة باحساسات أخرى أو انشغال الفكر فتظل هذه الحركات الحسية كامنة فى أعضاء الحس الظاهرة تتحين لفرص للظهور فى الشعور والوصول إلى عضو الحس الباطن، فالحركات الحسية الباقية موجودة فى النفس بالقوة وهى طليقة تتحرك فى الدم الموجود فى أعضاء الحس الظاهرة فتصل إلى عضو الحس الباطن وهو القلب فتنقل إليه الحركات الحسية وتحدث فيه الاحساس الباطن.

هذه هى نظرية «أرسطو» فى كيفية حدوث الانفعال فى الحس الباطن فهو انفعال ناتج عن وصول الانفعالات الحسية الموجودة فى أعضاء الحس الظاهرة إلى عضو الحس الباطن، أى أن موضوع الحس الباطن هو الانفعالات الحسية الحادثة فى أعضاء الحس الظاهرة، أو بمعنى آخر هو احساسات الحواس الظاهرة[٤٠].

«وقد اقترح «ارسطو» مراحل تعليم تتناسب مع طبيعة نمو الفرد وقسمها إلى ثلاثة مراحل وهى مرحلة النمو الجسمى، مرحلة النمو العقلى، أما المرحلة الثالثة فينمو فيها العقل نمواً يمكن الفرد من التفكير. وتربية الطفل تعتمد على ثلاثة عوامل وهى: طبيعة الفرد Nature، عادات الفرد Habit، عقل الفرد Reason وتنتهى عملية التربية بالفهم والمعرفة ثم التأمل والتفكير»[٤١].

مما سبق اتضح لنا أن الفيلسوف «أرسطو» فى العصر اليونانى القديم فكر فى أهمية الحواس وشرح كيفية عملها وبين أنه بدونها لن تصل أى معرفة إلى الإنسان[٤٢]

تربية الحواس من خلال الفكر الإسلامى.

كذلك كانت للحضارة الإسلامية معايير وقيم تختص بتربية الصغار وكان لبعض فلاسفتهم فكرة عن وظيفة الحواس فى هذه التربية. فلقد اهتم مفكروا الإسلام منذ البداية بأمثل الطرق لتربية صغارهم تربية تتمشى مع تعاليم القرآن الكريم.

إن الكتاب والمفكرين المسلمين على مر تاريخ الحضارة الإسلامية عنوا قولا وفعلا بنشئون تربية صغارهم، ولقد جاءت كتابات عدد كبير منهم آراء ناضجة واعية ومذاهب تربوية متكاملة. ولقد ورد فى القرآن الكريم بعض الآيات عن النفس والروح وكيفية خلق الابدان ومنحها الروح والقوى

النفسية المدركة وغير ذلك مما يتعلق بالنفس الإنسانية ولاشك أن هذه الآيات قد آثارت التفكير عند المسلمين فتكونت عندهم فى هذا الشأن آراء كثيرة قال تعالى: «الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون»[٤٣]. هذه الآيات تبين كيفية خلق الإنسان وأهمية حواسه فى المعرفة. كما قال تعالى: «والله أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون»[٤٤] صدق الله العظيم. هاتان الآيتان وأمثالهما تبين أن فى الإنسان قوى مدركة للأشياء ويتم ادراكنا للعالم الخارجى بالحواس الظاهرة وهى السمع والبصر والشم والذوق والحواس الجلدية (اللمس) وكذلك القلب أى العقل، فالحواس والعقل وسيلتان يستعين بهما الإنسان فى الإدراك والمعرفة[٤٥]. «وإن المعرفة الإنسانية تعتمد على هذه القوى أى أنها اكتسابية، ففى القرآن إذا توجد نواة نظرية المعرفة التى سنجدها مفصلة عند الفلاسفة المسلمين، وحاولوا تفسير ظاهرة الادراك فأدلوا بآراء فى كيفية حدوث الادراك وفى أنواع المدركات»[٤٦].

لقد فطن المسلمون منذ عصورهم الأولى إلى أن هناك صلة وثيقة بين الجسم والعقل وقد عبروا عن هذه الصلة بالحكمة القائلة «العقل السليم فى الجسم السليم» وعلى ذلك كانت عنايتهم بتربية العقل تصحبها أيضا عنايتهم بتربية الجسم وبالعلم يزداد فهم الإنسان وقدرته على الادراك[٤٧]. «وكان العرب متأثرين بالكتب اليونانية القديمة وكان لها تأثير فى دراساتهم النفسية وخصوصاً كتاب النفس وكتب الطبيعيات الصغرى وأهمها الحس والمحسوس والذكر والتذكر والنوم واليقظة «لأرسطو» وكتاب الحس والمحسوس «لثيوفرسطس» Theophrartes. كما كانت الثقافة الفارسية والهندية فى التفكير الإسلامى أمراً لايغفل عنه فقد عرف العرب الديانات الفارسية

والهندية وكثيراً من آرائهم المتعلقة بنظرية المعرفة»[٤٨] وموضوع دراسات المفكرين المسلمين وغيرهم ينحصر فى البحث فى ماهية النفس وكيفية علاقتها بالبدن وبيان قواها المختلفة وعلى الأخص القوى المدركة الحسية والعقلية.

آراء ابن سينا فى استخدام الحواس:

يعتبر «ابن سينا» خير مثال لفلاسفة المسلمين الذين تكلموا عن الحواس والادراك الحسى، ومع أن «ابن سينا» استعان كثيراً بآراء «أرسطو» إلا أنه قد استفاد أيضا من مصادر أخرى لم يستفد منها «ارسطو» وعلى الأخص الدراسات الطبية والتشريحية لعلماء القرون التالية لعصر «ارسطو» ويعتبر «ابن سينا» المثال الوحيد الكامل لعلم النفس القديم، وقد أثر تأثيراً كبيراً على أفكار فلاسفة القرون الوسطى مثل سان توماس الاكوينى Saint Thomas D'Aguin وروجر باكون Roger Bacon وامتد أثره إلى ديكارت Descartes فى العصور الحديثة[٤٩].

قسم «ابن سينا» الاحساس إلى احساس ظاهر يحدث فى الحواس الخمس الظاهرة واحساس باطن يحدث فى الحواس الخمس الباطنة. ويقول ابن سينا الاحساس الظاهر هو «ادراك الشئ الذى تكون حقيقة متمثلة عند المدرك يشاهدها بما به يدرك» فإذا كان الادراك عقليا فهو امتثال صور المعقولات فى العقل، وإذا كان الادراك حسيا فهو امتثال صور المحسوسات فى الحواس ويقول: «المحسوسات كلها تتأدى بصورها إلى آلات الحسى وتنطبع فيها فتدركها القوى الحاسة والحواس تقبل صور المحسوسات دون مادتها»[٥٠]. وقد قسم «ابن سينا» المحسوسات إلى محسوسات خاصة هى الكيفيات الحسية الخاصة بكل حاسة وإلى محسوسات مشتركة بين الحواس الظاهرة جميعها هى الشكل والعدد والمقدار والحركة والسكون، وتدرك الحواس هذه

المحسوسات المشتركة بالذات لابالعرض فكما أن اللمس يدرك الكيفيات الملموسة فهو يدرك أيضا شكل الشئ الحاصل على هذه الكيفيات الملموسة ويدرك مقداره وعدده وحركته وسكونه وكذلك فيما يتعلق ببقية الحواس، لم أن نتيجة الاحساس الحاصل فى جميع الحواس هو ادراك الشئ الخارجى من حيث كيفياته الحسية المختلفة الخاصة والمشتركة، أى ادراك صورة الشئ الخارجى وعلى هذا الاساس يجب أن نفسر تعريف «ابن سينا» للاحساس بأنه ادراك صور المحسوسات فهو تعريف عام للاحساس من حيث نتيجته وغايته هو تعريف الاحساس الكامل أى للادراك الحسى Perception كما يحدث فى الحس المشترك. لا للاحساس الخاص Sensation الذى يحدث فى كل حس على حدة. وحينما يتكلم «ابن سينا» عن كل حس مستقل عن غيره فإنه يعدل عن استعمال صورة المحسوس ويتكلم عن الكيفيات الحسية(٥١). فيعرف كل حس خاص بأنه القوة التى تدرك الكيفيات المحسوسة الخاصة. مما تقدم يتبين أن الاحساس عند «ابن سينا» له صفتان رئيسيتان فهو انفعال أو مقارن لانفعال(٥٢) وهو ادراك صور المحسوسات الخارجية، وإذا جمعنا بين هاتين الصفتين فى تعريف واحد يمكن الحصول على تعريف عام للاحساس عند «ابن سينا» يشابه التعريف الذى وصل إليه العلماء المحدثون: «إن الاحساس وظيفة أو ظاهرة نفسية ادراكية تحدث نتيجة انفعال يقع على الحس من المحسوسات الخارجية(٥٣)». والاحساس ظاهرة نفسية بسيطة وأولية فهو أبسط درجات الادراك وأول عناصر الشعور، ولكنه مع بساطته يستلزم اشتراك عناصر مختلفة بحيث إذا لم تتوفر جميعها أو بعضها امتنع حدوث الاحساس وهذه العناصر هى: ١- المحسوس الخارجى أو المؤثر. ٢- انفعال الحس أو التأثير. ٣-الوسط.

فالمحسوس الخارجى يشترط فى حدوثه مؤثر خارجى فإذا أثر المحسوس فى الحس حدث الاحساس، وإذا لم يؤثر امتنع الاحساس، أما أنواع المحسوسات

فهى أما مدرك بالذات أو مدرك بالعرض فالمحسوس بالذات هو الخاص بكل حاسة وكذلك المحسوسات المشتركة بين الحواس جميعها. أما المحسوس بالعرض فهو معنى يدركه الحس لوجوده عرضا فى محسوسه بالذات» يسميه علماء النفس الآن ادراكا حسيا مكتسبا. والمحسوس الخاص هو المحسوس الذى تحسه كل حاسه منفردة عن غيرها مثل اللون للبصر، والصوت للسمع، والرائحة للشم، والطعم للذوق، والحرارة والبرودة للمس، والمحسوسات المشتركة تحسه الحواس جميعها وهى الشكل والعدد والمقدار والحركة والسكون. ويقول «ابن سينا»: «والحواس الخمس يدرك كل واحدة منها بواسطة مدركها الحقيقى» ويعنى الخاص[٥٤]. أما العنصر الثانى من عناصر الاحساس يجب أن يؤثر المحسوس فى الحس. يقول «ابن سينا»: «ليس من شرط المحسوس بالذات أن يكون الاحساس به من غير انفعال يكون منه فإن الحار مالم يسخن لم يحس. حتى أنه إن لم يحدث ذلك لم يحس به»[٥٥]. أما العنصر الثالث وهو الوسط فيقول ابن سينا عنه: «أنه يلزم وجود أوساط خاصة بين الحواس وبين محسوساتها ينتقل خلالها تأثير هذه المحسوسات فيها ويقوم الهواء والماء بدور الوسط للحواس ماعدا حاسة اللمس، فالهواء والماء وسط لكل من البصر والشم والسمع، والماء وسط الذوق أما اللمس فيحس بالملامسة المباشرة بينه وبين الملموس، ويلاحظ أن «ابن سينا» يتردد فى أمر اللمس، فتارة يقول أن اللحم وسط وتارة يقول أن اللحم ليس وسطا ولكنه آلة اللمس. ووجود هذه الأوساط شرط ضرورى فى حدوث الإحساس إذ بدونها لايمكن أن يحدث الاتصال بين المحوسات الخارجية وبين الحواس وبدون هذا الاتصال لاتنفعل الحواس ولايحدث الاحساس، وقد رتب «ابن سينا» الحواس على حسب أهميتها فنجده فى كتاب «الشفاء» وكتاب «النجاة» وكتاب «مبحث فى القوى النفسانية» يدرس حاسة البصر أولا ثم السمع ثم حاسة الشم ثم حاسة الذوق وأخيراً حاسة اللمس[٥٦]. من هذا يتضح لنا أنه بدون

الحواس وانفعالها مع العالم الخارجي لايمكن أن تتم المعرفة وقد فسر ابن سينا تشريح كل حاسة وكيفية عملها(٥٧).

فالحواس تدرك بها المحسوسات الخارجية المختلفة ومن الضروري لكي تتم المعرفة اجتماع هذه المحسوسات المختلفة عند قوة واحدة تستطيع الحكم عليها والتمييز بينها، ويقول ابن سينا من الضرورى لكمال الحياة ولكمال المعرفة ادراك صور المحسوسات فى غياب المحسوسات ذاتها إذ لايكفى أن يبصر الحيوان الشئ النافع فيسعى إليه ولكنه من الضرورى أيضا أن يتصوره فى غيابه ليسعى للحصول عليه وإلا فإن الحيوان يمتنع عن الحركة فى غياب المحسوسات، فهناك الجمع بين الادراك الحاضر وادراك الماضى وهذا أمر ضرورى فى اكتساب المعرفة(٥٨). ويمكن تلخيص التعاريف الخاصة بالاحساس التى وضعها «ابن سينا» كما يأتى:

أولاً: الاحساس الظاهر:

«هو ادراك صورة المحسوس الخارجى نتيجة انفعال يقع على الحس من المحسوس. والمؤثر الخارجى شرط ضرورى لحدوث الاحساس الظاهر وكذلك اختلاف المحسوس وعضو الحس فى الكيفية أى أن الاحساس الظاهر يحدث عن فعل المخالف فى المخالف، كما أنه من الضرورى وجود الوسط بين المحسوسات الخارجية وبين أعضاء الحس الظاهرة ينتقل خلاله التأثير من المحسوس إلى عضو الحس».

ثانيا: الاحساس الباطن:

«إننا نتخيل صور المحسوسات ونتذكرها فى غياب المحسوسات أنفسها وبدون وجود أى مؤثر خارجى، ويبدو ذلك واضحا فى ظهور الاحلام أثناء النوم حينما يكون عمل الحواس الظاهر معطلا، ويكون عمل التخيل على العكس نشيطا. والاحساس الباطن لاينفعل مباشرة عن المحسوسات الخارجية

بحيث يتعذر القول بأن الاحساس الباطن حادث عن تأثير المخالف فى المخالف، والحواس الباطنة لاتحتاج لوجود الأوساط لأنها لاتدرك موضوعا فتعريف الاحساس الباطن عند «ابن سينا» هو: «أنه ادراك صور المحسوسات والمعانى الجزئية الموجودة فيها. ويصاحب هذا الادراك انفعال يحدث فى أعضاء الحواس الباطنة غير أن المؤثر فى الحواس الباطنة يوجد فى الداخل بينما المؤثر فى الحواس الظاهرة يوجد فى الخارج»(٥٩)

أما تكوين الصور فى الحواس الباطنة فيرى «ابن سينا» أن انفعال الحواس الظاهرة لاينتهى عند أعضاء هذه الحواس بل يستمر فى الاعصاب الحسية حتى يصل إلى الدماغ، حيث توجد مراكز الحواس الباطنة، فيحدث فيها الانفعال الحسى الباطن الخاص بها وهو يرجع أولا إلى الحس المشترك، يؤدى الحس المشترك بانفعالاته إلى قوة أخرى هى الخيال أو المصورة حيث يحفظ ماقبله الحس المشترك من الحواس الظاهرة ويبقى فيها بعد غيبة المحسوسات المتخيلة الوهمية. ويتبين لنا من ذلك أن انفعالات الحواس الظاهرة تستمر فى الأعصاب الحسية حتى تصل إلى الحواس الباطنة وتنتقل فيها من حاسة إلى حاسة - على حسب الظروف وعلى حالة الإنسان النفسية والعقلية - محدثة فى كل منها انفعالاً خاصا هو الاحساس الخاص بهذه الحاسة وانفعالات الحواس الظاهرة تنتقل إلى الحس المشترك ثم تحفظ فى الخيال أو المصورة ومن هذا المركز تبعث الصور الحسية التى هى موضوع انفعالات الحواس الباطنة(٦٠) ويؤمن «ابن سينا» بوجود نوع من الاستمرار والبقاء للانفعالات الحسية فى أعضاء الحواس الظاهرة فالاحساس الشديد يترك فيها أثراً يصعب معه الاحساس بشئ آخر(٦١)

ثالثا: الحس المشترك

أما عن تعريفه للحس المشترك فيقول: «هذه القوة التى تسمى الحس

المشترك وهى مركز الحواس منها تتشعب الشعب وإليها تؤدى الحواس وهى بالحقيقة التى تحس»(٦٢). بمعنى آلة الحس المشترك هو الحس الباطن الذى تجتمع عنده جميع الانفعالات الآتية من الحواس الظاهرة وهو لذلك بمثابة المركز لها تتلاقى عنده احساساتها. وينتج عن هذا الادراك الحسى فهو ادراك الأشياء الخارجية من حيث هى ذات أشكال وأحجام وإعداد ومن حيث هى متحركة وساكنة، فالادراك الحسى وظيفة راقية تتكون من عدة عناصر الاحساسات الأولية بالكيفيات الحسية وادراك المحسوسات المشتركة والعرضية والجمع بين الاحساسات المختلفة والمقارنة والتمييز بينها ثم ان ادراك المحسوسات العرضية يستلزم اشتراك الذاكرة وهذه الوظيفة الراقية يقوم بها الحس المشترك لأنه المركز الذى تتلاقى عنده الاحساسات الناتجة من الحواس المختلفة. فهو اذن المركز الطبيعى لعمليات الجمع والمقارنة والتمييز وفى الحس المشترك أيضا يحدث تذكر المحسوسات السابقة باستعانة الذاكرة (المصورة) وهى فى الحقيقة مركز التخيل.

مما سبق يتضح أن فكرة الحس الباطن لم تظهر لأول مرة إلا فى أبحاث «أرسطو» ثم وضحت هذه الفكرة فيما بعد فى أبحاث «ابن سينا» بالصورة التى رأيناها. فقد قام «ابن سينا» بدراسة الحواس الباطنة دراسة مفصلة فأوضح وظائفها المختلفة توضيحا دقيقا وعن ابن سينا انتشرت هذه الدراسة بين مفكرى العالم الإسلامى والمسيحى على السواء. ونجد «الغزالى» ينقل عن «ابن سينا» آراءه فى الحواس الباطنة نقلا يكاد يكون حرفيا(٦٣).

«أما «الفارابى» فيقول فى كتابه «فصوص الحكم» أنه يوجد خمس حواس داخلية ويجعل مكانها الدماغ لا القلب ولكنه لايذكر سوى تعريف مختصر لهذه الحواس ولم يحاول أن يقوم بدراسة مفصلة لوظائفها المختلفة»(٦٤)، ولكنه قال فى كتاب «آراء أهل المدينة الفاضلة» توجد حاستان داخليتان فقط هما الحس المشترك والمتخيلة وموضعهما القلب، وتنسب إلى

القوة المتخيلة لها ظيفتان مختلفتان أحدهما حفظ صور المحسوسات والثانية التفريق والجمع بين هذه الصورة «فالفارابى» إذن ينسب إلى قوة واحدة وظيفتين مختلفين.

رأى إخوان الصفا فى أهم الحواس:

أما «إخوان الصفا» فقالوا: «بأن كل حيوان كان أكثر حواس فإنه يكون أكثر محسوسات فأما الإنسان فله هذه الخمس بكمالها، ولكن كل من كان من الناس أكثر تأملا لمحسوساته وأكثر اعتباراً لأحوالها كانت المعلومات التى فى أولية العقل فى نفسه أكثر»[٦٥]. ورتبو الحواس على أساس كثافة انفعالاتها أو لطاقتها فنجد أنهم يترددون فى أمر السمع والبصر فيعتبرون السمع أحيانا أهم من البصر، حيث يقولون: «فأما الذائقة فهى أكثر تأثيراً من الشامة وكذلك الحاسة السامعة فإن قوتها فى تمييزها الأصوات بعضها عن بعض الطف وأشرف والحاسة اللامسة اكثف من الجميع» ... واختلف العلماء فى حاسة النظر وحاسة السمع أيهما أهم، فقال بعضهم «إن حاسة السمع أهم وكان برهان ذلك أن محسوسات السمع كلها روحانية وأن محسوسات البصر كلها جسمانية وقال أن السمع أدق تمييزاً من البصر، والبصر يخطئ فى أكثر مدركاته فصح بهذا القول أن السمع الطف وأشرف من البصر»[٦٦]. وفى موضع آخر يعتبرون البصر أهم انفعالا من حاسة السمع ويقولون فى رسالة «الحاس والمحسوس»: «فلنذكر الآن كيفية ادراك القوى الحاسة لمحسوساتها واحداً واحد ونبتدئ أولاً بالقوة اللامسة ووصفها لأن ادراكها للمحسوسات كان ادراكا جسمانيا، ثم نختم بوصف القوة الباصرة لأن ادراكها كان ادراكا روحانيا». وقد تعرض أخوان الصفا لذكر الكيفيات الملموسة وذكروا عشرة أنواع أولية لها وهى «الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشن والصلابة والرخاوة والثقل والخفة»[٦٧]. هذا ما ذكرته جماعة «اخوان الصفا»

عن أهمية الحواس ولكنهم لم يفسروا العمليات العقلية الناتجة عن استخدامها.

الواقعية الحسية وموقفها من استخدام الحواس:

بالرغم من أهمية استخدام الحواس فى وصول المعرفة إلى الانسان، إلا أن أحداً لم يبتدع الطرق التى بواسطتها تستخدم الحواس فى التعليم وظلت التربية تابعة للتقاليد بعيدة عن كل ترتيب مقصود «فالصغار من الأطفال كانوا ينشأون فى أحضان أمهاتهم وحراسة مربياتهم ومباشرة اترابهم فى البيوت، وكانت نشأتهم هذه تحكمها التقاليد الاجتماعية دون أن يصيبها أى حظ من التنظيم المعقول وكذلك الترتيب»[٦٨]. إلى أن جاء القرن السابع عشر فأخذ بعض المفكرون والفلاسفة يتأملون أمر التعليم وظهر مذهب الواقعية الحسية Sense - Realism، وتأثر الواقعيون الحسيون بالاكتشافات الحديثة فى حقل الطبيعة والاختراعات التى أدت إلى الاستفادة من قوى هذه الطبيعة، لقد كانوا يهتمون بالطبيعة اهتماما بالغا وينظرون إليها على أنها منبع المعرفة والفضيلة ويرون تبعا لذلك أن التربية نفسها هى عملية طبيعية أكثر منها صناعية وأن القوانين والمبادئ التى يجب أن تؤسس عليها التربية يمكن الكشف عنها فى الطبيعة[٦٩]. «وكان شرف الابتداء فى هذا المجال يرجع إلى كومنيوس Co-menius الذى يعتبر اقدم مبشرى التربية الحديثة» فأفكار كومنيوس ازدهرت فى الغرب وفى انجلترا بالذات كما أنها سبقت دعوة روسو Rousseau»[٧٠] وبالرغم من أن معرفة كومنيوس كانت ضئيلة بطبيعة الطفل ولكنه أكد تدريب الحواس[٧١]. فالتربية عنده يجب أن تتخذ النظام التالى

تربية الحواس أولاً ثم الذاكرة ثم الفكر فالملكة الناقدة أخيراً. وتأكيداً لبيان أهمية استخدام الحواس فى اكتساب المعرفة وخصوصا فى المرحلة الأولى بالمدرسة، ألف كتابه الشهير «عالم الصور Orbis Pictus». لتعليم الأطفال لغة

الأم واللغة اللاتينية وبعض المعارف المختلفة ويعتبر هذا الكتاب تجسيدا لفكرة كومنيوس الذى يهتم بتقديم الأشياء والصور على الألفاظ والكلمات، كما يؤكد أن العقل لايمكن أن يحصل على معلومات إلا إذا وصلت إليه عن طريق الحواس أولا[٧٢].

كذلك فقد نادى بتنمية الحواس فى مرحلة الطفولة المبكرة وهى مرحلة مدرسة الأم من سن سنة إلى ست سنوات، وعن طريق تنمية حواسه يستطيع الطفل أن يدرك بيئته وفيها تعلم الأم طفلها كيف يتكلم ويلاحظ الطبيعة، ولقد ألف كتاب عالم الصور Orbis pictus فى عام ١٦٥٧ وكان لهذا الكتاب أهمية تاريخية إذ يعتبر أول كتاب مصور يعتمد على الصور فى تعليم الأطفال كوسيلة تعليمية، وهكذا تتجسد فلسفة كومنيوس الواقعية الحسية فى استغلال حاسة البصر عن طريق الصورة والكلمة فى جعل تعليم الصغار أيسر وأكثر قبولا واجتذابا للانتباه وأكثر توفيرا للوقت والجهد سواء من جانب الصغار المتعلمين أو من جانب من يقومون بتعليمهم. كما أوضح الكيفية التى ينبغى أن يتعلم بها التلاميذ العلوم المختلفة وهى طريقة تستند على استخدام الحواس والملاحظة والتجريب ثم الاستنتاج، كما أكد أهمية دراسة الأشياء نفسها أو استخدام صور لها إذا لم توجد ونصح أن يكون التعليم عن طريق العمل إذا كانت العلوم عملية[٧٣].

«وهكذا فقد نادى كومنيوس باستغلال المواهب الطبيعية التى زودت بها الطبيعة الجنس البشرى وهى الحواس والعقل لجعل تربية الطفل مبنية على أرض الواقع المحسوس»[٧٤].

وكان هناك مفكراً آخر فى القرن السابع عشر تكلم عن الحواس وأهميتها لاكتساب المعرفة هو جون لوك John Locke ١٦٣٢ - ١٧٠٤. فقد نشر أفكاره بشأن العمليات التربوية ومواقف التعليم[٧٥]. وأهم ما كتبه فى

التربية كتابه «خواطر فى التربية» دعا فيه إلى حرية الطفل من سلطان الكنيسة والحكومة وشجع التعليم المنزلى وحث على احلال اللغات الحديثة محل اللغات القديمة. وكتب أيضا «مقالا فى العقل البشرى» مهد فيه بنظرية المعرفة ومحاولة فى الفهم الإنسانى وهو أهم كتبه على الإطلاق وفيه شرح نظريته فى المعرفة. ويتكون هذا الكتاب من أربع مقالات: المقالة الأولى وفيها يرد على القائلين بالمعانى الغريزية أو المعارف النظرية، المقالة الثانية فى تقسيم المعانى إلى بسيطة ومركبة. المقالة الثالثة: فى اللغة وتأثيرها على الفكر. المقالة الرابعة: فى المعرفة الممكنة أى فى اليقين الميسور لنا[٧٦].

ويرفض «لوك» الفكرة القائلة بوجود معارف نظرية أو غريزية يولد بها الإنسان ويقرر أن العقل أشبه بصفحة بيضاء لم ينقش فيها حرف ثم تتوالى عليه الصور وتنطبع فيه المعارف بحكم ممارسة الحياة ومعايشة المجتمع والأشياء[٧٧]. ولقد رأى «لوك» أن المعرفة ترجع إلى عاملين:

العامل الأول: هو الحواس التى عن طريقها تصل المعرفة إلى العقل[٧٨]. فالحواس عنده ومايمكنها أن تستفيده من العالم المحيط بالفرد والقدرة العقلية وما نستطيعه من انطباعات حسية من العالم الخارجى تلعب دوراً فى اكتساب المعرفة[٧٩].

العامل الثانى: هو العقل نفسه الذى يصل عن طريق عدة عمليات يقوم بها ويسميها «لوك» التأمل Reflection [٨٠]، «فوظيفة العقل عند «لوك» تنقسم إلى قسمين: الوظيفة الأولى سلبية وهى تلقى الانطباعات الحسية من الخارج وتمثل فى الصفحة البيضاء التى تشبه إلى حد كبير اللوح الذى لم يكتب فيه شئ، بينما الوظيفة الايجابية للعقل هى جميع العمليات العقلية كالتفكير والتخيل والتذكر والتى بناء عليها نعرف مانعرفه[٨١]، إن الإنسان حينما يدرك شيئا إنما يدركه من الطبيعة بحواسه إذ ليس هناك شئ فى العقل

مالم يكن من قبل فى الحس. فالإنسان يولد وعقله يشبه الصفحة البيضاء وعندما يبدأ فى الاحساس تنقش عليه الانطباعات الحسية المختلفة ويبدأ فى تكوين الأفكار عنها وعلى ذلك فالعقل يستمد كل خبراته ومعلوماته من التجربة وبها وحدها، وعلى ذلك فالاحساس سابق على التفكير(٨٢). إن مصدر المعرفة لايمكن أن يخرج عن الاحساس والتأمل الذاتى أى أن الناس جميعا يولدون وهم متساوون فى عدم المعرفة وبالتالى جهلهم على كل تجربة حسية(٨٣). ويذكر «لوك» أن أى فكرة تتولد فى الذهن إنما ترجع إلى مصدر واحد فقط هو التجربة أو الخبرة Experience والتجربة فى نظر «لوك» تعتمد على الملاحظة التى تنقسم إلى مصدرين:

أولا: ملاحظة خارجية وموضوعية External and objective

وتعتمد على ادراك الإنسان للمدركات الحسية الخارجية الموضوعية، والملاحظة الخارجية هى الأسبق فى نظرية «لوك» إذ أن أول مصدر يزود عقولنا بالأفكار هو موضوعات الحس فحواسنا توصل لعقولنا احساسات مختلفة متعددة عن الأشياء تبعا لاختلاف وتعدد الوسائل التى تؤثر بها هذه الأشياء فى تلك الحواس، لذلك يمكننا أن نصل إلى تكوين أفكارنا عن جميع الخصائص والصفات المحسوسة مثل اللون والحرارة والبرودة ... الخ. التى تنقلها الحواس إلى عقولنا هذا المصدر الكبير الذى يزودنا بأغلب الأفكار والذى يعتمد اعتماداً كليا على حواسنا هو مانسميه باسم الاحساس Sensationas.

ثانيا: ملاحظة داخلية وذاتية Internal and Subjective

تقوم على ملاحظة الإنسان لعملياته العقلية الداخلية ولكل مايدور فى ذهنه من أفكار وانطباعات، فهو ادراكنا لعمليات العقل الداخلية(٨٤) تلك العمليات التى تقوم بها النفس حين نفكر ونتأمل فى تلك الأفكار التى تكونت فى العقل بواسطة الحواس فيتغذى العقل بأفكار جديدة لم تأت إلينا

من الخارج مثل الإدراك الحسى والتفكير والشك والاعتقاد والتعقل والمعرفة والارادة ... الخ، التى نكون واعيين بها مدركين لها ويمكننا ملاحظتها، وهذه الأفكار على الرغم من كونها ليست احساسا لأنها لاترتبط بالموضوعات الخارجية ونسميها بالحس الداخلى Internal sense وقد سمى «لوك» المصدر الأول الاحساسى Sensation والمصدر الثانى التفكير أو التأمل الذاتى Reflection.

هذان المصدران هما الأساس الذى يمكن أن يبدأ به أو يتوقف عليه تكوين أى فكرة – لأن الاحساس بالموضوعات الخارجية يمد العقل بالأفكار عن الخصائص والصفات الجسمية بينما يمدنا العقل بالأفكار عن عملياته الداخلية.

فالتفكير يأتى فى مرحلة متأخرة عن الاحساس وذلك لاعتماد التفكير على الانتباه. والأفراد يتفاوتون فيما بينهم من حيث مدى الانتباه أى قدرتهم على استيعاب أوسع قدر ممكن من الأمور ومن حيث مدة الانتباه أى قدرتهم على حصر الذهن أطول مدة ممكنه من الوقت فإنهم سيختلفون فى نوع وعدد هذه الأفكار التى تتكون فى عقولهم نتيجة لملاحظاتهم لعمليات العقل الداخلية[٨٥].

ويعرف «لوك» الأفكار Ideas بأنها مدة العقل وهى الأساس للقيام بوظيفته فهى أولا تكون أفكار بسيطة Simple ثم تتكون أفكاراً مركبة Complex فالأفكار البسيطة تصل إلى عقولها بواسطة الحواس وهى منفصلة غير مترابطة كل احساس يصل مستقلا ويؤدى إلى تكوين صورة ذهنية أو انطباع عقلى متفصل ومستقل عن الاحساس أو الانطباع الحسى الآخر. وهذه الانطباعات الحسية المنفصلة حين تنطبع على الذهن فإنه يكون عنها أفكاراً أو صوراً ذهنية واضحة متميزة هى مايسميها «لوك» «بالأفكار البسيطة»، والتى

تعتبر بمثابة المادة الأساسية التي تقوم عليها كل معرفة. فإذا أمكن للعقل أن يحصل على عدد كبير من الأفكار البسيطة فإن في استطاعته أن يقوم بعمليات أخرى مثل أن يقارن بينها أو يربط أو يوحد أو يحكم وتكون نتيجة ذلك أفكارا أخرى جديدة يسميها باسم «الأفكار المركبة» وعلى ذلك فالأفكار المركبة تعتمد اعتماداً مباشراً على الأفكار البسيطة وهذه بدورها تعتمد على الحواس. فلو أن حواس الإنسان كانت أربعاً فقط لكان معناه أن أفكارنا ستكون أقل عددا عما هو عليه(٨٦).

وقد قسم «لوك» الأفكار البسيطة إلى أربعة أنواع:

١ - أفكار تصل إلى العقل بواسطة حاسة واحدة نتيجة للانطباعات الحسية التي تصل إلى الذهن بواسطة إحدى الحواس مثل أفكارنا عن الألوان بجميع درجاتها التي تدركها العين وكذلك الأصوات التي تدركها الأذن وهكذا بالنسبة لبقية الحواس.

٢ - أفكار تصل إلى العقل بواسطة أكثر من حاسة مثل أفكارنا عن الامتداد والمكان والشكل والحركة والسكون، فهذه تكونت نتيجة للانطباعات الحسية التي وصلت إلى الذهن عن طريق حاستين هما البصر واللمس.

٣ - أفكار تتكون في العقل بواسطة التأمل الذاتي مثل أفكارنا عن الإرادة والادراك.

٤ - أفكار تتكون في العقل بواسطة الاحساس مضافا إليه التأمل الذاتي مثل أفكارنا عن القوة والوجود واللذة والألم.

أما الأفكار المركبة فهي:

١ - أفكار نتجت عن قيام العقل بتكرار أو إضافة فكرة بسيطة واحدة أكثر من مرة وتسمى أعراض بسيطة Simple modes.

٢- أفكار مركبة تنتج عن تجميع أو ربط بعض الأفكار البسيطة المختلفة الأنواع بعضها مع بعض حول موضوع واحد مثل فكرتنا عن الجمال التى تنتج عن إضافة أفكار بسيطة عن الشكل واللون والصلابة وتسمى أعراض مركبة Compound modes .

«والمعرفة الحسية عند «لوك» واضحة يقينية إذ ليس هناك شئ أكثر يقينا من تلك الفكرة التى تتكون فى الذهن عن موضوع موجود فى الواقع الخارجى»(٨٧) . مما سبق يتضح أن أساس المعرفة عند لوك هو استخدام الحواس فالمعرفة ادراك أما إذا لم يوجد هذا الادراك فلن تكون هناك معرفة.

وكتب «لوك» فى مقاله عن الحواس يقول: «إن الإنسان لايمكن استغلال حواسه الطبيعية، بل لابد من أن يتعلم كيف يستخدم هذه الحواس» ، وهذا يعنى أن الحواس لابد أن تدرب تدريبا خاصة، ولقد رأى أن هذا التدريب لايأتى إلا عن تدريب العقل أيضا(٨٨) .

وكان لوك يرى أن الطفل يتعلم بما يعادل ثلاثة أضعاف حينما يكون متوافقا مع ذاته، ولكنه يبذل فى التعليم بمقدار الضعف من الوقت والجهد حينما يساق إلى ذلك كارها، فإذا سمح للأطفال باللعب مع توفير مايكفى من الوقت ليتعلموا فيه مايناسب قدرة كل عمر من الأعمار.

وكذلك قد تبين «للوك» أهمية البيئة فى إثراء الخبرة، إن إيمان «لوك» بفردية الإنسان جعله يرى أنه ينبغى أن يناقش الطفل مهما بلغ من صغر العمر(٨٩) .

إن القرن الثامن عشر قرن اتضحت فيه اتجاهات استخدام الحواس فى التربية فظهر فى هذا القرن «روسو» بنظريته الجريئة فى التربية كما جاء «بستالوتزى» بتجاربه المثيرة وتعليمه بواسطة استخدام الحواس. وفى نهاية القرن جاء «فروبل» بفلسفته التى تأثرت بتجارب «بستالوتزى» إنشائه لرياض

الأطفال، كما كان هناك فلاسفة تكلموا عن أهمية استخدام الحواس من أمثال «كانت» Kant «وفخته» Ficht و «هجل» Hegel و «شيلنج» Shelling كانوا يعنون اصلاح طرق التعليم نفسها محاولين جعلها متمشية مع أطوار نمو الإنسان[٩٠]. وسنحاول فى هذا الجزء شرح آراء بعض هؤلاء الفلاسفة والمربين.

لقد كان «روسو» ١٧١٢ - ١٧٧٨ متأثراً بمن سبقه من مفكرين ولكنه كان أكثر قدرة وشجاعة فى توضيح رأيه فى التربية فى كتابه «إميل» وكانت ثورة على التربية، ثورة أثرت فى فكر من جاء بعده من المفكرين فى أوروبا، كما أن عصره كان متأثرا بالاتجاهات العلمية والاكتشافات مما جعل عددا من الفلاسفة يتعرضون لموضوع الحواس والعقل ووظيفتهم فى الحصول على المعرفة.

لقد كان «كوندياك» Condillac ١٧١٥ - ١٧٨٠[٩١] يذهب فى الحسية إلى أبعد من «لوك» فإنه يقصر التجربة على الاحساس الظاهرة ويستغنى عن التفكير كمصدر أصيل للمعرفة، ويقول: «إن أى إحساس ظاهرى يكفى لتوليد جميع القوى النفسية»[٩٢]. ولتوضيح ذلك فى كتابه الاحساس On sensation يفترض تمثالا حيا داخل تمثال رخام. بدأ بحاسة واحدة فإذا كسرنا الرخام فى موضع الأنف أتحنا للتمثال الحى القدرة على استخدام حاسة الشم فعند أول احساس يوجد شئ واحد وهو شعوره بأى رائحة يتعرض لها[٩٣]. ثم حصل على الحواس الأخرى تدريجيا كما تكونت فيه القدرات العقلية التى اتضح أن أكثرها تعقيدا ماهو إلا مركب من انطباعات حسية ولاتفسير هذه الملكات العقلية إلا عن طريق الاحساسات[٩٤].

ويقول «كوندياك» نحن نحكم على الأشياء باللمس ذلك لأننا تعلمنا أن نحكم بمعنى أن حجم الشئ يترتب على مقارنته بالأشياء الأخرى، وهكذا

يمكنا أن نحكم إذا كان هذا الشئ يختلف عن الأشياء الأخرى بكونه أكبر أو أصغر إذا كنا نقصد تكوين فكرة عن الحجم(٩٥). «فمثلا لايستطيع البصر أن يميز بين كرة ومكعب إذ أن اللمس هو الذى يدرك الأشكال أولا ثم يدركها البصر بفضل علاقاته باللمس(٩٦). كذلك نفس الشئ عن الفكرة عن المسافات وعن الأشكال والأوزان أو بمعنى آخر فإن كل الأفكار التى تصلنا عن طريق حاسة اللمس لاتتكون إلا عن طريق المقارنة والحكم. وهذا ينطبق على الحواس الأخرى وكيف نحصل عن طريقها من أفكار. وهذا يثبت أن قدرتها على تكوين الأحكام العقلية تظهر بمجرد أن تبدأ حواسنا فى النمو لأننا نتمكن من استخدام حواسنا بداية العمر. كما أننا منذ بداية العمر نكون أحكاما وعلى ذلك فكان يرى أن علم المعلم أن يبدأ بتدريب الأطفال على المشاهدة وتكوين الأحكام ولذا فإن «كونديلاك» كان يرى أن القدرات العقلية متساوية بين الطفل والإنسان البالغ(٩٧). وأن كل الدراسات التى تناسب الرجولة يمكن أن يتعلمها الطفل إذا كانت تنظم على درجات تنظيما سليما.

أما كلود ادريان هيلفتس (١٧١٥م - ١٧٧١م) Claude Adrien Helvétuis فقد كتب عن الحواس والعقل والتربية فى كتابه الشهير عن الروح "De L'Esprit" الذى ألفه عام ١٧٥٧م يحاول فيه أن يبرهن على أن قدرات العقل هى أصلا نتيجة لنشاط الحواس، وإلا لما كان هناك سبب لوجود كل تلك الاختلافات الواضحة بين عقول الرجال المتحضرين. وفى مثال آخر له عن الرجل وقدراته العقلية وتربيته On Man His Intellectual Faculties and his Education الذى يقول فيه أن العقل هو عبارة عن مجموع الأفكار لدينا كما يقول «لوك» تأتينا من الخارج عن طريق الحواس ومن هذا المبدأ ومبدئى أنا أيضا يمكن الاستنتاج، وهو أن العقل ماهو إلا شئ يكتسب وإننا إذا نظرنا إلى تكويننا دون أن نسمى هذا النظام أو نعرفه يجعلنا نعود مرة أخرى إلى المعلومات الغيبية ويقول «هيلفتس» إذا كنا جميعا كبشر وقد وهبنا الله نفس

القدرة على التفكير وعلى تكوين الأحكام دون تدخل الحواس فمن أين أتت كل هذه الاختلافات بيننا، كذلك فكيف نفسر أن فردين تربيا فى ظروف متساوية تماما وتعلما تعليما واحدا فكيف نفسر اختلافهما فى مستوى التفكير فيما بعد، ويصل فى النهاية إلى أن كل مايعانيه الأفراد من نقص فى تكوينهم أو تفكيرهم إنما يرجع إلى التربية السابقة، ولذلك كان «هيلفتس» يقول أنه لايمكن اصلاح التعليم إلا إذا نزع من أيدى الكنيسة ووضعت له قوانين اصلاحية من قبل الحكومة. وهكذا يمكن أن يوضع نظام تربوى يشمل الجوانب الجسمية والعقلية والأخلاقية التى يمكنها أن تكون المواطنين تكوينا طيبا»[٩٨].

وقد قدم «بزداو» Jhohaun Basedow ١٧٢٤ - ١٧٩٠ طرقا للتعليم تجمع بين التربية الطبيعية الجذابة التى وضعها «روسو» وبين التربية القومية التى نادى بها «لاشالونيه» Chalotais وقد وصل إلى نتيجة تعد تجربة فى تعليم صبى كان أساسها مبادئ «كومنيوس» Comenius واستعان بمؤلفه عالم الصور فى تعليمه ويمكن توضيح طريقته باختصار بواسطة ما قاله فى العبارة الآتية: «أن كل معلوماتنا تبدأ عن طريق الحواس، وأن خبراتنا من الأشياء الهامة جداً فى هذه الناحية». «لقد كانت طريقته الجديدة فى التعليم يستخدم فيها اللعب كما تستخدم المحادثة بدلا من الدروس التقليدية وبخاصة فى تعليم اللغة. لقد ظل عدة سنوات لايكتب عن التعليم بعد انتهائه من دراسته وخبراته كمعلم، إلا أنه عاد إلى التفكير فى تعليم الأطفال عام ١٧٦٨م خصوصا بعد ظهور كتاب «اميل» «لروسو» الذى أحدث دويا فى الأوساط المثقفة فى أوروبا وعندما عاد للكتابة عن التعليم لم يكن مجدداً كل الجدة فى فكره، فقد كتب عن أهمية اللعب فى التعليم، كما استفاد من آراء «روسو» واقتبس أفكار «لاشالونيه» دون أن يبين هذا فى كتاباته»[٩٩].

وكان «بستالوزى» يرى أن الهدف النهائى للتربية هو النمو المتسق لجميع قوى قدرات الطفل فقد اهتم:

أولا: بالتربية العقلية بتدريب العقل Training of the Head

ثانيا: بالتربية الخلقية بتدريب القلب Training of the Heart

ثالثا: بالتربية العملية بتدريب اليد Training of the Hand

ولم ينظر «بستالوزى» إلى هذه الأوجه الثلاثة للتربية كعمليات منفصلة بل هى متصل الله الا رليقا، لقد كان «بستالوزى» ينظر إلى التربية العملية نظرة شاملة فلم يكن يعنى بها للاستعداد لحرفة معينة أو لعمل بل كان يرى أن التربية العقلية تشمل تدريب القوى الحركية والاهتمام بالابداع والإنتاج كالمهارة والاستعداد والقدرة على الأداء والتنفيذ(١٠٠). ومن وحى كتاب «اميل» «لروسو» نجد بستالوزى يذهب إلى أبعد من روسو نفسه وذلك بأن يدرس للأطفال ويبتدع طرقا عملية لتعليمهم ثم يختبر تلك الطرق فى مدارس متعددة اتصل بها وعلم فيها وكان نجاحه فى تعليم الصغار وتدريب المعلمين سببا فى جذب الأنظار إليه من قبل المسئولين عن التعليم ومن قبل أتباعه الذين انتشروا فى أوروبا والولايات المتحدة، ومن خلال تلك الاصلاحات التى أحدثها فى طرق تعليم الصغار ومن أفكاره التربوية عموما يمكن أن يسمى بستالوزى الأب الروحى للمدرسة الأولية الحديثة(١٠١).

"Father of Medern Elementary Education"

ولما كانت الحركة النفسية فى التربية تجعل الطفل ونموه أهم عنصر فى العملية التعليمية لذلك شغلت طرق التدريس الحيز الأكبر من الفكر التربوى للمربين والفلاسفة، فقد بنى «بستالوزى» طرقه فى التعليم على نشاط الطفل وكان رأيه أن التعليم يتم على مرحلتين هما الانطباع ويقصد الانطباع الحسى Impression والتعبير Expretion وأن هاتين المرحلتين ضروريتان

للتعلم وكانت عقيدته الثانية التى أرادها للطفل هى وضع الأشياء التى يدرسها تحت ملاحظته observation حتى يمكن التعرف عليها وتسميتها عن طريق الانطباعات الحسية الناتجة من ملاحظة الطفل لما يدرسه واستخدام حواسه الأخرى فى التعرف على مايدرسه أيضا يعطى المزيد من تلك الانطباعات التى هى أساس تعلم الطفل من خلال تلك المباشرة، فيمكنه التعبير عما رأى ولمس وسمع[١٠٢].

وقد اتفق «بستالوزى» مع «روسو» فى أن الطفل ينبغى أن لايتعلم من الكتب أو يكون تعليمه عن طريق الحفظ والتسميع، بل يكون تعبير الطفل بالكلام نتيجة الانطباعات الحسية عن طريق ملاحظته للأشياء حتى تعلم اللغة يكون على هذا النحو.

أما «هيجل» Hegel ١٧٧٠م – ١٨٣١م فلقد درس العقل فى صوره المختلفة وسنتعرض لما يخص الادراك الحسى فى نظريته.

«إن أول مرحلة من مراحل الوعى عند «هيجل» هى مرحلة الوعى المباشر[١٠٣]، الوعى الحسى أو مرحلة الاحساس بصفة عامة والعلاقة بين الذات والموضوع علاقة مباشرة ويعنى هنا بمباشرة الموضوع أنه مستقل عن الذات ومباشرة العلاقة تعنى أن الموضوع يوجد مباشرة أمام الوعى أى يدرك إدراكا مباشراً فليس هناك حلقة وسطى بين الفكر وموضوعه. فالوعى هناك يستنتج وجود الموضوع وإنما هو حاضر أمامه، ومثل هذا الادراك المباشر للموضوع هو المعرفة الحسية. فأولى المراحل التى يمر بها العقل هى مرحلة المعرفة المباشرة أو معرفة ماهو موجود مباشرة وعلينا أن نتقبل هذه المعرفة كما تبدو دون أن تغير منها شيئا بحيث يظل الادراك مستقلا عن كل تصوره وهذه المعرفة هى المعرفة الحسية، وتبدو أنها أكثر ألوان المعرفة يقينا وصدقا، وأن جميع المعارف الأخرى تعتمد عليها»[١٠٤]. والمعرفة الحسية تهدف إلى ادراك

الجزئيات التى هى أساس المعرفة كلها. وتنقسم المعرفة (ادراك الجزئيات) إلى جانبين ذات وموضوع. فالموضوع هو الموجود المباشر الذى يكون أمام الوعى المباشر (الذات) فالموضوعات عبارة عن مجموعة هائلة من العلاقات المتداخلة المتنوعة، ومن ثم فالشئ الواحد يدرك على أنه خواص أو كيفيات كثيرة[١٠٥].

والادراك الحسى يتسم بعدد من الخصائص أو الكليات المتميزة فقد يكون مثلا قطعة من الملح تدرك على أنها بيضاء صلبة مكعب الشكل، وذلك يوضح لنا أن الصفات التى تنسب فى العادة إلى اليقين الحسى تنتمى فى الحقيقة إلى عملية الادراك الحسى[١٠٦]. إن مرحلة الادراك الحسى حيث نجد الموضوع أمام الوعى وهو موضوع واحد، وإنما هو شئ له خواص وكيفيات كثيرة، فالموضوع باعتباره كليا وجزئياً فى وقت واحد يجمع بين متناقضات. ولهذا السبب فإن كل ادراك حسى يتضمن هذا التناقض بين الكلية والفردية فى موضوع واحد، والحقيقة التى أبرزها «هيجل» هى أن الادراك الحسى لايعنى سوى الكليات الحسية مثل الشجرة والمنزل ... الخ، أى أن الكليات عبارة عن تصورات لموضوع الحس أو لكيفيات تدرك ادراكا حسياً، وهى إن لم تكن كذلك، فإن ادراكنا فى هذه الحالة لايكون ادراكا حسيا، غير أن الوعى ينتقل من الادراك الحسى إلى كليات لاتدرك ادراكا حسيا أى إلى كليات لاحسية وهذه غير مشروطة، ويرى «هيجل» أنه مادامت كليات الحس كليات موجودة بالقوة وهى صريحة ومشروطة أى لاتنطبق على الخبرة إلا بشرط أن تكون هناك كليات أخرى تنطبق عليها، فلابد أن تكون هناك كليات غير مشروطة وهى موضوع الفهم وهذا الشئ لايدركه الادراك الحسى وحده، والفهم يكون بالرجوع إلى الكلى غير المشروط ويطلق عليه «هيجل» اسم القوة[١٠٧].

مما سبق يتضح أن الفهم يمر بعدة مراحل وهى: أولا اليقين الحسى وهو يرى موضوعه مستقلا عن غيره، والادراك الحسى وهى حقيقة الموضوع

وعبارة عن مجموعة من الكليات (الموجودة فى العالم الخارجى). والفهم يجمع بين اليقين الحسى والادراك الحسى وأن جميع هذه المرحل ليست إلا شريطا طويلا لشئ واحد هو العقل[١٠٨]. تلك هى آراء بعض الفلاسفة الذين عاشوا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فيما يخص الادراك الحسى والحواس. إلا أنه كان هناك مربون عاشوا فى تلك الفترة وكانت لهم أيضا آراؤهم فى هذه الناحية، ومن أهمهم «هربارت» و «فروبل» و «ووليم جيمس».

ويعتبر «هربارت»[١٠٩] (١٧٧٦م - ١٨٤١م) Joham Friedrick Herbart من المربين الذين بنوا نظرياتهم على أسس نفسية، فقد اعتبر أن التعليم السليم ينتج عن ترابط الفكر Ideas فى عقل المتعلم وأكد أهمية تنمية اهتمامات الطلاب بالعلوم التى يدرسونها مع ضرورة ربط الجديد من المعرفة بالمعرفة السابقة، والفكرة السابقة، ولتحقيق هذا اقترح هربارت طريقة تعليم مبنية على خطوات، ولقد وجدت هذه الطريقة التربوية استحسانا من المعاهد التى كانت تعد المعلمين فى أوروبا، وفيما بعد فى الولايات المتحدة[١١٠]. وشغل اسم «هربارت» مكانا خاصا وذلك لكونه أحد الفلاسفة التربويين، كما أنه أيضا من علماء النفس لذلك كانت نظرته للتربية ليست استنتاجا نظريا عن طريق فلسفته ولكنها مبنية على الخبرة أيضا ويقول «هربارت» فى أهم مؤلفاته فى التربية: «الكتاب الذى ألفته فى التربية يدين لوجوده ليس فقط بالجمل والملاحظات والتجارب التى كتبتها فى مناسبات مختلفة، ولكنه أيضا يدين لفلسفتى الخاصة[١١١]».

ومن رأى «هربارت» أن وظيفة التعليم القيادة من أسفل إلى أعلى فى طريقين منفصلين ولكنهما ينموان فى وقت واحد متجهان نحو قمة تجمع بينهما أما هذان الطريقان فهما طريق المعرفة وطريق الوجدان، أما طريق المعرفة

فيبدأ بالتدريب على تنشيط الانطباعات الحسية Sharpening sense impres-sion مبتدئين من أقربها إلى المتعلم(١١٢).

فلقد رأى «هربارت» أن للعقل ثلاثة مستويات فى بنائه، أولا استخدام الحواس للحصول على الاحساس والادراك الحسى، ثانيا: التخيل، ثالثا: التفكير والحكم(١١٣).

لقد كان فكر «هربارت» التربوى يتلخص فى اعتقاده أن أبسط عناصر المعرفة هى الفكر Ideas التى تنتج عن الحالات المختلفة Mental States التى تمر بالعقل نتيجة لتعرضه لمؤثرات خارجية (وهذه تأتى نتيجة عمل الحواس) فإذا ماتكونت تلك الفكر فإنها تصبح ذات قوة ديناميكية لكى تحافظ على نفسها ثم تحاول المحافظة على مكانها فى بؤرة التفكير فى العقل، وأن تحاول تلك الفكر وهى داخل العقل اجتذاب فكر مشابهة لها تتحد معها وتصبح قوة قادرة على طرد الفكر المختلفة خارج بؤرة التفكير فى العقل The Unciouo-ness وهكذا فإن التفاعل الدائم بين الفكر الموجودة فى بؤرة تفكير العقل والفكر المماثلة أو المشابهة لها ينتج عنه اتحاد تلك الفكر فتكون كتل متجانسة متآلفة بها من القوة ما يجعلها تثبت فى العقل ولاتطرد منه(١١٤). ونجد أن بعض الفكر غير المتشابهة تتحد أيضا فتكون كتلا مركبة غير متجانسة. أما الفكر المتضادة فإنها تتصارع وتتآلف، وتترتب قدرة بند المختلفة أو الكفر فى بؤرة التفكير فى العقل على قدرتها على التكيف للكتل والفكر الأخرى سابقة الوجود فى العقل، بمعنى آخر فإن الفكر الجديدة يتقرر وضعها فى العقل وفقا لما فيه من فكر سبق وجودها فيه نتيجة لتعلم سابق. وقد سمى «هربارت» هذه الظاهرة بظاهرة التآلف Apperception وتمثل هذه الظاهرة محورا للنظرية التربوية «لهربارت» إذ يرجع إليها كلما يحاول عرض مبدأ من مبادئه التربوية الأخرى.

وتمشيا مع نظرية التآلف هذه فإن على المعلم أن يحاول جذب انتباه التلميذ لأى فكرة أو مجموعة من الفكر الجديدة، وأن يثبت تلك الفكر فى عقل التلميذ وفق الفكرة التى تنطوى عليها تلك النظرية وهى تكوين الكتل المتجانسة المتآلفة من المعلومات وتصبح مشكلة التعليم هى الكيفية التى تعرض بواسطتها المعلومات على التلميذ بحيث يستوعبها عقله وذلك عندما تتآلف المعلومات «الفكر الجديدة» . بالمعلومات التى سبق أن تثبتت فى عقل التلميذ، وبهذه الطريقة يمكن للمعلم أن يتحكم فى نفس التلميذ أو روحه Soul إذ بامكانه أن ينظم كتلا مآلفة أو نظاما للأفكار كما يشاء(١١٥) .

ويرى «هربارت» أن الاهتمامات متعددة الجوانب تأتى عن طريق منهج دراسى متسع الرقعة شامل لنواحى معرفة متعددة بحيث تتفق مع الخبرات السابقة للمتعلم، وتوضح له الجوانب المختلفة فى الحياة حتى يمكن أن يثار اهتمامه بها وهكذا يمكن أن تتكون فى عقل المتعلم مجموعات أو كتل متآلفة من الفكر وبالتالى تتكون لديه اهتمامات متعددة الجوانب وهذه الاهتمامات تنبثق من أمرين:

أولا: الخبرة Experience التى تعطى المتعلم المعرفة.

ثانيا: التفاعل الاجتماعى Social intercource الذى عن طريقه تتكون علاقات الفرد مع من حوله من الناس. وقد قسم «هربارت» الاهتمامات إلى أقسام هى:

١ - اهتمامات المعرفة وتشمل المعرفة الحسية والمعرفة التأملية والمعرفة الأخلاقية.

٢ - اهتمامات المشاركة فى العمل وتشمل الاهتمامات الوجدانية والاجتماعية والبدنية(١١٦) .

ويوصى «هربارت» بأن تكون اهتمامات الفرد شاملة لجميع الجوانب بأنواعها حتى لاينحرف الفرد نحو ناحية واحدة من نواحيها(١١٧).

ولهربارت رأى خاص فى طريقة التدريس وهذه الطريقة تتفق مع فكره عن أسلوب النمو العقلى للمتعلم، وأن التعلم يتم بحدوث عمليتين فى عقل المتعلم هما الامتصاص Absorpation والتأمل Reflection، أما عملية الامتصاص فهى عملية حصول العقل على الحقائق والفكر، وذلك عن طريق الحواس ثم دراستها، وتؤدى عملية التأمل إلى توحيد المعارف واستيعابها ويزيد من ايضاح هاتين العمليتين بوضع أربع خطوات لعملية التعلم هى:

١- الوضوح: Clearness وهى عملية تقديم المعلومات الجديدة المطلوب تعليمها وهذه عملية امتصاص بحتة.

٢- الترابط: Association تشمل هذه العملية ربط المعلومات الجديدة بالمعلومات القديمة التى حصل عليها العقل من قبل. وهذه العملية هى عملية امتصاص فى غالبيتها إلا أن بها عناصر التأمل أيضا.

٣- التنظيم: System وتشمل هذه العملية تنظيم المعلومات المترابطة تنظيما شاملا ومنطقيا، وهذه العملية هى عملية تأمل مبدئى.

٤- الطريقة (الأسلوب): Method وتشمل التطبيق العملى للمعلومات المنظمة فى الخطوة السابقة، وهذه عملية تأمل ايجابى نشط.

أما «فروبل» فلقد أكد مبدأ الوحدة Unity وليست الثنائية فى طبيعة الإنسان وجعل النشاط المنتج Productive activity محور هذه الوحدة، ومن الخطأ أن يظن أن «فروبل» قد اهتم فقط بالتدريب الحركى - تدريب الأيدى فى العمل، وتدريب الحناجر فى الأناشيد، وتدريب الحركة فى المهارات اليدوية - بل اهتم بالنشاط المبدع Greative activity فالذاكرة Memory

والتخيل Imagination فالحس Perception والتفكير المنطقى Reasoning والارادة Will والمشاعر Feeling كلها تتعاون مع الحواس والأعصاب والعضلات لتكون النشاط المبدع[١١٨]. وكانت نتيجة أفكاره وتجاربه إنشاءه روضة الأطفال، ولو أن روضة الأطفال فقدت الكثير من السمات التى تميزت بها فى عهد «فروبل» إلا أنها بقيت حتى الآن خطوة أولى هامة فى سلم التعليم[١١٩].

وهكذا تعاقب المفكرون والفلاسفة فى إبداء آرائهم فى الحواس وعملها وأهميتها للحصول على المعرفة، وفى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهر «وليم جيمس» (١٨٤٢م - ١٩١٠م)[١٢٠] بفلسفته البراجماتية.

وحين تعرض للحديث عن الاحساسات التى هى نتيجة عمل الحواس عرفها بأنها العناصر الأولية للشعور، وهى النتائج المباشرة التى تظهر فى الشعور عندما تنفذ التيارات العصبية إلى المخ وتستدعى معانى تتعلق بالتجربة الماضية. ومن الواضح أن هذه الاحساسات المباشرة لاتحدث فى الواقع إلا فى الأيام الأولى للحياة، وهى مستحيلة الحدوث للبالغين بفضل ذواكرهم ومعارفهم المكتسبة للعلاقات بين الأشياء. أما قبل أن يقع انفعال ما على أعضاء الحس فإن المخ يكون غارقا فى سبات عميق ويكون الشعور غير موجود فى الواقع بل أن الأطفال يقضون فى الغالب الأسابيع الأولى عقب ولادتهم فى نوم عميق بحيث يحتاج قطع نومهم إلى انفعالات قوية تقع على حواسهم، وهذه الانفعالات تحدث فى عقل المولود الجديد احساسا مجرداً Sensation وتترك التجربة فى مادة تلافيف المخ بحيث أن التأثير التالى الذى ينقله عضو الحس يحدث فى المخ انفعالات يقوم بدور فيه الأثر المنتبه مما قد بقى فى الانفعال السابق وينتج عن ذلك نوع آخر من الشعور ودرجة أعلى من المعرفة فتخرج

باحساسنا المجرد بالشئ أفكار عن هذا الشئ فنسميه ونصنفه ونقارنه ونقول جملا عنه تتعلق به وعلى العموم فإن هذا الشعور الراقى بالأشياء يسمى ادراكا حسيا Perception وأن مجرد الشعور المبهم بحضورها يسمى احساسا Sensation[١٢١]. ويقول «وليم جيمس» أن الشعور بالأشياء المادية الخاصة الحاضرة عند الحس هو مانسميه بالادراك الحسى، والشعور بهذه الأشياء يختلف فقد يكون قاصراً على اسم الشئ فقط وعلى خصائصه الأخرى الجوهرية، وقد يشمل أيضا ماتستدعيه هذه الأشياء من المعانى المختلفة والإضافات والعلاقات البعيدة، فالاحساس مضافا إليه ما يتمثل فى الذهن من المعانى المتعلقة به هو مايكون الادراك الحسى[١٢٢]. ويقول أيضا «وليم جيمس» «أن الحياة تعرض علينا فى ابتداء الأمر أشياء متصلة فى حالة غموض يبقيه العالم المحيط بها فى المكان والزمان وهى منقسمة بالقوة إلى عناصر وأجزاء[١٢٣] فالطفل الحديث الولادة يرى العالم الثابت أمام عينيه قطعة واحدة متصلة لايستطيع التمييز بين أجزائها المختلفة المنفصلة، وكذلك فإن الامتداد الملوس يورد إلى حسه خليطا من الاحساسات اللمسية التى لاتستطيع التمييز بين أنواعها، ثم يأخذ الطفل شيئ فشيئا يميزبين الأشياء المختلفة تساعده على ذلك حركة الأشياء أو حركته هو حولها فاللون المتحرك مثلا يتميز عنده عن اللون الذى يظل ثابتا وهكذا تتميز بقية الأشياء ويميز البالغ بين المحسوسات المختلفة تمييزاً يختلف فى الدرجة عن تمييز الطفل لها، فهو يقوم بمقارنة الأشياء وتمييز بعضها عن بعض مستعينا فى ذلك بتجاربه الماضية فيميز مثلا بين التفاحة والبرتقالة بمجرد النظر إليها لا من حيث اللون فقط، وإنما كذلك من حيث الطعم والرائحة.

مما سبق نجد أن أهم المراحل التى وصلت إليها أصول التربية والتعليم منذ أواخر القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين كانت تحت تأثير عاملين هما:

أولا: توسع البحوث النفسية.

ثانيا: تطور وجهات النظر الاجتماعية.

ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

١- إن المعرفة الحقيقية لاتتكون إلا بواسطة الحواس، فيجب أن نستفيد من الحواس ونستند عليها في التعليم، فهذا المبدأ يجب أن يكون أهم المبادئ التي تقوم عليها عملية التدريس.

٢- إن الحاسة الواحدة لاتكفي لتكوين معارف تامة راسخة فيجب أن تشترك الحواس المختلفة في تكوين المعلومات وأن نستفيد خاصة من الحاسة العقلية أيضا في هذا الشأن، فلمس الشئ بعد مشاهدته يقوى علمنا به، كما أن اسمه بعد لمسه ومشاهدته يزيد فينا هذه القوة درجة أخرى أما صنعه وعمل نموذج له فيكون أكبر قوة لدينا في هذا المجال - في فهمنا له - فلذلك يجب أن نسعى في توليد الانطباعات من جهة وفي حمل التلاميذ على الافصاح عن هذه الانطباعات بالرسم والأعمال اليدوية من جهة أخرى، فمبدأ التعليم باليد أو التعليم بالتشغيل يجب أن يكون من أهم الوسائل.

٣- أن التعليم لايجدى نفعا إن لم يكن مقرونا بتفكير ذاتي فالفوائد المطلوبة منه لاتحصل إلا بالمشاهدة والمقارنة والمحاكاة والتجربة فالاستدلال، فمبدأ التعليم بالاكتشاف يعتبر من أنجح الطرق في التدريس.

٤- الاكتشاف لايجوز أن يكون مصطنعا ولاجبريا، بل يجب أن يكون حقيقيا وطبيعيا ناتجا عن ميل وسعى ذاتي، فينبغي أن تضع التلاميذ في بيئة تجعلهم يكتشفون الحقائق وإيجاد الأشكال والأشياء.

٥- التربية ماهي إلا عمل تنظيمي يهدف إلى الاكتشاف الطبيعي البدني منه والذهني والخلقي[١٢٤]

من العرض السابق يتضح أن حواس الإنسان كانت فى مقدمة الأمور التى عنى بها المفكرون فى مجال التربية والتعليم وقد توصلوا جميعا بأساليبهم المختلفة إلى أن الحواس هى أبواب المعرفة للإنسان.

الهوامش

(١) د. حامد عبد العزيز الفقي. دراسات في سيكولوجية النمو، الطبعة الثانية، عالم الكتب، ١٩٧٣، ص ١١، ١٢

(٢) د. فؤاد البهي السيد. الأسس النفسية للنمو، الطبعة الرابعة دار الفكر العربي، ١٩٧٥، ص ١٨

(٣) مركز ثقافة الطفل. الدورة التدريبية للعاملين في مجال ثقافة الطفل، مراقبة البحوث والتدريب، ابريل ١٩٧٩، ص ٥، ٦

(٤) د. فتحية حسن سليمان. ثقافة الطفل في السنوات الست الأولى، ندوة تربية الطفل في السنوات الست الأولى، الخرطوم، تحت إشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٢ ديسمبر ١٩٧٧، ص ٤.

(٥) د. مصطفى فهمي: سيكولوجية الطفولة والمراهقة، الطبعة الثالثة، دار مصر للطباعة، بدون سنة، ص ١٤.

(٦) د. محمد خليفة بركات: مجلة الأسرة والطفولة، رقم ٢٧، سلسلة الأسرة والطفولة، الدار القومية، يناير ١٩٦٦، ص ٨

(٧) ـــــــــــــــ. مدخل علم النفس، دار مصر للطباعة ١٩٥٦، ص ١٣٩.

(٨) اميلي هاميد: طريقة ديكرولي، ترجمة أحمد فؤاد الاهواني ويوسف مراد، الطبعة الأولى، وزارة المعارف القومية، ١٩٥٣، ص ٧.

(٩) وايلدز المر ٠، لونش. ف كنيث أصول التربية الحديثة، ترجمة د. محمد سمير حسانين، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مؤسسة سعيد للطباعة، سنة ١٩٧٧، ص ٢

(١٠) سورة النحل، آية (٧٨)

(١١) سورة العلق، آيات (١ - ٥)

(١٢) محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١١٢.

(١٣) انظر ومزية الغريب: التعلم دراسة نفسية تفسيرية توجيهية، الطبعة السادسة، الانجلو، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٦٨.

(١٤) بينت الدراسات الفسيولوجية الحديثة أنه توجد فى بشرة الإنسان خلايا حسية كثيرة مختلفة وهى متخصصة لاستقبال أنواع معينة من الاحساسات فبعضها يحس بالحرارة وبعضها يحس بالبرودة وبعضها يحس باللمس والضغط وهكذا.

(١٥) سورة الأنعام، آية (٧).

(16) Lewis, Browne: This Believing World, The MacMillan Co. New York, 1926, P. 27.

(١٧) فتحيه حسن سليمان: تربية الطفل بين الماضى والحاضر، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٢٣.

(١٨) ــــــــــــــــ: التربية فى المجتمعين اليونانى والرومانى، نهضة مصر، القاهرة، د. ت. ص ١٢٠.

(19) Monroe, Paul: A Text Book Book in the History of Education, The Macmillan, New York, 1928, P. 132.

(٢٠) محمد عثمان نجاتى: الادراك الحسى عند ابن سينا، ط٣، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢٨.

(٢١) فتحية حسن سليمان: الدور الذى يجب أن تقوم به كليات التربية فى العالم العربى فى إثراء الفكر التربوى العالمى، نداء عمداء كليات التربية، الرياض ٢٢ – ٢٦ ابريل ١٩٧٨، ص ٥.

(22) Butts, R. Freeman: A Gultural History of Education, First Edition, McGraw-Hill Book Co. Inc., New York, 1947, P. 278.

(٢٣) ابراهيم مطاوع وآخرون: الوسائل التعليمية، الطبعة الثالث، النهضة المصرية القاهرة، ١٩٧٩، ص ٦.

(٢٤) محمد عطيه الابراشي: الطفولة صانعة المستقبل، مكتبة الانجلو، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٤٦، ٤٧.

(٢٥) محمد عثمان نجاتي: الادراك الحسي عند ابن سينا، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٢٦) المرجع السابق، ص ٦٧.

يعتبر الاحساس إدراك الحسي أول درجات الانفعالات النفسية ولهذا كان اليونانيون يعتبرون الحواس والعمليات التي تنتج عنها ضمن علم النفس.

(٢٧) ولد ارسطو في عام ٣٨٤ ق. م في مدينة استاجيرا Stagira من بلاد مقدونيا Macedonia، كان والده طبيبا. وقد توفي والده وهو صغير ودرس الطب ثم أهمل هذه الدراسة، وأقبل على دراسة الفلسفة. ولما بلغ الثانية عشر ذهب إلى أثينا Athens وتعلم على يد أفلاطون Plato لمدة عشرين عاما وخالف استاذة في كثير من مبادئة وأسس في أثينا مدرسة يعلم فيها الشبان فنون الخطابة والبلاغه والمنطق ليعدهم للحياه العملية ولم يلهه ذلك عن ملازمة استاذة والاخذ عنه، ودعاه الملك فيليب المقدوني الى تعليم ولدة الاسكندر Alexander وكان اذ ذاك عمرة ثلاث عشر سنة واستمر معه ثلاث سنوات وعاد الى أثينا وكان عمر ارسطو خمسين عاما وأسس فيها مدرسة «ليسيوم» Lyceum وأدارها نحو اثنى عشر سنه وفي اثناء هذه المدة نضجت آرائه واتسعت فلسفته وذاعت شهرته ولقب بالمعلم الأول «وتوفي عام ٣٢٢ ق.م وعمرة ٦٢ عاما تقريباً. (عن: Laurie, A.P. : The Teacher's Encyclopaedia, Vol. Vii. Caxton Publishing Comp. LTD., London, 1912, P. 37).

(٢٨) أنظر : محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي أرسطو ، الجزء الثاني ، الطبعه الثانية ،

دار الكاتب العربى للطباعه والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٧ ، ص٢٢.

(٢٩) وضع أرسطو تعريفاً ثانيا للنفس : «أنها ما بة نحيا ونحس ونفكر ونتحرك فى المكان» وهذا التعريف ينصب على وظائف النفس بالاجمال

(٣٠) محمد على أبو ريان : مرجع سابق ، ص ١١٧ ، ١١٨.

(31) Eby, Frederick : The History and Philosohy of Education Ancient and Medieval, Prentice Hall, INC., New York, 1953, P. 444.

(٣٢) الموجودات تتكون من عناصر أربع ، الماء والهواء والنار ثم التراب ، والموجودات منها ما هو حسى وما هو محسوس ومنها المادى وغير المادى كذلك الامر يتعلق بالانسان فأنه مكون من نفس وبدن أو جسم وعقل ، وبما أن النفس البشرية هى التى تدرك الموجودات فلابد أن تكون بالضرورة مكونه من العناصر التى تدركها بناء على مبدئة الشبية يدرك الشبية (عن فيصل بديرعون : محاضرات فى الفلسفة القديمة ، مكتبة الحرية الحديثة ، القاهره ، ١٩٨٢ ، ص ٣٧٥).

(٣٣) محمد على أبو ريان : مرجع سابق ، ص ١٢٣.

(34) Ross, David : Aristotle, Methuen & Co. LTD, London 1960, P.P. 140, 141.

(35) Ibid, P. 140.

(٣٦) محمد على أبو ريان : مرجع سابق ، ص ١٤١ ، ١٤٢.

(٣٧) أنظر المرجع السابق ، ص ١٤١ - ١٤٥.

(38) Ross, David : Op. Cit., P. 142.

(٣٩) محمد عثمان نجاتى : الادراك الحسى عند ابن سينا ، مرجع سابق ، ص ١٣٨ .

(٤٠) انظر المرجع السابق، ص ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٤١) فتحية سليمان : التربية فى المجتمعين اليونانى والرومانى ، مرجع سابق، ص ٧١.

(42) Eby, Frederick, Op. Cit., P. 444.

(٤٣) سورة السجدة ، آيات (٧، ٨، ٩).

(٤٤) سورة النحل ، آيات (٧٨).

(٤٥) محمد عثمان نجاتى : القرآن وعلم النفس ، مرجع سابق ، ص ١١٢ ، ١١٣.

(٤٦) محمد عثمان نجاتى : الادراك الحسى عند ابن سينا ، مرجع سابق ، ص ٢٣.

(٤٧) فتحية سليمان : تربية الطفل بين الحاضر والماضى ، مرجع سابق ، ص ٩٧.

(٤٨) محمد عثمان نجاتى : الادراك الحسى عند ابن سينا ، ص ٢٤ ، ٢٥.

(٤٩) انظر المرجع السابق ، ص ٢٤، ٢٥، ٢٩.

(٥٠) ابن سينا : الشفاء ، المجلد الاول، طبعه حجر ، طهران ، ١٣٠٣ هـ ، ص ٣٣٢.

(٥١) محمد عثمان نجاتى : الادراك الحسى عند ابن سينا ، مرجع سابق ، ص ص ٤٨ ،٤٩.

(٥٢) معنى انفعال – تهية ، مقارن لانفعال – مقارن لتهية.

(٥٣) أنظر محمد عثمان نجاتى : الادراك الحسى عند ابن سينا ، مرجع سابق ، ص ٤٩.

(٥٤) انظر المرجع السابق ، ص ٥٢.

(٥٥) ابن سينا : مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٠.

(٥٦) لعل ابن سينا متأثر بهذا الترتيب الذى وضعه ارسطو فى كتاب النفس.

(٥٧) تشريح ابن سينا للحواس لا يهم فى هذا المجال وذلك لان التشريح فرع من فروع الطب وكذلك لأن هذا العلم تقدم وتغيرت المفاهيم تبعا لاتساع المعرفة.

(٥٨) أنظر محمد عثمان نجاتى : الادراك الحسى عند ابن سينا ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ ، ١٢٤.

(٥٩) المرجع السابق ، ص ١٣٦.

(٦٠) من ذلك يتبين الفرق بين رأى أرسطو وأبن سينا فى كيفية عمل الحواس الباطنه فبينما يرى أرسطو أن الانفعالات الحسية تحفظ فى أعضاء الحس الظاهرة يرى أبن سينا أن صور المحسوسات تحفظ فى المصورة ومكانها الدماغ وتبعا لرأى أرسطو يستمد التخيل مادة وظيفته من اعضاء الحس الظاهرة ، وتبعاً لرأى ابن سينا يستمد التخيل مادة وظيفته من المصورة والحافظة.

والخيال غير التخيل ، فالخيال : هو القوة التى تحفظ صور المحسوسات ويسميها ابن سينا أيضاً المصورة ، والتخيل : هو القوة التى تؤلف بين صور المحسوسات أو تفرق بينها ، الحافظة : الذاكرة فهى خزينه المعانى غير المحسوسة المدركة من المحسوسات وهى تحفظ المعانى الجزئية التى يدركها الوهم.

(٦١) يقرب كلام ابن سينا فى هذا الصدد ما ذهب اليه أرسطو أن الانسان لا يسمع بعد الاصوات الشديد ولا يرى بعد الضوء الساطع غير أن ابن سينا لا يستنتج من ذلك كما استنتج أرسطو من أن الانفعالات الحسية تستمر باقية فى أعضاء الحس بل يقول أن الانفعال الحسى الشديد يترك أثراً فى أعضاء الحسى يبقى فيها الى حين فقط لم يزول.

(٦٢) ابن سينا : مرجع سابق ، ص ٣٣٣.

(٦٣) أنظر محمد عثمان نجاتى : الادراك الحسى عند ابن سينا ، مرجع سابق ، ص

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧.

يهتم علماء النفس فى العصر الحديث بدراسة هذه المحسوسات المشتركة التى يذكرها ابن سينا من حيث هى عناصر مكونه للادراك الحسى فيبحثون فى ادراك الشكل والحركة والمكان والحجم والمسافه وبعبارة أخرى ادراك الخصائص الهندسية للاشياء.

(٦٤) محمد عثمان نجاتى : **الادراك الحسى عند ابن سينا** ، مرجع سابق ، ص ١٣٣.

(٦٥) اخوان الصفا : **رسائل اخوان الصفا** ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ ١ ، ص ٤٥٠.

(٦٦) اخوان الصفا ، مرجع سابق ، جـ ٣ ، الرسالة الحادية والثلاثون ، ص ٨٥ ، ٨٦.

(٦٧) المرجع السابق ، جـ ٢ ، الرسالة العاشرة فى الحاس والمحسوس ، ص ٤٠٢ – ٤١٠.

(٦٨) ساطع الحصرى : **احاديث فى التربية والاجتماع** ، الطبعه الاولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٦٧.

(69) Wilds, Elmer Harrison : ***The Foundation Of Modern Education***, Farrar and Rinehart Inc., New York, 1961, P. 332.

الحركة الواقعيه كانت ثورة على منطق العصور الوسطى وعلى جفاف التعليم فجاءت كحركة اعتراض على ضيق فكر كل من الحركة الانسانية وحركة الاصلاح الدينى وأنقسمت الى ثلاث مدارس وهى الواقعيه الانسانية Humanistic Realism الواقعية الاجتماعيه Social Realism والواقعية الحسية Social Realism.

والجدير بالذكر أن الحركتين الاولى والثانية لم تأتيا بجديد أما الحركة الثالثة فقد ساهمت مساهمة فعالة فى نشر الفكرة وتطبيقها

(٧٠) عبد العال الجسماني : التربية المتجددة أسسها النفسية وموقفها من الطفل نظريا وعمليا ، مطابع دار الشعب ، الاردن ، ١٩٧٨ ، ص ٧.

(71) Curtis & Baultwood : *A Short History Of Education Ideas*, University Tutorial, London, 1963, P. 182.

(72) Comenius, A. J. : *Great Didactic, Part II*, Translated By Keating M.A. and C. Black LTD., London, 1921, P. 479.

(73) Comenius, A. J. : *Orbis Pictus*, Translated By Charles Hool, Kirton The Kings-Arm, in Saint Paules Church Yard, London, 1659, P. A3.

(٧٤) فتحية حسن سليمان : تربية الطفل بين الحاضر والماضي ، مرجع سابق ، ص ١٢.

(75) Castle, E.B. : *Moral Education in Christian Times*, London, 1958, P. 126.

(٧٦) انظر رفقي زاهر : اعلام الفلسفة الحديثة ، الطبعه الاولى ، النهضة المصرية ، القاهره ، ١٩٧٥ ، ص ٧٧ ، ٧٨.

(77) Laurie, M. A., *Op. Cit.*, PP. 160, 161.

(78) Boyd, William : *The History Of Western Education*, Fourth Edition, Adam & Charles Black, London, 1947, P. 287.

(79) Castle, E.B. : *Op. Cit.*, P. 138.

(80) Boyd, William : *The History Of Western Education*, Op. Cit., P 287.

(٨١) عزمي اسلام : مرجع سابق ، ص ١٩.

(82) Lucas, J. Chirstopher : ***Our Western Educational Heritage***, The Macmillan Comp., New York, 1972, P.P. 335, 337.

(83) Curtis, M.A. : Op, Cit., P. 227.

(84) Lucas, J. Chirstopher : Op. Cit., P.P. 337, 338.

(٨٥) أنظر عزمي اسلام : مرجع سابق ، ص ٥٣ ، ٥٤.

(86) Bowyer, H. Carlton : ***Philosophical Perspectives For Education*** , Scoh Foresman and Comp., New York, 1970, P. 160.

(٨٧) عزمي اسلام : مرجع سابق ، ص ١٥٢.

(88) Boyd, William : ***The History Of Western Education***, Op. Cit., P. 289.

(89) Castle, E.B. : Op, Cit., P. 126.

(90) Wilds, & Lottich : ***The Foundation Of Modern Education***, Third Edition, Holt Rinehart and Winston, New York, 1961, P. 290.

(٩١) كوندياك : فرنسي الاصل قسيس ولم يزاول المهنه ، اعتنق مذهب «لوك» وكان زعيم الحسية في وطنه ، وعرض مذهبه في كتاب «محاولة في أصل المعارف الانسانية عام ١٧٤٦م وأتبعه كتاب «المذاهب» ١٧٤٩م نقد فية مذاهب «ديكارت» وغيرة من المتمذهبين على العقل وحدة لم نشر كتابة «في الحساسات» عام ١٧٥٤م لم كتاب الحيوان عام

١٧٥٥ ، وقد كان كوندياك له أثر خاص في نشر المذهب الحسي في وقت اشتدت فيه الحملة على الدين والفلسفة ، (عن يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ، الطبعه السادسة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٨٤ ، ١٨٧).

(92) Lucas, J. Chirstopher : Op. Cit., P. 339.

(٩٣) يوسف كرم : مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

(94) Boyd, William : ***The History Of Western Education***, Op. Cit., P. 289.

(95) Ibid, P. 289.

(٩٦) يوسف كرم : مرجع سابق ، ص ١٨٦ .

(97) Boyd, William : ***The History Of Western Education***, Op. Cit., P. 299.

(98) Lucas, J. Chirstopher : Op. Cit., P. 339.

(99) Boyd, William : ***The History Of Western Education***, Op. Cit., P.P. 307, 308.

(100) Wilds, and Lottich, Op. Cit., P. 305.

(101) Binder, M. ***Frederick : Education inThe History Of Western Civilization***, The Macmillan Comp. U.S.A., 1970, P. 298.

(102) Wilds, and Lottich, Op. Cit., P.P. 307, 308.

(١٠٣) كل بداية عند هيجل تتسم دائماً بالمباشرة ، والمباشرة تعني الاستقلال الظاهري وعدم الارتباط بشيء آخر والانعزال عن الموضوعات الاخرى.

(١٠٤) أمام عبد الفتاح : المنهج الجدلي عند هيجل، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩، ص ١٠٦.

(105) Lauris, M. A. : Op. Cit., P.P. 185, 186

(١٠٦) أمام عبد الفتاح : مرجع سابق ، ص ١١٦

(١٠٧) المرجع السابق . ص ١١٨ ، ١١٩ .

(103) Bower, H., Carlton, Op. Cit., P. 231.

(١٠٤) هربات : ولد في أولدنبرج Oldenburg وبعد حصولة على تعليم جيد في الكلاسيكيات والفلسفة تلك العلوم التي أظهر فيها مقدرة جيدة دخل جامعه يينا Jena ، وعمل كمعلم خاص لثلاثة أطفال تتراوح أعمارهم بين الثامنه والرابعه عشرة (أبناء حاكم انترلاكن) في تلك الفترة وضع قواعد فلسفته التربوية عن طريق تحليل خبرته في تعليم أولئك الاطفال وزار «بستالوتزى» في معهد برجدروف Burgdordf وقام بدراسة نظريته وأساليبة في التعليم وقد ظهر أثر ذلك في كتاباته (عن : Companyre, Gabriel Herbart and Education By Instrucion, George, G. Harrap & Comp, London, 1908, P.P. 1, 2).

(110) Binder, M Frederick, Op. Cit., P. 298.

(111) Boyd, William · *The History Of Western Education*. Op Cit , P 338

(112) Ibid, P 339

(113) Ellis, S Robert *Fducational Psychology* Affiliated East.

West Press, LTD., New Delhi, 1969, P. 129.

(114) Graves, P Frank : ***Great Educators Of Three Centuries***, The Macmillan Comp., New York, 1938, P.P. 174, 175.

(115) Ibid, P. 176.

(116) Ornstein, C. Allan: An Introduction to the Foundation of Education, Rand McMally college Publishing cpmp. Chicago, U. S. A., 1977, PP. 134, 135.

(117) Graves, P. Frank : Op. Cit., P. 179.

(118) Wilds, and Lottich, Op. Cit., P. 306.

(119) Binder, M. Frederick, Op. Cit., P. 298.

(١٢٠) ولیم جیمس : ولد فی نیویورك بأمریكا فی ٩ ینایر ١٨٤٢م، وكان ابوه قسیساً ذا عقلیة متفتحة وعلى قسط كبیر من الثقافة ، وقد مكنه ثراؤه من أقتناء الكتب الثمینه ومن زیارة عدد من البلاد الاوربیة »وكان لهذه الاسفار أثر كبیر على ولیم جیمس ، وفی سنه ١٨٧٠م أنهى دراسته بجامعه هارفارد بأمریكا بعد أن حصل على درجة الدكتوراه، وعین استاذا بالجامعه فحاضر فی علم وظائف الاعضاء وعلم النفس وأخیراً فی الفلسفة ، وكانت له أنشطة علمیة متنوعه منها عضویته فی النادی المیتافیزیقی ، أنشاء معملاً لاجراء التجارب النفسیة سنه ١٨٧٦م وكان أول معمل من نوعه ، أتصل بجمعیه البحوث النفسیة التی أنشأت بانجلترا سنه ١٨٨٢م وكان عضواً بها وأنشأ فرعاً خاصاً بها بأمریكا عام ١٨٨٤م وقد ظل «ولیم جیمس» وفیاً لهذه الجمعیة حریصاً على تحقیق أهدافها طوال حیاته وكانت له كتباً كثیرة لقیت رواجاً كبیراً فی الاوساط

الجامعه (عن رفقى زاهر، مرجع سابق، ص ١٦٠ - ١٦٣).

(121) James, William : ***Text Book Of Psychology***. The Macmillan and Comp., LTD., London, 1920, P.P 12, 13, 14.

(122) Ibid, P. 312.

(123) Ibid, P. 244.

(١٢٤) ساطع الحصرى : **أحاديث فى التربية والاجتماع**، الطبعه الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٢، ص ٥٨، ٥٩.

الفصل الثانى
آراء جون اموس كومنيوس
فى تربية الصغار

- الأوضاع السائدة فى المجتمع الأوروبى الذى عاش فيه كومنيوس
- التعليم فى القرن السادس والسابع عشر
- حياة جون اموس كومنيوس
- أهم مؤلفاته
- عرض لمحتوى كتاب مدرسة الأم
- مدرسة اللغة الوطنية (الأولية)
- عرض لكتاب عالم الصور
- أهم المبادئ التربوية العامة لكومنيوس



JOHN AMOS COMENIUS (1592–1671)

The most famous of the Earlier Sense Realists in Education

أولا: الأوضاع السائدة فى المجتمع الأوروبى الذى عاش فيه كومنيوس:

تمهيد:

يعد كومنيوس من أهم ممثلى الحركة الواقعية فى التربية كما أنه من القادة العظام الذين برزوا فى تاريخ التربية فقد قرر معظم من ترجموا له حديثا أنه كان من أوسع الكتاب عقلا وأبعدهم نظراً وأكثرهم فهما وإحاطة بنواحى التربية، كما أنه كان واقعيا أكثر من عدد كبير من الكتاب الذين تناولوا بالبحث موضوع التربية، وهو الرجل الذى يمكن أن يقال إن نظرياته طبقت فى كل مدرسة تسير حسب. المبادئ المعقوله وهو الذى أبرز الاتجاهات المادية التى عرف بها رجال التربية الحديثة والمعاصرون المجددون فى ميادين التربية[1].

لقد عاش كومنيوس فى أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر ولكى تتعرف على أحداث القرن السابع عشر على الوجه الأكمل والتى أحاطت بالفترة التى نضج فيها كومنيوس فكريا فوضع مؤلفاته ونشط خلالها بالأسفار من دولة أوروبية لأخرى فلابد أن نقف وقفة تأملية لتاريخ القرن السادس عشر عموما الذى كان له الأثر الأكبر على الأوضاع التى سادت أوروبا فى القرن السابع عشر الذى بذرت فيه بذور التربية الحديثة.

فقد امتاز القرن السادس عشر بأنه أتى بالجديد فى شتى نواحى المعرفة والنشاط البشرى فظهر هذا التجديد فى نواحى التفكير المختلفة وفى ميادين النشاط الإنسانى المتنوعة مثل السياسة والاجتماع والاقتصاد والسلوك الخلقى وذلك نتيجة للصحوة الذهنية الشاملة التى كانت طابع عصر النهضة الأدبية والفنية قبل بداية العصر الحديث.

ولذلك فقد كان القرن السادس عشر عصر اضطرابات فكرية وثورات وحروب عديدة كما شهدت انقلابات هامة منها الانقلاب الدينى أو الإصلاح الدينى البروتستانتى وقد استمر الصراع الدينى عاملا قويا بشكل

حوادث النصف الثانى من القرن السادس عشر عندما قام الصراع بين البروتستانتية والكاثوليكية على مدى ثلاثين عاما[٢].

١ - الأوضاع الاقتصادية فى أوروبا فى ذلك العصر:

إن الآثار التى نجمت عن تدفق معدن الفضة بكثرة على أوروبا بعد أن صار للأسبان ممتلكات جديدة فى أمريكا الجنوبية مثل بيرو وأمريكا الشمالية وبوليفيا أحدثت ثورة فى الأسعار لأن وجود هذا المعدن بكميات وفيرة جعل مقدار العملة المتداولة يتزايد زيادة كبيرة - ومن المبادئ الاقتصادية المعروفة أنه إذا زادت كمية النقود ولم تزد كمية السلع فإن قيمة النقود تتدهور وترتفع الأثمان[٣] وكان لهذه الثورة فى الأسعار آثار خطيرة أهمها:

أولاً: زيادة أسعار الحاجات التى وصلت إلى الضعف أو أكثر بين سنة ١٥٥٠، ١٦٠٠ مما أعطى الطبقة المتوسطة قوة مكنتها من الظهور بالشكل الذى يتلاءم ومطالبها وأغراضها فقضت هذه الطبقة الوسطى على بقايا الاقطاع المتخلفة من العصور الوسطى ثم صارت تؤيد سلطان الملكية وكان تأييدها للملكية مشروطا بشرطين:

أ- أن تكون هذه الملكية فى قوتها أداة فعالة فى المحافظة على مصالح هذه الطبقة.

ب- أن تعتمد الملكية فى بقائها وممارسة سلطاتها على تأييد الطبقة المتوسطة التى أصبحت ترغب فى أن يكون لها نصيب فى إدارة شئون الحكم ولو من وراء ستار الملكية المطلقة.

ثانيا: أما الأثر الثانى فقد نشأ من عدم زيادة أجور الصناع والعمال بالرغم من ارتفاع أثمان الحاجات وعندئذ انقسمت هذه الطبقة على نفسها وصار قسم كبير منها فى حالة تذمر واضطراب وذلك باعتناق المذاهب

الدينية المختلفة مما زاد الصراع الديني في أوروبا.

على أنه في بداية القرن السابع عشر أخذت الأجور ترتفع تدريجيا بالنسبة للصناع والعمال وصغار الطبقة الوسطى، حتى وصل مستواها في آخر القرن السابع عشر إلى ما يلائم مستوى الأسعار المرتفعة وبعد هذه الموازنة بين الأجور والأسعار هدأت الأحوال في الدول المختلفة وانتهى تزمر هذه الطبقة

الأوضاع الدينية في أوروبا:

شهدت أوروبا نزاعا خطيراً أساسه الديني، فقد ثارت دول غرب أوروبا ضد البابا وظهرت الكنائس المحتجة على الكنيسة في روما، وظهر البروتستانت في انجلترا وهولندا والدانمارك والنرويج والسويد وشمال المانيا، وكان انقسام الوحدة الدينية في أوروبا في القرن السادس عشر نتيجة لأزمة الاصلاح الديني الذى قام به المصلحون الدينيون عندما رفضوا قبول بعض النقاط الأساسية في مذهب الكنيسة الكاثوليكية. وأحدثت احتجاجات لوثر صدى عظيما في كل أوروبا الكاثوليكية فقد نادى في الكتب التي نشرها باصلاح الكنيسة وفق مذهبه، أن الأعمال الدينية تقيد المؤمن في الأمر الذى يؤدى إلى تنظيمه لعمله، وتهذيب سلوكه، ورأى ضرورة أن ينشر الكتاب المقدس باللغة الالمانية لكي يكون في متناول الجميع. ولقد لقيت حركة «لوثر» تأييداً من الطبقة البورجوازية وطبقة النبلاء، ولم يكن ذلك للإقتناع الديني فحسب بل لأن روما كانت تسيء لطبقة النبلاء الألمان وتثقل كاهلهم بالضرائب الباهظة، وقد صدر قرار من الكنيسة في روما بالقبض على «لوثر» في عام ١٥٢١م، ولم يعر أحد التفاتاً لهذا القرار وتحصن «لوثر» في قلعة ورتنبرج تحت حماية الأمير المنتخب، وقامت ثورة الفلاحين في عام ١٥٢٤م ودافع عنهم «لوثر»، وبدأت حركات ثورية أدت إلى احتراق كثير من الأديرة والقصور فتقرر لمذهب «لوثر» بالإنتشار في البلاد، وكانت هناك عدة محاولات للتوفيق بين وجهتي النظر

البروتستانتية والكاثوليكية، وختم بصلح أوجزبرج Ouqsburg الحرب الدينية فى المانيا عام ١٥٥٥م، وكان هذا الصلح فى صالح البروتستانت فقد استطاعوا أن يجعلوا المانيا الشمالية بروتستانتية وفى عام ١٦٠٨م أسسوا الاتحاد البروتستانتى The Protestant Union للدفاع عن مصالحهم المشتركة. أما الكاثوليك فقد استعادوا نشاطهم وقاموا بتأسيس الحلف المقدس The Holy League فى سنة ١٦٠٩م، ومن ذلك الحين انقسمت المانيا إلى معسكرين كبيرين جعلتهما الخصومة الشديدة على استعداد دائم للحرب كلما سنحت الفرص.

حرب الثلاثين عاما ١٦١٨ - ١٦٤٨م

نشبت حرب الثلاثين عاما بسبب الفتنة الدينية فى بوهيميا – موطن كومنيوس فقد اتخذت الحرب مسرحها الأصلى فى الامبراطورية الالمانية، وكان البوهيميون الألمان أكثر الشعوب التى لحقتها الخسائر، فقد حل بهم الدمار بسبب حرب شنت عليهم بوحشية لم يعرف التاريخ مثيلا لها فعندما اراد الامبراطور «رودلف الثانى» Roudolph تأسيس حكومة مركزية فى ألمانيا كانت وسيلة القضاء على الانقسام الدينى، حتى يمكن القضاء على الانقسام السياسى، وإنهاء الخلافات الداخلية وحاول أن يفعل ذلك فى بوهيميا بدرجة اضطرت الامبراطور أن يمنح بوهيميا وهو مرغم فى سنة ١٦٠٩ عهداً ملكيا وافق فيه على التسامح مع البروتستانت اللوثريين[٤]. وكذلك كان الحال فى عهد أخيه ماتياس Mathias (١٦١٢ – ١٦١٩م) فقد أسيئت فى عهدهما معاملة البروتستانت فاشتد اضطهادهم حتى ضاقت بهم السبل وأخيراً قاموا بالثورة فى سنة ١٦١٨م فهاجموا مقر الحكومة فى قلعة براج وقبضوا على الأعضاء الكاثوليك وأنصار الامبراطور ثم شكلوا حكومة جديدة من أعوانهم. وفى يوم ٢٦ أغسطس عام ١٦١٩ انتخب «فرناند الثانى» امبراطورا بعد وفاة

ماتياس ثم أعلن أهل بوهيميا خلعه ورشحوا مكانه فردريك الخامس ملكا على بوهيميا - وكان رئيس الاتحاد البروتستانتي وحينئذ انتقلت المقاومة من نضال محدود إلى ثورة أهلية وأما الخطوة التالية فكانت الحرب الأوروبية التي صارت نزاعا بين الأسرتين الكبيرتين الهابسبرج الألمانية والبربون الفرنسية من أجل احراز السيطرة على أوروبا(*).

٥- التعليم في القرن السادس عشر والسابع عشر:

لقد حدث ابتداء من أوائل القرن السادس عشر أن بدأت روح النهضة تخمد شيئا فشيئا وأخذت دائرتها تضيق، ولما ضاق مجال المنهاج أخذ الناس ينظرون إلى اللغات والآداب الكلاسيكية نظرة اهتمام ولذلك حذفوا بعض العلوم من المقررات ثم أخذت اللغات القديمة تكتسب مكانا سائداً له الأولوية في مقررات المدارس ومواد دراستها وبعد أن كان الناس يدرسون أعمال الكتاب القدامى بغرض الحصول على الالهام .. Inspiration أصبحوا يقلدونهم تقليدا أعمى حتى استأثرت مؤلفات «شيشرون» باهتمام الناس جميعا وأصبحت هي نقطة البداية والمحور والغاية في المقررات الدراسية واتخذ أسلوبه نموذجا ينسج على منواله ويقلد، وأهمل بعض المفكرين القدامى اهمالا تاما وأصبحت الشيشرونيه Ciceronianisim عقيدة قاربت العقائد الدينية في تمسك الناس بها(٦).

وكان النمو الرئيسي لحركة الإصلاح الديني قد ظهر في تأسيس نظام من المدارس تشرف عليه الحكومة وتعاونه، معاونة جزئية وكان هذا هو الأساس في المبدأ القائل بأنه من واجب الأسرة والكنيسة والحكومة أن يعملوا على أن يلحق كل طفل بهذه المدارس ليحصل على التعليم الأولى على الأقل وكان نظام التعليم الشعبي في الولايات الألمانية هو أول نوع من أنواع هذا التعليم الحديث، ولم يكن هناك نظام تعليمي لعامة الشعب قبل سنة ١٥٢٩م ففي هذه السنة وضع دوق «ورتمبرج» نظاما تعليميا خاصا لم تعترف به الدولة إلا

سنة ١٥٦٥م وهذا النظام هو إنشاء مدارس أولية قومية فى جميع القرى يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة والدين والموسيقى الدينية وتسمى هذه المرحلة الأولى بالمدارس اللاتينية ثم تلى هذه المدارس المرحلة الثانية وهى المدارس اللاتينية العليا ثم تلى ذلك مرحلة الجامعة وكان لحرب الثلاثين عاما أسوأ الأثر فى تطور نظم التربية والتعليم فى الولايات الألمانية فلم يحدث فيها أى تقدم ملموس فى أمور التعليم(٧).

هذا وقد بدأ القرن السابع عشر بإنجازات تربوية فى أجزاء مختلفة من أوروبا ولكن الصراعات الدينية اطفأت نور الأمل فى التقدم فى الانجازات حيث استهلكت طاقات كثير من الأمم التى كان يمكن أن توجه إلى الاهتمام بالتربية أو أى اصلاح اجتماعى. ولم يعد فى مقدرة الكنائس والدولة اعطاء المدارس الامدادات اللازمة للتعليم(٨).

ولقد اضمحل التعليم فى المدارس إذ أن الإمكانات كانت محدودة وانخفض المستوى العام للمدرسين ذوى الأجور المنخفضة، ويظهر جليا مما تقدم أن أسلوب التعليم لم يتغير خلال هذين القرنين.

ثانيا: حياة جون أموس كومنيوس

مولده:

ولد «جون أموس كومنيوس» فى ٢٨ مارس عام ١٥٩٢ فى قرية نفنيتز Nivnitz بولاية مورافيا Moravia(٩) وكان والده «مارتن كومنسكى» Martin Komensky يعمل طحانا وكان متيسر الحال. ترك Nivnitz إلى .. -Unga risch Brod حيث توفى عام ١٦٠٢ ثم توفيت زوجته بعده بعامين وابنتاه، وأصبح «كومنيوس» وحيدا فقيرا لا أسره له وهو فى سن مبكره، وقد سلب الأوصياء عليه ثروته القليلة التى تركه له والده(١٠).

نشأتـــه:

كان والد «كومنيوس» ينتمى إلى طائفة دينية تعرف باسم الاخوه المورافيين .. Moravian Brethrin[11]، التى عرف قساوستها بالبساطة والرغبة الشديدة فى تطبيق الحياة النقية التى تتمشى مع تعاليم الكتاب المقدس. هكذا نشأ «كومنيوس» فى هذا الجو الدينى الملتزم وتظهر نتيجة ذلك فى لجوئه إلى الاستشهاد بالكتاب المقدس فى كل فرصة متاحة له فى كتاباته.

تعليمـــه:

دخل «كومنيوس» المدرسة الابتدائية فى ستراسنيك Strasnic. وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره التحق بالمدرسة اللاتينية فى بريرو .. Prerau ويوضح فى كتاباته حالة التعليم الهابطة فى ذلك الوقت حيث كان يعتبر نفسه مجرد واحد من آلاف الشباب الضائع فى هذه السلخانات العلمية - كما أسماها «كومنيوس» - وغالبا ماكانت عيناه تفيضان بالدموع عند استرجاع وقائع طفولته الضائعة، فكان عليه أن يحفظ آلاف القواعد اللغوية بالتكرار، وبلا فهم، وأن يستذكر دروس النحو الطويلة، ودروس الترجمة بدون مساعدة قاموس أو شرح مدرس. ومن هنا نبعت شفقته الملحة بالتلاميذ الصغار. وقد كانت أخطاء تعليمه المبكر قد بذرت فى نفسه البذور التى نبعت منها كل مجهوداته التعليمية. وقد ظل «كومنيوس» عامين بالمدرسة اللاتينية وقرر أن يعمل قسيسا للأخوة الموارفيين لذلك أدرك أنه يحتاج إلى تعليم أعلى من الذى كان فى إمكانه الحصول عليه فى بوهيميا .. Bohemia فالتحق بجامعة هربورن .. Herborn [12] فى مارس عام ١٦١١ وكان تحت رعاية «جون هنرى البستد» Alsted[13] أستاذه فى الجامعة حيث أصبحا على علاقة وثيقة بفضل تشابههما فى الأفكار والآراء. ثم انتقل «كومنيوس» من هربورن إلى هايدلبرج Heidelberg حيث قبل طالبا بجامعتها فى يونيو عام ١٦١٣م

وكرس بعض وقته لدراسة الفلك لدرجة أنه كان يستمل الرشوة ليحصل على الطبعة الأصلية لأعمال كوبرنيق Copemicus. ثم قام برحلة قصيرة إلى امستردام Amsterdam، وفى عام ١٦١٤م رجع إلى مورافيا وهو فى الثانية والعشرين من عمره وظل عاطلا لمدة عامين حتى عين مديراً لمدرسة بيرور Prerau[١٤].

حياته العائلية:

تزوج «كومنيوس» من سيدة مجرية - ويحتمل أنه تزوج فى عام ١٦١٨م عندما سافر إلى المجر لدراسة طرق تربية النحل - وقضى معها أسعد أيام حياته، وفى عام ١٦٢٢م توفيت زوجته وطفلاه الاثنان بمرض وباثى وترك وحيدا فى العالم مرة أخرى، وفى عام ١٦٢٤م تزوج مرة أخرى ،ن زوجة كان والدها قسيسا مورافيا ويعمل فى المجلس الكنسى فى براج فساعدته بالمال ثم توفيت فى عام ١٦٤٧م بعد عودتهما إلى لسا .. Lissa (فى بولندا) من السويد بعد رحلة شاقة، وكانت حالته بعد موتها تدعو إلى الشفقة. ثم تزوج مرة ثالثة فى حوالى عام ١٦٤٩م فى نفس العام الذى تزوجت فيه ابنتاه من زوجته الثانية.

وفاتـــه:

فى منتصف نوفمبر فى عام ١٦٧٠م صعدت روح عملاق الفكر ونصير الطفولة إلى باريها ودفنهن فى «ناردن» Naarden بالقرب من امستردام فى ٢٢ نوفمبر بعد حياة كثر فيها الترحال وقل الاستقرار ولم يجن منها غير الفقر والفشل ولكن الجنس البشرى والتربية جنت من وراء هذه الحياة العزيز الثمين[١٥].

أهم مؤلفاته:

يعتبر مؤلف «كومنيوس» المسمى «المرشد العظيم» أهم مؤلفاته على

الإطلاق. وكما قال جميع من درسوه وأرخو له فقد شمل هذا المؤلف كل أفكاره التربوية وستقوم الدراسة فى هذا الفصل بعرض دراسة لآراء كومنيوس فى تربية الطفل فى مرحلتى الطفولة المبكرة أو مايسميها Infancy (من الميلاد إلى السادسة). ثم فى مرحلة الطفولة المتأخرة (٦ - ١٢ سنة) التى هى بالنسبة لكومنيوس مرحلة التعليم فى المدرسة الأولية «مدرسة لغة الأم أو اللغة الوطنية The Vernacular School» كذلك ستقدم دراسة عامة لمؤلفه عالم الصور الذى ألفه لتعليم الأطفال فى المرحلة الأولية باستخدام الصور كوسيلة تعليمية.

كذلك فقد اتضح أنه لاتوجد نسخ لمؤلفه المسمى «مدارس الطفولة» ولكن كتاب المرشد العظيم يشمل فى الفصل الثامن والعشرين منه الآراء التى عرضها فى كتاب «مدارس الطفولة».

أما مايخص مؤلف «عالم الصور» Orbis Pictus فقد تمكنت بعد عناء من الحصول على صور له بالميكروفيلم «للنسخة الوحيدة باللغة الانجليزية والموجودة بالمتحف البريطانى وهكذا تمكنت من الحصول على نسخة كاملة للمؤلف.

وسنتناول آراء «كومنيوس» فى تربية الطفل من المهد إلى مابعد اتمام دراسته الإبتدائية بالتفصيل ومن ثم سيكون الكلام عن كتابيه «مدرسة الأم» School of Infancy «وعالم الصور» Orbi، Pictus.

ونستطيع أن نقول وبشكل غير مبالغ فيه أن «كومنيوس» باهتمامه بمرحلة الطفولة قد سبق عصره فهو أول شخصية أوروبية أولت الطفولة أهمية كبيرة، وأول من نادى فى عصره أنه فى هذه المرحلة ترسى قواعد الشخصية كما اعتبر الطفل هبه من هبات الله[١٦]. وأنه على الناس أن يقدروا هذه الهبات الإلهية المجبولة على الخير. كما قال أيضا أن الإنسان خير بالفطرة

فالطفل يولد وطبيعته الفطرية خالية من الشرور وإن علينا أن نحافظ على هذه الطبيعة الخيرة بالتربية السليمة فى سنوات الطفولة المبكرة. وكان كومنيوس ينظر دائما إلى الطبيعة ونظامها على أنها خير نموذج يحتذى به فى تربية الأطفال فقد شبه الطفل ببادرة النبات كما شبهه بالطائر الصغير وشبه مرحلة الطفولة بفصل من فصول السنة وهو الربيع ومن هذه التشبيهات المستمدة من الطبيعة كون الكثير من آرائه التربوية المدونة فى كتابه ركبة الأم.

مدرسة الأم: Schools of Infancy

يتبين من تقسيم «كومنيوس» الرباعى لمراحل التعليم أنه يرى ألا يخلو منزل من مدرسة للطفولة يربى فيها الأطفال ذكورا كانوا أم اناثا حتى يبلغوا السادسة من عمرهم[١٧]. والمقصود من هذا الكتاب هو تنبيه الأمهات إلى الطرق الواجب اتباعها فى تربية أطفالهن كما يوضح فيه مبادئ المعرفة الشاملة ففى تصوره أن الأطفال مثلهم مثل الفروع الصغيرة التى تنبتها بادرة النبات والتى ستصبح - فيما بعد - أعضاءها الرئيسية فينبغى - إذن - أن تغرس فى الطفل بذور المعرفة الشاملة تلك التى يجب أن يبدأ الإلمام بها إبتداء من سنوات حياته المبكرة[١٨]. أما تلك العلوم فهى:

أولا: الميتافيزيقا Metaphysic (علم ماوراء الطبيعة) يرى أن هذا العلم يجب أن يكون نقطة البداية فى تربية الطفل فالأطفال بالرغم من أنهم يرون ويسمعون ويتذوقون ويلمسون إلا أنهم لايدركون الأشياء التى يتحسسونها تماما بالتدريج فيكون لديهم مدركات عامة مثل شئ، أين، متى يشبه، أو لايشبه المخ وأن هذه الأشياء بداية علم الميتافيزيقا.

ثانيا: الفيزياء Physics يرى «كومنيوس» أن الطفل خلال السنوات الست الأولى من عمره يمكنه التعرف على ماهية الماء والأرض والهواء والغاز والمطر والثلج والصقيع والصخر والحديد والأشجار والحشائش والطيور

والأسماك والمواشى الخ. كما يتعلم أسماء أعضاء الجسم الظاهرة ووظائفها. ويرى «كومنيوس» أن هذه المعرفة من الممكن أن يتعلمها الطفل فى هذا السن وأنها تمهد له الطريق لدراسة العلوم الطبيعية فيما بعد.

ثالثا: مبادئ علم البصريات Optics عندما يبدأ الطفل يفرق بين النور والظلام يعرف الفرق بين الألوان الأساسية كالأسود والأبيض والأحمر ... فإنه يستطيع أن يتعلم مبادئ علم البصريات.

رابعا: مبادئ علم الفلك Astronomy تشتمل هذه المبادئ على معرفة الطفل للسماء والشمس والقمر والنجوم ويستطيع الطفل أن يتعلم مبادئ علم الفلك أيضا بمشاهدته للشروق وللغروب يوميا.

خامسا: مبادئ علم الجغرافيا Geography يتعرف الطفل عليها عندما يدرك طبيعة الجبال والوديان والسهول والأنهار ثم القرى والمدن والدول المحيطة بالمكان الذى نبت وترعرع فيه.

سادسا: علم التقويم Chronolgy عندما يفهم الطفل معنى الوقت كالساعة واليوم والأسبوع والسنة ومعنى الصيف والشتاء ومايقصد بكلمة أمس وأول أمس أو باكر ... إذا فهم الطفل هذا يكون قد تكونت لديه قواعد هذا العلم.

سابعا: علم التاريخ History يبدأ الطفل الصغير معرفة هذا العلم بأن يتذكر ثم يحكى ماحدث منذ وقت قريب وأيضا بأن يسرد عليه قصة شخص قام بعمل معين له قيمته فى حياته كطفل.

ثامنا: علم الحساب Arithmetic يستطيع الطفل فى هذا المرحلة أن يتعلم القواعد التى يرسو عليها علم الحساب فيتعلم أن يفرق بين القليل والكثير وأن يعد من الواحد إلى العشرة وأن يعرف أن الثلاثة أكثر من الاثنين وأن إضافة العدد واحد إلى العدد ثلاثة ينتج العدد أربعة.

تاسعا: مبادئ الهندسة: Geometry يتعلم الطفل مبادئ هذا العلم بأن يدرك معنى كبير، صغير، طويل، قصير، عريض، ضيق، سميك، رفيع، وأن يعرف الخط والصليب والدائرة، كما يتعرف على كيفية قياس الأشياء بالأقدام والياردات فإذا أدرك الطفل هذا فقد تعلم مبادئ الهندسة.

عاشراً: مبادئ علم الاستاتيكا: Statics يمكن للأطفال الالمام بهذه المبادئ عندما يرون الأشياء توزن أو عندما يبدأون فى تخمين وزن الشئ تقريبا دون ميزان باستخدام أيديهم للوزن فيفرقون بين الخفيف والثقيل(١٩).

حادى عشر: علم الميكانيكا: Mechanics يمكن تدريب الأطفال على هذا العلم بأن يستخدموا أيديهم باستمرار فى نقل الأشياء من مكان إلى آخر وفى إعادة تنظيمها. أو فى هدم شئ أو بنائه أو فى ربط عقد ثم حلها .. الخ وهذه أمور تستهوى الأطفال الصغار وينبغى أن يشجع الطفل عليها وأن يقدم له كل العون فى سبيل تأديته لها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا لأن هذه الأنشطة ماهى إلا محاولات للتعبير عن عقل نشط فى جهود ميكانيكية حركية.

ثانى عشر: تعلم الحوار Dialectic يتعلم الطفل العناصر العقلية المؤدية إلى التفكير المنطقى عن طريق الحوار بملاحظة الطريقة التى تسير عليها المناقشات عن طريق السؤال والجواب فيتعلم أن يسأل عن شئ ويجيب على الأسئلة التى توجه إليه ومن ثم ينبغى أن يدرب على توجيه أسئلة معقولة وأن يجيب على الأسئلة التى توجه إليه إجابة مباشرة.

ثالث عشر: تعلم قواعد اللغة Grammar إن أول معلم لهذا العلم هى الأم فالطفل يتعلم لغة الأم ومن ثم نبغى أن تعمل الأم على أن يتكلمها بعبارات صحيحة وذلك بنطقة للكلمات بمقاطعها وحروفها ونبراتها نطقا صحيحا.

رابع عشر: تعلم فن الخطابة والتعبير Rhetoric عندما يشب الطفل

يتعلم فن الخطابة والتعبير بأن يحاكى بعض العبارات التى يسمعها فى محادثات أفراد الأسرة مع الاستعانة ببعض التعبيرات الحركية الملائمة لما يقلده وأن يتحكم فى نبرات الكلمات التى ينطقها بحيث تتناسب ومايحاكيه فمثلا إذا كانت العبارات المنطوقة سؤالا فعليه رفع صوته فى المقاطع الأخيرة للكلمات أما إذا كانت إجابة عن سؤال فعليه خفض صوته فى المقاطع الأخيرة. ويرى «كومنيوس» أن هذه المهارات الكلامية يمكن الحصول عليها بطريقة تلقائية من قبل الطفل إلا أن التوجيه فى هذه الناحية يفيد الطفل كثيرا وخاصة إذا أخطأ(٢٠).

خامس عشر: تعلم شئ عن الشعر Poetry يتم ذلك بأن يحفظ الطفل مقطوعات شعرية صغيرة عن ظهر قلب ولاسيما إذا كانت تدور حول موضوعات أخلاقية.

سادس عشر: تعلم الموسيقى Music الخطوة الأولى فى تعلم الموسيقى تتم فى الكنيسة حيث يتعلم الطفل بعض الترتيلات البسيطة ويجب أن تكون هذه التراتيل جزءاً من عبادته اليومية.

سابع عشر: تعلم مبادئ علم الاقتصاد Economics تبدأ معرفة الطفل بهذا العلم عندما يتعلم أسماء أفراد أسرته بمعنى أنه يعرف ماتعنيه كلمات أب، أم وخادم، وخادمة ... الخ. كذلك إذا ما تعلم اسماء أجزاء المنزل مثل الصالة والمطبخ وحجرة النوم واسطبل الخيول وأيضا أسماء الأدوات المنزلية كالمنضدة وصحن الطعام والسكين والمكنسة(٢١).

ثامن عشر: تعلم السياسة Politics فى رأى «كومنيوس» أن الطفل فى هذه السن لم ينضج بعد ومن ثم فإن تعليمه السياسة أمر ليس باليسير ولكن يمكن تعريفه مبادئ السياسة بأن يذكر له أن إدارة الدولة تقتضى أن يجتمع بعض الرجال فى قاعة المداولة لتبادل الرأى وهؤلاء هم مستشارو الدولة وأن

بعض هؤلاء أعضاء والبعض الآخر وزراء والبعض الثالث رجال قانون.

تاسع عشر: مبادئ علم الأخلاق Ethics ينبغي أن تبنى قواعدها على أساس من الفضيلة ويقول «كومنيوس» أن التربية الخلقية تتم باتباع الآتي:

١ – أن يتعلم الطفل ضبط النفس بالاكتفاء بما يسد رمقه من الطعام.

٢ – أن يتعلم النظافة فيما يخص طعامه كما يعود على نظافة ملبسه أثناء تناول الطعام وأثناء اللعب.

٣– أن يحترم الطفل من يكبره سنا ويجب أن ننبه إلى ذلك.

٤ – أن يتعلم الطاعة بإطاعته للأوامر وباجتنابه للنواهي وتكون هذه الطاعة عن طيب خاطر في الحال.

٥– أن يطبع الطفل على الصدق في كل شئ ومن ثم لايسمح له بالكذب مطلقا سواء في الجد أو في الدعابة لأن الدعابة قد تتحول إلى الجد[٢٢].

٦– أن يتعلم الطفل العدل بأن يمنع من أخذ أو حفظ أو لمس أو إخفاء ما يخص الآخرين وأن يتعلم ألا يضايق أحداً أو يحقد على الآخرين.

٧– أن نشغل وقت الطفل وباستمرار إما بالعمل أو باللعب حتى لايألف الكسل.

٨– ينبغي أن يتعود الطفل الحرص على ضبط لسانه، وذلك بألا يكثر من الكلام وبألا يتفوه بكل مايعن له من فكر. وأن يتعلم السكوت التام في المقام الذى يتطلب ذلك وهذا يكون عندما يتحدث الآخرون أو في حضرة أشخاص مرموقين.

٩ – أن تغرس في الطفل عادة حب العطاء الفياض ومديد العون للآخرين

١٠ يجب أن يربى الطفل على الصبر لما له من أهمية كبرى في حياة المرء

فسوف يعين الصبر الطفل على التغلب على الكثير من مشاكله خلال حياته وبه تقوى نفس الطفل ويستطيع قهر النزوات.

١١- أن يعلم الطفل آداب السلوك بتدريبه على آداب اللياقة المتبعة فى الأوساط المهذبة مثل الطريقة المثلى للتسليم باليد والأسلوب الأمثل الذى يتبع فى طلب الشئ من الآخرين. والكيفية السليمة لثنى الركبة وتقبيل اليد برشاقة عندما يعبر الطفل عن شكره لأحد أكرمه ممن يكبره سنا.

١٢- أن نعلم الطفل حب التعاون مع الغير فهو من أنبل الخصال التى يتحلى بها المرء ومن ثم لابد أن ننشئ الطفل على هذه العادة منذ نعومة أظفاره. وعلى الشباب واجب مساعدة الطفل لتحقيق ذلك مااستطاعوا إليه سبيلا.

عشرين: تعليم مبادئ الدين Religion يعلم الطفل أن هناك إلها واحداً وإنه موجود حوله فى كل زمان ومكان. وأن الله عادل يجزى أحسن الجزاء لمن يحسن عمله ولمن يحمده ويشكره ويطلب منه العفو والمغفرة فى الحياة الدنيا والآخرة وأنه منتقم من مرتكبى الآثام فالطفل إذا عرف ذلك سيمتنع عن ارتكاب الخطايا وعن القيام بعمل لايرضيه كما أنه يرغب فى محبة الله ومن ثم يحيا حياة يشعر فيها بأنها مع الله سائر معه وفى ركابه

حادى وعشرين: وهكذا - يقول «كومنيوس» - يمكن أن يطبق على الأطفال ماقد قاله القديسون عن المسيح بأنه نما وتقدم بالحكمة والعظمة يظله رضاء الله والناس عنه[٢٣].

ثانى وعشرين: يقول «كومنيوس» أنه الآن قد وصف الأعمال التى ينبغى أن تتم فى تربية الطفل فى مدرسة الأم وإنه لايمكن أن يعطى تفصيلا أوفى منه أو يعطى جدولا زمنيا يبين نظام العمل فى تربية الطفل فى المنزل فى السنة الواحدة أو فى الشهر الواحد أو فى اليوم الواحد - علما بأن هذا ممكن جدا فيما يتصل بالمدرسة الأولية والمدرسة الثانوية - ويرجع عدم قدرته على

تفصيل العمل فى تربية الطفل فى البيت إلى ما يلى:

أولا: لايمكن للآباء والأمهات الذين تشغلهم أعمالهم فى الحياة اليومية تخصيص أوقات محكمة لتربية أطفالهم كما يحدث فى حالة المعلمين فى المدارس الذين هم متفرغون لعملية تربية النشئ.

ثانيا: إن الأطفال فى سنواتهم الأولى يتفاوتون فى السرعة التى تنمو بها مداركهم المختلفة فبعض الأطفال الذين أتموا عامين من عمرهم قد يتفوقون فى الكلام وفى الذكاء عن أطفال آخرين فى الخامسة من عمرهم وعلى ذلك فإنه فى هذه المرحلة المبكرة من عمر الطفل يجب أن تترك أمور كثيرة لحكم الآباء والأمهات.

ثالث وعشرين: إلا أن «كومنيوس» يقول إنه من الممكن مساعدة الآباء فى تربية أطفالهم فى تلك المرحلة بطريقتين:

الأولى: هى تأليف كتاب تعليمات يعطى للأباء والمربيات تبين فيه واجباتهم بالتفصيل لتبقى نصب أعينهم وفى هذا الكتاب يمكن توضيح جميع المعلومات التى ينبغى أو يجب أن يتعلمها الطفل مع ذكر أنسب الأوقات وأفضل الطرق لتعليمها ويكون عنوان الكتاب «توجيهات تخص مدرسة الأم» Informatory of the Mother School ويقول كومنيوس إنه سوف يقوم بتألف هذا الكتاب بنفسه[٢٤].

رابع وعشرون:

أما الطريقة الثانية: التى تساعد على تعليم الأطفال فى مدرسة الأم (الأسر) فهى عبارة عن كتاب مصور يعطى للطفل ليتصفحه وتلك أفضل وسيلة لتعليم الأطفال فى هذه السن المبكرة إذ أن تعليمهم يرتكز على استخدام حواسهم[٢٥] ولما كان البصر هو أهم حواس الإنسان فإن رؤية صور

أهم الأشياء فى عالم الفيزياء والبصريات والفلك والهندسة .... الخ. وهذه الصور يمكن أن ترتب حسب الموضوعات الخاصة التى ستعلم للطفل والتى ذكرها «كومنيوس» من قبل ففى هذا الكتاب المصور ينبغى أن توجد صور للجبال والوديان والأشجار والطيور والأسماك والجياد والثيران والاغنام والرجال فى أعمار مختلفة وأطوال مختلفة. كذلك فإن النور والظلام لابد من التعبير عنهما بالصور وكذلك أسماء الشمس والقمر والنجوم والسحب، كما توضح بالصور أيضا الألوان الرئيسية وبالإضافة لذلك تكون هناك صور تتصل بالمنزل والورشة (ورشة النجارة) مثل الأطباق والشواكيش والكماشات وغيرها. كما يعبر بالصور أيضا عن رجال الدولة وفئاتها كالملك وهو ممسك بصولجانه ويلبس تاجه وكالجنود الذين يحملون السلاح وكالفلاحين وهم بجانب المحاريث وسائقى العربات وعرباتهم وعربة البريد وهى تجرى بأقصى سرعة وتكتب أسماء الصور كل صورة وفوقها اسمها.

خامس وعشرين: وسوف يكون لهذا الكتاب المصور ثلاث فوائد هى:

أنه سوف يساعد على ترك أثر فى عقل الطفل يأتيه عن طريق حاسة البصر.

أنه سوف يعلم الطفل الصغير أن هناك استمتاعا لطيفا يمكن الحصول عليه من الكتب.

أنه سوف يساعد الكتاب الأطفال على تعليم القراءة ذلك لأنه لما كانت كل صورة معبر عنها باسمها مكتوب فوقها. فإن هذه أول خطوة نحو تعليم القراءة[٢٦].

هذه المبادئ التى وضعها كومنيوس فى كتاب مدرسة الأم أو فى الفصل التاسع والعشرين من كتاب المرشد العظيم.

صورة للمدرسة الأولية (مدرسة اللغة الوطنية)

Sketch of the vernacular School[٢٧]

بالرغم من الرأى الذى شاع فى عصره حول تعليم الأطفال اتجه نحو التمييز بين أطفال الطبقة الثرية الذين كان فى مقدورهم التعليم فى المدرسة اللاتينية التى تؤدى بهم إلى التعليم العالى، وبين أطفال الطبقات الفقيرة الذين كانوا يعلمون فى المدرسة الأولية ويتضح هذا من رأى الستد Alsted أستاذ كومنيوس الذى كان يرى ألا يتعلم فى المدرسة الأولية إلا الصغار من الجنسين الذين سوف تصبح مهنهم مهنا عملية ويدوية بينما يذهب أبناء الأثرياء للمدرسة اللاتينية (الاكاديمية). إلا أن كومينوس اختلف عن هذا الرأى الشائع وأكد ضرورة تعليم جميع الأطفال ذكورا وأناثاً فقراء وأغنياء فى المدرسة الأولية أو مدرسة لغة الأم التى تمثل التعليم المشترك لجميع الأطفال والتى يكون التعليم فيها بلغة الأم - أولا - ودعم رأيه بالأسانيد الآتية:

أولاً: إن التربية التى اقترحها تشمل كل ما يصلح لتربية الرجل ولما كان الأطفال قد ولدوا لهذا العالم ليصبحوا رجالا لذلك ينبغى أن يقتسموا الحقوق ويجب أن يعلموا سويا حتى يشجع بعضهم البعض على التعليم.

ثانيا: لما كان من الضرورى تدريب جميع أفراد الشعب على التواضع وعلى السلوك الاجتماعى السليم وتعويدهم آداب اللياقة لذلك كان من غير المرغوب فيه أن تخلق فوارق بين الطبقات بل يتعلم الجميع سويا ما أمكن وذلك حتى لايشعر أحد بنقص أو بزهو وكبرياء.

ثالثا: أنه فى سن السادسة لايمكن التكهن بالمهنة التى سوف تناسب الإنسان وما إذا كان سيصلح للتعليم العالى الأكاديمى أو التعليم اليدوى والمهنى إذ أنه فى هذه السن المبكرة لاتتضح القدرات ولا الميول لدى الصغار

حتى يمكن تكوين رأى حول مستقبلهم. هذا بالإضافة إلى أن دخول المدرسة الثانوية لاينبغى أن يقتصر على أبناء الاغنياء والنبلاء والحكام كأن هؤلاء الأبناء هم وحدهم القادرون على هذه المناصب الرفيعة(٢٨).

رابعا: يوضح «كومنيوس» أن تعليم اللغة اللاتينية ذلك الهدف الذى كان يسعى إليه الجميع والأمل الذى ينشدونه غالبا مايضيع هباء لعدم جدواه ويرى أن تعليم اللغات الحديثة مهمة أيضا لذلك فلاينبغى أن يحرم أى تلميذ من ذهابه إلى المدرسة الأولية هذا بالإضافة إلى أن محاولة تعليم أى لغة أجنبية قبل تعليم لغة الأم (الوطنية) أمر غير منطقى(٢٩).

خامسا: فيما سبق بين أن التعليم ينبغى أن يسير من خطوة إلى أخرى لذلك فإنه يرى أن تعليم اللغة اللاتينية للصغار الذين لايعرفون لغتهم الوطنية (لغة الأم) أمر غير منطقى إذ أن لغة الأم تمهد السبيل لتعليم اللغة اللاتينية. ومن هذا المنطلق فإن «كومنيوس» يعرف هدف المدرسة الأولية بما يأتى:

«أن الهدف من تلك المدرسة (المدرسة الأولية) تعليم جميع الصغار الذين تتراوح أعمارهم بين ست سنوات واثنتى عشر سنة كل الأشياء ذات المنفعة لهم التى يستمر نفعها خلال حياتهم».

منهاج المدرسة الأولية:

أولا: تعليمهم القراءة بطريقة سهلة وبحيث تكون حروف الطباعة كبيرة بلغة الأم.

ثانيا: تعليمهم الكتابة بدقة وبطء ثم بسرعة وأخيراً بثقة أما بالنسبة للقواعد اللغوية الخاصة بلغة الأم فإن تلك القواعد ينبغى أن تكتب على هيئة قوانين يحفظها الصغار.

ثالثا: أن يتعلموا العد بالأرقام.

رابعا: أن يتعلموا كيف يقيسون الأبعاد طولا وعرضا والمساحات بمهارة.

خامسا: أن يتعلموا الغناء غناء الألحان المعروفة أما الذين يظهرون ميولا موسيقية فينبغى تعليمهم الموسيقى على مستوى عال.

سادسا: أن يتعلموا عدداً كبيراً من تراتيل ومزامير الكنيسة المستعملة فى البلاد ذلك لأنهم إذا تعلموا حمد الإله وشكره عن طريق الصلوات والتراتيل والمزامير فإن قلوبهم سوف تتجه إلى الله.

سابعاً: بالإضافة إلى التعاليم الدينية Catechism (بطريقة السؤال والجواب) فإنه ينبغى أن يعرف معظم القصص الدينية والنصوص الهامة فى الكتاب المقدس وأن يحفظ بعضها عن ظهر قلب.

ثامنا: ينبغى أن يتعلم مبادئ الأخلاق، عن طريق القواعد والتطبيق بها بما يناسب سنه حتى يفهمها ويسلك وفقها.

تاسعا: ينبغى أن يتعلم مبادئ الاقتصاد والسياسة بالكم المناسب الذى يمكنه من فهم مجريات الأمور فى الأسرة والدولة.

عاشرا: تشمل دراسة التلميذ فى هذه المدرسة أيضا دراسة عامة لتاريخ العالم كيف بدأت الخليقة وكيف استمرت فى ذلك الوقت.

حادى عشر: ينبغى أن يتعلم التلميذ أهم المعلومات عن جغرافية العالم مثل كروية الأرض والظواهر الطبيعية والجغرافيا الطبيعية التى تخص الجبال والأنهار والبحار ثم أجزاء الكرة الأرضية التى منها قارة أوروبا وأسماء أهم المدن والجبال والأنهار وأهم مميزات كل دولة فى أوروبا.

ثانى عشر. وأخيراً ينبغى أن يعلم أهم مبادئ فن الميكانيكا (فن الآلات) حتى لايكون جاهلا بما يجرى فى إحدى هذه المجالات.

إذا تعلم التلاميذ فى المدرسة الأولية كل هذه الأشياء فإنهم عند دراستهم للغة اللاتينية فى المرحلة التالية أو عندما ينخرطون فى بعض المهن الزراعية والتجارية أو غيرها فإنهم سوف لايجدون أشياء جديدة لايعرفون عنها شيئا كذلك سيكونون على علم بما يسمعونه فى الكنائس وعلى قدرة تمكنهم من استيعاب ما يقرأونه فى الكتب وأن ما ينقصهم فقط هو تطبيق علمهم فى الحياة.

نظام المدرسة الأولية:

ينصح «كومنيوس» أن يكون نظام المدرسة كالآتى:

١ – يقسم التلاميذ فى المدرسة إلى ست فرق لكل فرقة حجرة خاصة.

٢ – تعد كتب خاصة لكل فرقة من الفرق تشمل كل العلوم التى ينبغى أن يتعلموها سواء أكانت بالعلوم، أو الآداب، أو الأخلاق، أو الدين وتشمل الكتب أيضا كتب تعليم لغة الأم (اللغة الوطنية) بقواعدها بالكلمات والجمل والعبارات التى تناسب أعمار التلاميذ فى هذه المرحلة.

أما الكتب فيرى كومنيوس أن تكون إعدادها ستة كتب لكل علم من العلوم تناسب كل فرقة من فرق للمدرسة وألا تكون الكتب معقدة فى كتاباتها بل تكون لغتها واضحة وجذابة ومثيرة للاهتمام. وأن تعطى للكتب عناوين تثير اهتمام الصغار تستعار أسماؤها من محتويات البستان. ويراعى فى كتابه بعض المصطلحات فى العلوم المختلفة أن يدرسها الصغار بلغة الأم حتى إذا ما درسوها فيما بعد باللغة اللاتينية تكون مفهومة لديهم. كما يرى أيضا أن المصطلحات إذا تعلمها الصغير بلغة غير لغة الأم فسوف يجد صعوبة فى تذكرها فيجب أن يتعلمها بلغة الأم وسيساعده هذا على تقوية لغته الأم ولايسمح لهم بتقليد اللغات الأخرى[٣٠].

وقد يقول البعض «أن لغة الأم لاتتسع لكل المصطلحات العلمية التى يعبر عنها باللغة اللاتينية واليونانية وإنه ينبغى استعمال هاتين اللغتين فى بعض المصطلحات».

ويرى «كومنيوس» أنه يمكن أن تصاغ كلمات بلغة الأم يعبر بها عن المصطلحات إذا أمكن ذلك لأن اللغة اللاتينية واليونانية قد ابتدعت كلمات تناقلتها الأجيال وثبتت فيها.

قواعد تعلم الصغار من الكتب:

هناك قواعد لو اتبعت فإن تعليم الصغار من الكتب سيكون ميسوراً أما هذه القواعد فهى:

١ - أن يكون عدد الحصص اليومية اربعا اثنتان منها قبل الظهر واثنتان بعد الظهر. على أن نشغل باقى ساعات اليوم إما فى التريض recreation النفسى والجسمى أو فى أعمال المنزل domestic Work وهذا يخص مدارس أطفال الفقراء.

٢ - وتخصص ساعتا الصباح لتدريب العقل والذاكرة أما ساعتا بعد الظهر فتخصصان لتدريب اليد والصوت (ويقصد الأعمال اليدوية والغناء).

٣ - فى الصباح ينبغى أن يقرأ المدرس الدرس عدة مرات خلال ساعة واحدة بينما ينصت التلاميذ له ويوضح خلال هذه الساعة بعض الأشياء التى تحتاج إلى توضيح بلغة سهلة يمكن أن يفهمها الصغار. ثم يطلب من الصغار أن يقرأوا الدرس بصوت عال الواحد تلو الأخر وبهذه الطريقة يستمر الدرس لمدة نصف ساعة وفى نصف الساعة الأخر يكون الأولاد قد حفظوا النص الذى يقرأ فيبدأون فى تسميعه.

٤ - لاتعطى دروس جديدة فى ساعات بعد الظهر ولكن يمكن إعادة دروس

الصباح وبعد ذلك يقوم الصغار بنسخ أجزاء من الدروس التى يقرأها المعلم فى ساعات الصباح. ويشترط أن ينسخ التلاميذ النصوص من الكتب بخط جيد لتدريب أيديهم على الكتابة هذا بالإضافة إلى أن النسخ سوف يثبت المادة فى عقولهم.

ويقول «كومنيوس» أنه إذا استمر التدريب على هذا المنوال فإن الصغار سيتعلمون بسرعة وبدقة بالإضافة إلى أن الآباء سيتأكدون أن أبناءهم لايضيعون الوقت الذى يمضونه فى المدرسة سدى.

وفى نهاية العمل يقول أن أحسن وقت ليبدأ فيه الأطفال دراسة لغات أخرى غير لغة الأم هو عندما يبلغون من العمر العاشرة إلى الثانية عشرة أى فى الوقت الذى تنتهى فيه الدراسة فى المدرسة الأولية وتبدأ فيه مدرسة اللغة اللاتينية[٣١].

Joh. Amos Commenii

ORBIS SENSUALIUM PICTUS.

Hoc est,

Omnium fundamentalium in Mundo Rerum, [illegible]

[illegible] Nomenclatura

JOH. AMOS COMMENIUS'S

Visible WORLD.

OR,

A *Picture* and *Nomenclature* of all the chief Things that are in the world, and of Mens Employments therein.

A Work newly written by the Author in Latine, and High-Dutch [illegible] one of his last *Essays*, and the most [illegible] to Childrens capacities of any [illegible] hath hitherto made, & translated into English,

By CHARLES HOOLE, Teacher of a Private Grammar-School in *Lothbury*, LONDON

For the use of young Latine Scholars.

Nihil est in intellectu, quod non prius fuit in sensu. Arist.

LONDON,

Printed for *J. Kirton*, at the *Kings Arms*, in Saint *Paules* Church-yard, 1659

شكل رقم (١)

كتاب عالم الصور Orbis Pictus

ألف «كومنيوس» هذا الكتاب ونشر فى عام ١٦٥٧م وسماه عالم الصور[٣٢] وقد اشتمل على جميع المعارف التى رأى كومنيوس وجوب تقديمها للأطفال الصغار. وكتب فى مقدمة هذا الكتاب (كما هو واضح فى الشكل السابق رقم ١) موجها كتابته إلى القراء ما يأتى:

«إعطاء توجيهات فى الوسائل التعليمية وتزويد الصغار بكل مايحتاجون إليه فى المدرسة بطريقة تجعل التعليم (أولا: صادقا، ثانيا كاملا، ثالثا واضحا، رابعا راسخا)[٣٣]. وتوضيح هذه التوجيهات كما يلى:

أولا: يكون التعليم صادقا عندما نعلم شيئا ذا قيمة لحياة الإنسان وإلا فسوف يكون هناك نفور من التعليم فيما بعد.

ثانيا: يقوم التعليم بصقل العقل ويزود المتعلم بالحكمة ويدرب اللسان على الطلاقة والأيادى على العمل بغية حياة نظيفة مرتبة وهكذا يكون التعليم كاملا بمعنى أنه يعطى للحياة نوعا من الجمال والوفاء ويزودنا بالحكمة ويعلمنا كيف نسلك وكيف نتكلم.

ثالثا: يكون التعليم المقدم واضحا وغير معقد عندما تتضح فيه الطلاقة والبساطة كوضوح الأصابع فى اليد.

رابعا: عندما يكون التعليم المقدم واضحا كما أسلفنا ويكون بالتالى راسخا. ولقد أكد «كومنيوس» وبشدة على أهمية استخدام الحواس فى التعليم وفى ذلك يقول «أقول هذا وأقوله مرارا وبصوت عال بأن استخدام الحواس فى التعليم هو أساس كل تعليم لأننا لايمكننا أن نسلك أو نتكلم بطريقة جيدة إلا إذا فهمنا أولا جميع الأشياء. إنه لايوجد أى شئ فى عقولنا إلا إذا ادركناه أولا عن طريق حواسنا ولذلك فإنه من

أجل تدريب الحواس تدريبا جيدا فى كيفية إدراكها للأشياء والفروق الموجودة بينها إذا تمكنا من هذا فإننا نكون قد وضعنا أساس الحكمة وأساس التعامل مع الناس والسلوك العام والمباشر خلال حياتنا كلها»[٣٤].

ويقول كومنيوس ناقدا التعليم فى ذلك الوقت «إن كل ما يعلم الآن فى المدارس يعلم بطريقة لفظية لايفهمها التلاميذ ولاتعرض عليهم بطريقة سليمة ولذلك فالتعليم يذهب هباء»[٣٥].

وصف كومنيوس للكتاب: إنى فى هذا الكتاب أعرض مجموعة شيقة من الصور بغية تعليم أفضل عن طريق الصورة والكلمة والأسم لجميع الأشياء الموجودة فى العالم. ولجميع ما يقوم به الناس من أعمال فى هذه الحياة ولسوف أوجه المدرسين إلى الطرق التى يمكن بها استخدام مافى هذا الكتاب. ويقول مسترسلا فى وصف الكتاب «إنه كتاب صغير إلا أنه عبارة عن مختصر للعالم كله وللغة كلها إنه كتاب ملئ بالصور والأسماء وصفات جميع الأشياء الموجودة فى العالم»[٣٦].

فائدة الكتاب:

يبين «كومنيوس» الفائدة التى يرجوها للتلميذ الصغير من استخدام هذا الكتاب فيما يلى:

أننى أشعر أن التعب الذى تكبدته فى هذا الكتاب قد أتى بفائدة كبيرة وذلك للآتى:

١ - فعن طريق هذا الكتاب نستطيع أن نجذب التلاميذ النابهين للتعليم وأن نقدمه لهم دون عناء. لأن كل الأطفال حتى من هم فى دور الحضانة فى أعمارهم المبكرة لايملون الصور التى تسر أعينهم.

٢– إن جذب هذا الكتاب للأطفال ودفعهم نحو التعليم يثير انتباهم وسوف يشحذ هذا الإنتباه أكثر فأكثر وهو أمر مرغوب فيه ذلك لأن الاحساسات هى دليل الأطفال للمعرفة – لأن عقولهم لازالت غير قادرة على التأمل – هذه الإحساسات سوف تجد الأشياء أمامها دون عناء أو تفكير فتثبت انتباهم عليها دون إرغام، فهذا الكتاب إذن خدمة للأطفال.

٣– أما الفائدة الثالثة فهى تعليم الأطفال مبادئ اللغة اللاتينية بطريقة سهلة ومريحة: تساعدهم على فهم كتابى الباب Janua Linguarum والدهليز Vestibulum وهذا غرض من أغراض تأليف هذا الكتاب. لأن هذا الكتاب أيضا ذو منفعة كبيرة إذ أن أسماء الأشياء فيه مكتوبة باللغة الوطنية (الأم) التى يتعلمها الطفل[٣٧].

فوائد التعليم باللغة الوطنية:

١– إن التعليم باللغة الوطنية له فوائد مختلفة منها:

أنه وسيلة للقراءة بطريقة أسهل خصوصا وأن هناك حروفا أبجدية تكون الكلمات فتسهل عليهم نطق اسم الصورة فكلما نظر الطفل إلى الاسم فإنه يرى صورة الشئ أمامه كما يرى تفاصيل الأسم فى حروف ومقاطع وهذه العملية ذات تأثير متبادل بين الصورة والاسم وبهذه الطريقة يتعلم الطفل القراءة بسهولة.

٢– إن هذا الكتاب يعلم اللغة المنشودة بطريقة تتدرج من السهولة إلى الصعوبة إذ أن الجمل والعبارات مرتبة ترتيبا تصاعديا من السهولة للصعوبة.

٣– إن تعليم اللغة الوطنية من هذا الكتاب سوف يساعد أيضا على تعلم اللغة اللاتينية فى نفس الوقت إذ يراعى أن هذا الكتاب يشمل اللغة الوطنية ومرادفاتها باللغة اللاتينية ويعبر «كومنيوس» عن هذا بقوله «إن هذا مثل

إنسان يلبس حلتين بدلا من حله في وقت واحد! وإذا وجدت عبارات في أسفل الصور فهي لتفسير الفروق في التراكيب في الجمل واللغة بين اللغة الوطنية واللغة اللاتينية.

طريقة استخدام الكتاب:

يجب أن يراعى في استخدام الكتاب مايلي:

١- ليعطى هذا الكتاب للأطفال في أيديهم ليتصفحوه ويسعدوا بالصور ويتعرفوا عليها بأنفسهم حتى في البيت وقبل استعماله في المدرسة.

٢- أن يتعرفوا في المدرسة على الصور وأسمائها مرة تلو الأخرى حتى يلموا بمعرفة أسماء وأجزاء كل مايرد في الصورة.

٣- بالإضافة إلى رؤية الصور في الكتاب ينبغي أن يتعلموها من رؤية الأشياء نفسها مثل أجزاء الجسم، الملابس، الكتب، وأدوات المنزل وغيرها.

٤- ينبغي أن يقلدوا الحركات التي تمثلها بالصور لأن هذا يساهم في تذكرهم للأشياء. كذلك فإن الصور تمكنهم من تعلم نسبة الأحجام والأبعاد.

٥- إذا كانت هناك أشياء مذكورة في هذا الكتاب ولم تكن لها صورة يراها التلميذ فليس هناك داعي لإعطائها للتلاميذ بمفردها ولكن لابد من رؤيتها ومعرفتها في المدرسة وتحت إشراف معلم

نماذج من كتاب عالم الصور:

يتضح من طريقة عرض الكتاب أنه أتخذ هيئة موضوعات - لكل صورة موضوع خاص وقد أعطى أجزاء الصور أرقاما كما هو واضح من النموذج التالي شكل رقم (٢).

XXXIX.

الـراس و اليد	*Caput & Manus.*	The Head and the Hand.



فى الراس يوجد	In the Head are,	In Capite sunt
الشعر	The Hair, 1.	*Capillus*, 1.
الذى يمشط	(which is combed	(qui pectitur
بالمشط	with a Comb, 2.)	*Pectine* 2.)
أذنــان	two Eares, 3.	*Aures* 3. binæ,
الاصداغ	The Temples, 4.	& *Tempora*, 4.
والوجه	and the Face, 5.	*Facies*. 5.
فى الوجه يوجد مايانى :	In the Face are,	In facie sunt
الجبهة	the Forehead, 6.	*Frons*, 6.
العينين	both the Eyes. 7.	*Oculus* 7. uterque,
الانف	The Nose, 8.	*Nasus* 8.
فتحات الانف	(with two Nostrils)	(duabus *Naribus*)
الفم	The Mouth, 9.	*Os*, 9.

الوجنتان	the Cheeks 10.	Genæ (Malæ) 10.
الذقن	and the Chin. 13.	& Mentum. 13.
بحد الفم	The Mouth is fenced	Os septum est
الشارب	with a Mustacho, 11.	Mystace, 11.
والشفتان	and Lips. 12	& Labiis, 12.
اللسان والزور	a Tongue and Palate,	Lingua cum Palato,
والاسنان	and Teeth 16	Dentibus 16
على الاصداء	in the Cheekbone.	in Maxillâ.
يوجد شعر والذقن	A mans Chin is co-	Mentum virile
مغطاء بالشعر	vered with a Beard, 14	tegitur Barbâ, 14.
	and the eye,	Oculus verò,
العين بها البياض	(in which is the white	(in quo Albugo
المقلة	and the Apple)	& Pupilla)
والجفنان	with eye-lids,	palpebris
والحاجان	and an eye-brow 15.	& supercilio 15.
اليد مضمومة	The Hand being	Manus contracta,
هي قبضة	closed, is a Fist; 17.	Pugnus 17. est;
واليد مفتوحة هي	being open, is a	aperta,
تجويف الكف	Palm 18. (hollow 19.	Palma, 18.
في وسط اليد	in the midst, is the	in medio, Vola, 19.
المفتوحة	of the Hand, the extre-	
في طرفها الابهام	mity is the Thumb, 20.	extremitas, Pollex, 20.
ثم اربع اصابع	with four Fingers,	cum quatuor Digitis,
السبابة	the fore-finger, 21.	Indice, 21.
الوسطى	the middle-finger, 22	Medio, 22.
الخنصر	the Ring-finger, 23	Annulari 23.
البنصر	and the little-finger, 24	& Auriculari, 24.
بكل اصبع ثلاث	In every one are three	In quolibet
مفاصل اب ج	joynts a.b.c (d e f.	sunt articuli tres a.b.c.
وثلاث عقل	and as many knuckles	& totidem, Condyli d.e.f.
الاظافر	with a Nayl, 25.	cum Ungue. 25.

G The

يتضح مما سبق من الدراسة التى قدمتها لأهم آراء كومنيوس فى تربية الطفل فى الأسرة ثم المعارف التى ينبغى أن يزود بها فى فترة تربيته فى الأسرة أو كما أسماها مدرسة الأم ثم تصوره لما يجب أن تكون عليه المدرسة الأولية (أو مدرسة لغة الأم) من حيث أهدافها ونظامها ثم من الدراسة التى قدمتها لمؤلفه المصور المعروف بعالم الصور والذى يشمل - كما يتصور كومنيوس - المعلومات الموسوعية التى يرى أن يتعلمها الطفل فى المدرسة الأولية أو مدرسة لغة الأم يتضح أن معظم تفكيره كان يفتقر للدقة بالرغم من مجهوداته الفكرية فى هذا الصدد ذلك لأنه كان تفكيرا اجتهاديا بناء على تأملاته وبعض تجاربه فى التعليم ثم تأثره بحركة موسوعية المعرفة التى كانت شائعة فى عصره بالإضافة إلى معتقداته الدينية ثم دراساته للمؤلفات الكلاسيكية ومؤثرات الحروب التى عاش خلالها ثم بزوغ فجر الاختراعات والاكتشافات العلمية التى كانت آخذة فى التقدم فى عصره هذا بالإضافة إلى اطلاعه على الفكر التربوى لبعض معاصريه من أمثال «ألسند» و «أندريا» وبعض من سبقه وبخاصة «فرانسيس بيكون» و «راتك».

إن ملامح «كومنيوس» تظهر فى طريقة التعليم التى تسمى بنظام العرفاء أو القلفوات The Monetorial System التى ابتدعها «أندرويل»[٣٨] وبعده بقليل «جوزيف لانكستر»[٣٩] وقد وصل كل منهما إلى هذه الطريقة مستقلا عن صاحبه ولكن هذه الطريقة ابتدعت من قبل ذلك فى القرن السابع عشر فقد وصفها كومنيوس فى كتابه «المرشد العظيم» فى الفصل التاسع عشر[٤٠]. وتتلخص هذه الطريقة فى تقسيم الصغار إلى مجموعات من عشرة أطفال يتولى تعليمهم قلفه أو عريف Monitor وهو تلميذ أكبر سنا ونوعا وأعلى مستوى فى المعرفة ويقوم المعلم بتعليم القلفوات أو العرفاء الدرس الذى سيقوم بتعليمه للصغار وبعد ذلك يقوم القلفوات بتعليم مجموعاتهم تحت إشراف وإرشاد المعلم[٤١].

وقد أخذت مصر طريقة القلفوات أو العرفاء عن فرنسا فى عام ١٨١٤م وكان يسميها الفرنسيون التعليم المتبادل L'enseignement mututel وطبقت فى بعض الكتاتيب الأولية[٤٢].

لقد كان غرض «كومنيوس» من التربية هو تحصيل المعرفة والتحلى بالفضيلة والتمسك بالصلاح وهذا غرض شبيه بما كانت عليه التربية فى الأزهر فى عهوده الأخيرة أى أن يصير المسلم عالما، فاضلا، صالحا، ومن الطبيعى أن تكون أغراض التربية عند رجل دينى مثل كومنيوس دينية أيضاً[٤٣].

لقد كان هناك كتاب آخرون ألفوا فى شئون التربية ووضعوا لها قواعد ولكن أحداً منهم لم يكن لديه هذا القدر من التعاطف مع الأطفال مثل كومنيوس أو قدرته على التحليل وعمق التفكير قد نافسه فيها كثيرون. وعندما خرجت أعمال «كومنيوس» إلى النور فقد اكتشف أن ذلك القسيس الواقعى الذى عاش وعمل فى القرن السابع عشر كان أول من اعتنى بالتعليم وتناوله بالروح العلمية وعالج مشكلاته عمليا فى المدارس وحجرات التدريس. ولذلك فإنه يعتبر من أهم المربين أصحاب الرأى فى تطور التعليم الحديث[٤٤]

إن بعض الأفكار والآراء فى تربية الصغار التى جاءت فى كتابات «كومنيوس» تكاد تكون معمول بها فى أوقاتنا حاليا فتقسيمه لمراحل التعليم مثلا هو التقسيم الذى تسير عليه معظم المجتمعات فى عصرنا من الميلاد إلى السادسة (مرحلة الطفولة) من السادسة إلى الثانية عشرة (المرحلة الأولية) من الثانية عشرة إلى الثامنة عشرة (المرحلة الإعدادية والثانوية) ثم من الثامنة عشرة إلى الرابعة والعشرين (الدراسة الجامعية). كذلك فإن تأكيد كومنيوس على استخدام الحواس فى التعليم وخصوصا الصغار وضرورة الاستعانة بالوسائل التعليمية فى التدريس سواء كان موضوع الدرس نفسه وإن لم يوجد فيستعاض عنه بشكل مجسم أو صورة الخ. إنما هى أفكار تتمشى مبادؤها مع ما يحدث

فى عصرنا الحالى ولو اختلفت الوسائل التعليمية نوعا.

أهم المبادئ التربوية العامة لكومنيوس ومبادئه فى تربية الطفل:

سنحاول فى النهاية إختيار أهم المبادئ التى جاءت فى كتابات «كومنيوس» فى التربية عموما وفى تربية الأطفال خصوصا. وذلك بإعطاء فكرة كلية عن هذه الآراء مجتمعة وذلك لضرورة شمول الصورة التى تصورها «كومنيوس» عن التربية. لقد كان جل اهتمام «كومنيوس» فى التربية منصبا على تعليم المرحلة الأولى أو مرحلة لغة الأم فيما يخص التعليم المدرسى ثم فى تربية الطفل فى الأسرة حتى أنه وضح المعلومات التى يجب على الأمهات تعليمها للصغار قبل ذهابهم المدرسة فإن الأم لديه كانت خير مرب للطفل فى سنواته الأولى.

وكانت هناك فكرتان سيطرتا على تفكير كومنيوس فى تربية الصغار أولاهما: فكرة تقليد نظام الطبيعة فى التربية والثانية: هى فكرة وجوب إحاطة المتعلمين بالمعرفة الشاملة الموسوعية. وهاتان الفكرتان تأتيان ضمن باقى أفكاره فى ظل فلسفته الواقعية الحسية وهى أن المعرفة لاتصل إلى العقل إلا عن طريق الحواس والتجريب الشخصى فالحواس هى أدوات العقل ورسله والتجريب والممارسة ضروريتان وهما جزء من استخدام الحواس وتدريبها إلا أن واقعية «كومنيوس» فى التربية تميزت بكونها مغلفة بغلاف دينى اخلاقى فإنه بتأكيده أن التعليم الصحيح ينى على استخدام الحواس للحصول على المعرفة المباشرة بينما فى نفس الوقت تأكيده على أن هدف التعليم هو الحصول على المعرفة لكن التحلى بالفضيلة والتكمل بالتقوى لايقلان أهمية عن الحصول على المعرفة. هذا بالإضافة إلى تأكيده على أن هذه الحياة ليست إلا مرحلة انتقال إلى عالم الخلود.

كذلك فإن تأكيده على إنسانية الإنسان وأصالة الخير فى طبيعته وعلى أن

الإنسان هو سيد المخلوقات وأنه خلق فى أكمل صورة وكرمه الله لأنه فى صورته وهو خليفته على الأرض كل هذه أيضا تؤكد فلسفته الدينية المتغلغلة فى تفكيره فى شئون التعليم.

ولاننسى أيضا فكرته عن ضرورة شمول المعرفة التى يجب أن يلم بها المتعلم فالإنسان وهو فى صورة الخالق يجب أن يكون شامل المعرفة محيطا بها تشبها بخالقه الذى يعلم كل شئ.

ولقد رأى «كومنيوس» فى الطبيعة خير نموذج يحتذى به إذا أراد الإنسان أن يتقن عملا سواء كان صانعا ماهراً أو كان معلما ومربيا وعلى ذلك فإنه إذا أريد إصلاح المدارس والتعليم فيها فليكن نظام الطبيعة هو الذى يحتذى به.

وكان له رأى واضح فى استخدام الحواس فى تربية الصغار إذ اعتبر الحواس رسل العقل تنقل إليه المعارف حيث يسجلها ويختزنها ومهما كان حجم المعرفة فإن العقل البشرى لايضيق بها ذلك لأنه لاحدود له ولا لقدراته. وكان يرى أن التعليم - تعليم الصغار - ينبغى أن يبدأ بالبسيط ثم الأكثر تعقيدا وهكذا، ومن الجزئى للكلى، ومن المحسوسات للمعقولات، وألا يعلم الصغير شيئا لايفهمه.

أما التعليم المهنى والحرفى فقد رأى أن التقليد والتدريب المتواصل هما الوسيلة لتحقيقه على خير وجه.

ولما كانت اللغة اللاتينية هى لغة التعليم فى أوروبا فى عصره، فإنه أعطى تعليمها عناية كبيرة وألف كتبا مدرسية لتعليمها بحيث تتناسب مع عمر التلميذ. إلا أنه رأى أن لغة الأم أو اللغة الوطنية تأتى فى المقدمة قبل تعليم اللاتينية فتكون لغة الأم هى اللغة المستعملة فى التعليم فى المرحلة الأولى ولامانع من اقترانها بمبادئ بسيطة للغة اللاتينية - وقد اتضح هذا المبدأ فى كتابه «عالم الصور» الذى طبق فيه فكرة تعليم لغة الأم واللغة اللاتينية عن

طريق الصور والذى جمع فيه المعلومات الشائعة فى زمنه والمناسبة لعمر الأطفال فى المدرسة الأولية.

ومن المبادئ الهامة «لكومنيوس» فيما يخص مناهج الدراسة فإنه أكد على ضرورة الإهتمام بتعليم العلوم التى قال أن تعليمها قد أهمل وانصب الاهتمام على تعليم اللغات والإنسانيات إلا أنه يؤكد أهمية تعليم اللغات الأجنبية بالإضافة للغة الأم وخصوصا اللغتين اللاتينية واليونانية ثم العربية والعبرية وذلك فى مراحل التعليم العالية وليتمكن الدارسين من قراءة الفلسفات القديمة وعلوم الطب والقانون واللاهوت.

وقد أهتم «كومنيوس» بطرق التدريس وكان يرى أن لكل مجموعة متشابهة من العلوم طريقة واحدة فى تدريسها. لكنه بينما يؤكد أهمية استخدام الحواس ما أمكن فى التعليم فإنه لم يتخلى عن استظهار النصوص فى تعلم اللغات والإنسانيات. وفى نفس الوقت نجده يضع بعض الصفات التى تميز المعلم الجيد - صفات تطابق إلى حد كبير مانفترضه الآن من صفات يجب أن يتميز بها المعلم لكى يكون معلما ناجحا.

ولقد اقترح «كومنيوس» نظاما تعليميا يشمل ثلاث مراحل تعليمية بعد مرحلة ماقبل المدرسة التى أسماها (مدرسة الأم) إذا اعتبر الأم خير مرب للطفل من الميلاد حتى السادسة. أما المراحل الثلاثة التالية فهى المدرسة الأولية The Vernacular School والمرحلة الثانوية The Latin School ثم الجامعة وجعل فترة كل مرحلة من تلك المراحل الثلاثة ست سنوات وهو نظام تعليمى شبيه بما هو متبع الآن.

كذلك فلم يغيب على «كومنيوس» أن المتعلم لايمكن أن يفيد من تعليمه إذا فرض عليه دون أن تستثار رغبته فيه. ولذلك فقد رأى ضرورة اهتمام المسئولين من معلمين وإداريين وحتى من أجهزة الدولة نفسها باستثارة

رغبة المتعلمين فى التعليم ووصف لذلك بعض مايمكن عمله مثل الجوائز التى تمنح للنابهين وغير ذلك من دوافع ومثيرات.

واهتم «كومنيوس» اهتماما كبيراً بضرورة تناسب العلم الذى يعلم للصغار مع مستوى نضجهم العقلى وإلا فسوف يذهب التعليم سدى ولايصيب منه الصغار شيئا يذكر. وبالإضافة إلى ذلك فقد رأى ضرورة أن تكون هناك فائدة لكل مايتعلمه التلاميذ إذ ليس من المرغوب فيه أن يتعلموا أشياء عديمة الفائدة لهم.

وأكد «كومنيوس» ضرورة أن يسبق الفهم، الحفظ والاسترجاع فإن كل مايدرس لابد أن يفهم من قبل التلاميذ. ويقول «كومنيوس» أن التلاميذ الذين لايتقدمون فى دراستهم قد لايكون ذلك نتيجة لسوء التدريس أو لعدم كفاءة المعلم بل قد يرجع ذلك إلى نقص فى قدرات التلاميذ أنفسهم فإن التلاميذ يختلفون من حيث القدرة على التعليم ولتكن هذه الحقيقة واضحة فى أذهان المسئولين عن التعليم.

ولما تناول «كومنيوس» موضوع عقاب التلاميذ أكد على ضرورة توخى الرحمة فى عقوبتهم فلا يلجأ المدرس إلى العقاب القاسى وإلا نفر المتعلمون من الدراسة على الإطلاق.

ومن مبادئ «كومنيوس» الهامة فى التربية ألا تدرس مواد الدراسة منفصلة تماما بعضها عن البعض بل يربط بينها خصوصا إذا كانت أصلا ذات صلات طبيعية مثل القراءة والكتابة اللتان يجب تعليمهما سويا والربط بينهما وهكذا.

ومن مبادئه أيضا استخدام المختصرات فى التدريس إذ يجب أن يقوم المعلمون بعمل مختصرات وجيزة للعلوم تساعد المتعلمين على فهم مايتعلمونه تدريجيا وبالتفصيل.

ومن أبرز مبادئه فى تربية الصغار تأكيده على التربية الدينية والتربية الخلقية وقد خصص لها جزءاً كبيراً من كتابه «المرشد العظيم» ووضح أن تربية الخلق والتربية الدينية يجب أن تبدأ فى سن الطفل المبكر وقبل أن يتعود الطفل على طبائع وأفكار تصعب إزالتها فيما بعد.

ولقد ناصر «كومنيوس» تربية البنات وقال بضرورتها وخصوصا فى المرحلة الأولية ويكون تعليم البنات متجها نحو التدريب على صناعة الأسر وكان يرى أيضا أن التعليم يجب أن لايحرم منه أحد حتى هؤلاء الذين فاتهم التعليم فى الصغر. واقترح أن يعلم العمال والفلاحون بأن يدرسوا لمدة ساعتين يوميا بعد انتهائهم من عملهم. وهكذا نجده يمتد بتفكيره إلى إزالة الأمية وتعليم الكبار.

وهكذا بهذا التلخيص لآراء «كومنيوس» فى التربية وخصوصا تربية الصغار يتضح لنا مدى عمق تفكيره وبعد نظره فى شئون التربية ومدى سبقه لعصره ومدى انسانيته ورغبته فى الخير للجميع فهو مرب ومصلح دينى واجتماعى كرس حياته للتعليم وقضاياه.

الهوامش

(١) بول منرو: المرجع فى تاريخ التربية، ترجمة صالح عبد العزيز، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٣، ص ١٥٦.

(٢) د. فؤاد شكرى: أوروبا فى العصور الحديثة، الجزء الأول، مطبعة الرسالة/ ١٩٥٦، ص ١٦٧.

(٣) د. عبد المنعم البيه: التنظيم الاقتصادى، مطبعة فاكوس، ١٩٥٨، ص ١٠٧.

(٤) هربرت فيشر: أصول التاريخ الأوروبى الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، ترجمة: زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢، ص ٢٣٥.

(٥) فؤاد شكرى، مرجع سابق، ص ١٧٧.

(٦) صالح عبد العزيز: تطور النظرية التربوية، مطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩٤٧، ص ١٨٨ - ١٨٩

(٧) بول منرو، مرجع سابق، ص ٩٩ - ١٠١.

(8) Boyd, William: ***The History of Western Education***, Fourth Edition, Adam and Charles Black, London, 1947, pp. 239 - 240.

(٩) فى الخريطة الحديثة مورافيا جزء من تشيكوسلوفاكيا حاليا.

(10) Comenius, J. A: ***Great Didactic***, Translated by M. W. Keatinge, Part I, Adamand Charles Black, London, 1921, pp. 1 - 2.

(١١) نظمت جمعية الأخوة المورافيين فى عام ١٥٤٧ بواسطة «جون هس» John Hus واختلفت مبادئها عن أفكار اللوثريين فى عدة نقاط أساسية عقيدة الأعمال فى تلك الفترة وعزوبة القساوسة.

Pirenne, Henri, A History of Europe From the Invasions to the xv I Century, George Allen Unuin Ltd., London, 1936, pp. 559 - 560.

(١٢) تأسست جامعة Herborn هذه في عام ١٥٨٤م وتمتعت بسمعة ذائعة الصيت وكان يدرس فيها علم اللاهوت والعلوم الأدبية.

(١٣) المستد: ولد في هربورن في ناسا Nassau في عام ١٥٨٨ وتتلمذ على أيدى كبار المعلمين وعين أستاذا في علم اللاهوت ١٦١٩م وتوفي في عام ١٦٣٨م وأهم مؤلفاته دائرة المعارف العالمية وهي مكونه من جزئين وقد أثبت بها أنه سيد كل فرع في التعليم فضلا عن قدراته الفائقة في نقل المعلومات للآخرين التي عرف بها.

Cole. R. Percival: A History of Educational Thought, Humphrey Milford, London, 1931; pp. 208 - 209.

(١٤) مدرسة بيرور: أنشأتها الرحدة - الأخوة المورافيين - لتعليم معتقداتهم الخاصة.

Comenius, J. A.: Part, I, *Op. Cit*, pp. 3 - 7.

(15) Comenius: Part I, *Op. Cit.*, p. 97

(١٦) الأستاذه فتحية سليمان: بحث ثقافة الطفل في السنوات الست الأولى، مرجع سابق، ص٣

(17) Monroe, Paul: A Brief Course in the History of Education, *Op. Cit.*, p 240

(18) A text Book in the History of Education, *Op. Cit.* p 493

and Graves, F. P: *A student's History of Education the*

MacMillan Co., New York, 1936, p. 179.

(١٩) يعنى علم الاستاتيكا الآن علم توازن القوى المؤثرة على الجسم أو علم السكون.

(20) *Ibid*, pp. 261 - 262.

(٢١) إن الأشياء التى يذكرها كومنيوس كمبادئ لعلم الاقتصاد تبدو غريبة عنه بالنسبة لمفهومه حاليا.

(22) *Ibid*, pp. 261 - 262.

(23) *Ibid*, pp. 262 - 263.

(٢٤) لم يعثر على كتاب لكومنيوس بهذا العنوان.

(25) Comenius, Part II, *Op. Cit.*, P. 264.

(26) *Ibid*, pp. 264 - 265.

(٢٧) الفصل التاسع والعشرين من كتاب «المرشد العظيم».

(٢٨) يضرب مثلا هنا بما يحدث فى الطبيعة من أن الرياح تهب فى أى اتجاه شاءت ولاتهب فى أوقات معينة ومحددة.

(٢٩) يضرب مثل هنا كمثل من يحاول تعليم الصبى ركوب الخيل قبل أن يتعلم المشى.

(٣٠) كما حدث فى اللغة الفرنسية التى تشتمل عددا كبيراً من الكلمات اليونانية واللاتينية.

(31) Comenius, Part II, *Op. Cit.*, Ch. XXIX, P. P. 266 - 273.

(٣٢) ترجمت هذه النسخة فى عام ١٦٥٩ بواسطة Charles Hool وانتفع بها انتفاعا كبيرا فى انجلترا فى تعليم الأطفال فى المدارس الأولية وكانت عبارة عن حصيلة من الألفاظ اللاتينية وقد أهتم بهذه الطريقة الرائدة جميع المربين الأوروبين فى القرن السابع عشر والثامن عشر.

وأشرف John. E. Sadler على تحرير نسخة أخرى من الكتاب في اكسفورد Oxford في عام ١٩٦٨ وقال «إن هذا الكتاب يمثل جميع المبادئ والمثل التي تمسك بها كومنيوس خلال حياته المضطربة كما يمثل محاولته لتصوير تشريحي للعالم».

(33) Comenius, Amos John: Orbic Pictus, ***Translated By charles Hooi***, Kirton the Kings - Arm, in Saint Paules Church Yard, London, 1659, P. A_3.

(34) ***Ibid***, P. A_3.

(35) ***Ibid***, P. A_3.

(36) ***Ibid***, P. A_3.

(٣٧) يتضح أيضا أن هناك غرض آخر من كتاب عالم الصور وهو تعليم الأطفال لغة الأم إلى جانب مبادئ اللغة اللاتينية في وقت واحد.

Ibid, P.P. A4 - A_4.

(٣٨) اندرويل Andrew Bell (١٧٥٣م - ١٨٣٢م) اسكتلندى الأصل ذهب إلى الهند سنة ١٧٨٧م حيث عهد إليه بإدارة مدرسة ليتامى الجنود البريطانيين ولما وجد صعوبة شديدة في الحصول على العدد الكافي من المدرسين سار على الطريقة التي ابتدعها وعندما نجحت الطريقة نشر عنها مقالا عندما رجع إلى انجلترا وفي سنة ١٨٠٧م أسس مدرسة في لندن اتبع فيها هذه الطريقة ولاقت نجاحا.

(٣٩) جوزيف لانكستر Joseph Lancaster (١٧٧٨م - ١٨٣٨م) عندما أسس مدرسته في لندن في عام ١٧٩٨ وجد نفسه مضطرا إلى ضغط نفقاتها فاتبع طريقة الاستعانة بالعرفاء على التعليم فصادفت المدرسة كثيرا من النجاح وزاد إقبال الناس عليها.

(40) Brubacher, Hohn S. : ***A History of The Problems of Education***, Mc Graw Hill Book Company, Inc , New York, 1947, P.P. 217 - 218.

(٤١) طريقة القلفوات شرحت بالتفصيل في

Comenius: Part II, ***Op.Cit.***, Ch XIX; P.P 165 - 171.

(٤٢) أحمد عزت عبد الكريم: **تاريخ التعليم في مصر في عهد محمد علي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٨، ص ٧٢.

(٤٣) صالح عبد العزيز **التربية وطرق التدريس**، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٣٧.

(44) Graves: Great Educators of three Centuries, ***Op. Cit*** , P 50.

الفصل الثالث
آراء جان جاك روسو فى تربية الأطفال
من خلال كتابه «إميل»

- حياته
- مرحلة الطفولة مبادئ عامة
- مرحلة التربية الجسمية من خلال التجربة واستخدام الحواس
- مرحلة التربية الخلقية
- مرحلة تربية العواطف
- تربية المرأة



JEAN JACQUES ROUSSEAU (1712–1778)

لما كان للحياة التى يحياها الإنسان وما فيها من مؤثرات آثار عميقة على تفكير فستعرض لحياة «روسو» التى كانت بلاشك مليئة بالأحداث التى وجهت تفكيره فيما بعد.

حياته:

ولد «جان جاك روسو» Jean Jacques Rousseau بمدينة جنيف Geneva بسويسرا فى ٢٨ يونيه عام ١٧١٢م وكان أبوه أيزاك Isaac[١] صانع ساعات ماهر غير ثرى، أما أمه سوزان برنار Susanne فكانت ابنة قسيس بروتستانتى. وبعد ميلاده توفيت أمه فى نفس العام. ويقول «روسو» فى اعترافاته Confessions «لقد ولدت فى الدنيا فى حالة موت تقريبا، وكان الأمل ضئيلا فى انقاذ حياتى»[٢]. وقد تكفلت به إحدى عماته ولم يجد والده مايخفف ألمه إلا البقاء إلى جانب ابنه وظل معه السنين الأولى من حياته، وعندما بلغ السادسة من عمره كان يعرف القراءة، وكانت أمه قد تركت بعض القصص، وكان هو ووالده يقرآنها كل يوم بعد العشاء، وكان يتحدث إليه عن أمه بأسى وعمق، ويبكى عليها بدموع حارة، فيحرك اشجان الولد ويحمله على البكاء، ولقد أوجدت القراءة فى نفس «روسو» منذ نعومة أظافره شغفا شديدا بالمطالعة وميلا عظيما للتخيل. فكانت المسألة فى أول الأمر مجرد تدريب «روسو» على القراءة. وبمرور الوقت أخذ يقرأ بدون توقف، ولقد اكتسب بهذه الطريقة سلاسة بالغة فى القراءة والفهم وأصبحت كافة أحاسيس الحياة العادية معروفة لديه. وانتهت القصص فى مكتبة أمه فى صيف ١٧١٩م وجاء الشتاء فتحولا إلى نصيب أمه فى مكتبة أبيها. فقد كان «روسو» يقرأ بينما يعمل أبوه ولقد قرأ تاريخ الامبراطورية والكنيسة «للوسبير» Le Sueur، والتغييرات والتبدلات «لاوفيد» Ovid وكتاب «فونتينيل» Fontenelle عن العوالم ورسالة فى تاريخ الكون «لبوسيه» Bossuet وسير المشهورين

«لبلوتارح» Plutarch وكان الأخير أحب مؤلف إلى نفس «روسو»، ولقد كان يتقمص شخصية من يقرأ سيرته[٣].

لقد كان «لروسو» أخ يكبره بسبعة أعوام يتعلم حرفة أبيه ولكن تحت إشراف معلم آخر، وكان والده يعامله بغلظة ويعاقبه على أقل الهفوات بالضرب مما اضطره إلى الهرب[٤]. بينما كان يلاقى «روسو» العناية من كل المحيطين به وكان محبوبا ولم يسمح له أن يجرى فى الشارع أو يلعب مع غيره من الرفاق[٥]. فلم يرى أمامه سوى الخير. وكان كل من أبيه وعمته وأصدقائهما وجيرانهما يحبونه ويرضخون له ولمطالبه[٦]. وكان دائما بصحبة عمته يراقبها وهى تطرز أو يصغى لغنائها. ولقد تركت أثراً عميقا فى نفسه. يقول: «إن شغفى بالموسيقى إنما يرجع إليها (أى عمته)» فقد كانت تعزف غناؤها جذابا قويا. ولقد كانت له بعض الأخطاء الخلقية فكان ثرثاراً، نهما، كاذبا أحيانا، وكان على استعداد لأن يسرق الفواكه والحلوى ولكنه لم يجد متعة فى إيذاء الغير أو الحاق الضرر بهم. على أن هذه العيشة لم تدم طويلا إذ قضت الظروف بأن يحرم من والده أيضاً[٧].

ووكل بتربية «روسو» إلى خاله «برنار» Bernard وكان له ابن فى مثل سن «روسو» فأرسلهما إلى «بوسى» Bossey ليقيما فى دار قس بروتستانتى «لمبرسييه» Lembercier كى يتعلما، لم يفرض عليهما واجبات ثقيلة وكانت طريقته فى التعليم صالحة وظلا سنتين يتعلمان ويتجولان جولات واسعة وسط المزارع، وكانت أخت القس تشرف وتعتنى بالطفلين، وتقوم مقام الأم لهما، فكانت تكن لهما حب الأم، وفى بعض الأحيان تفرض عليهما العقاب عندما يستحقانه، وتكرر الذنب الموجب للعقاب وقد لاحظت أن العقاب لم يؤت التأثير المنشود لكن بعض العقوبات أشعرته بظلم كبير لم يكن يتوقعه حينئذ اضطر إلى ترك Bossey وترك التعليم.

وأقام «روسو» عامين عند خاله بعد عودتهم إلى جنيف وقرر خاله أن يكون ابنه مهندسا فجعله يدرس شيئين الرسم ومبادئ الرياضيات وتعلم «روسو» هذه الموضوعات معه واكتسب ميلا إليها ولاسيما الرسم[٨]. وبعد نقاش دار حول ميوله الطبيعية لاختيار مهنة له استقر الرأى على أن يتعلم مهنة المحاماة والتحق بمكتب كاتب المدينة، فكان العمل بالنسبة له مقيتا لايطاق وكان صاحب المكتب غير راض عنه فأرهقه في العمل وعامله اسوأ معاملة ظنا منه أن ذلك ربما يزيد من نشاطه واهتمامه ولكنه فصله في النهاية.

ثم أرسله خاله عند حفار ليتعلم النقش ليعده للاشتغال في صناعة الساعات، وكان المعلم شابا غليظا قاسيا يرهق تلميذه بالضرب لأمور تافهة، ولايترك له شيئا من الحرية، وأصبح العمل بالنسبة له لايطاق فصار يميل إلى الاحتيال والتشرد والكذب والسرقة وظلت هذه العادات تلازمه فيما بعد. ويقول «روسو» في هذا الصدد «لم تكن الحرفة ذاتها هي التي تروق لي فقد كان بي ميل راسخ إلى الرسم وقد لذ لي استخدام أدوات الحفر لعلي كنت فاعلا لولم تحملني فظاظة معلمي واسرافه في الشدة على أن أكره عملي». ويقول: «إن المبادئ الطيبة إذا ما أسيئ توجيهها هي التي تدفع الطفل إلى أن يتخذ الخطوة الأولى نحو الشر في العالم، وإنني قضيت مع معلمي أكثر من عام دون أن أروض ذهني على الحصول على أي شئ يصلح»[٩]. ومع هذه الظروف فإن شغفه بالمطالعة الذى كان قد اكتسبه من قبل لم يفارقه خلال هذه المدة فكان ينفق كل مايصل يده من نقود زهيدة في استعارة الكتب. ولقد سلبه شغفه بالقراءة كل نشاط فلم يعد يقبل شيئا سوى القراءة ويفضل القراءة لم يعد يسرق كما أنه شفى من بعض نزواته الصبيانية المستهجنة وأصبح قلبه مفعما بأحاسيس أنبل من تلك التى كانت محيطة بحياته. وفي أيام الآحاد كان يتجول مع رفاقه خارج المدينة وضواحيها حتى المساء فحدث له مرتين أن تأخر عن العودة إلى المدينة، فكان يضطر إلى أن يقضى الليل خارج

السور على أنه في اليوم التالى كان يتعرض لعقوبات معلمه المؤلمة من جراء هذا التأخير، وعندما حدث له مثل هذا الحادث للمرة الثالثة قرر أن يهرب لكى لايعرض نفسه لسياط معلمه القاسى، وودع رفاقه، وهكذا فارق موطنه بدون أن يحسب للمستقبل حساباً[١٠]. وكان قد بلغ سن السادسة عشرة وهو قلق غير راض عن نفسه ولا عن أى شئ فى حياته.

لقد اعتقد «روسو» أنه عندما يستقل ويصبح حراً ويصير سيد نفسه يكون فى وسعه عمل أى شئ، وفى ارتقاب هذا المستقبل المتواضع أخذ يحوم أياما حول المدينة، مقيما عند بعض الفلاحين الذين كان يعرفهم[١١]. ووصل إلى «كونفينون» Confignon فى اقليم سافوى Savoy وقابل مطرانها وهو من دعاة الكاثوليكية وأخذ المطران يقنعه فى أن يغير عقيدته من البروتستانتية إلى الكاثوليكية واعطاه رسالة إلى سيدة فى «أنسى» Aneney هى مدام «دى فارن» De Warens وكانت تساعد القسارسة فى دعوة البروتستانت من أهل بلدها إلى المذهب الكاثوليكى وقضى فى منزلها عدة أيام قبل رحيله إلى تورينو Turin بايطاليا ليتلقن هناك تعاليم الكاثوليكية فى ديرها. ودخل الدير ودرس فيه أربعة أشهر وأعتنق المذهب الكاثوليكى، وتركه وهو لايملك إلا عشرين فرنكا واضطر «روسو» أن يخدم فى عدة منازل كخادم بسيط ولكنه لم يكن فى مثل هذه الخدمات مثالا للأمانة. وقابل راهباً يدعى «جايم» Gaime وكان أكثر من عرفهم أمانة، فاكتسب منه درسا فى الأخلاق، وكان يحدثه عن مواهبه الفطرية والعراقيل التى جعلتها أقل نفعا، وأعطاه صورة صادقة عن الحياة البشرية التى لم تكن عند «روسو» إلا أفكاراً خاطئة عنها ولكن حكم مسيو «جايم» لم تكن لها مفعول فى بداية الأمر ولكنها أصبحت بلزة من بذور الفضيلة والتقوى غرست فى نفس «روسو» لكى تؤتى ثمارها فيما بعد[١٢].

وعمل عند الكونت «دى جرفون» De Gouvon وكان يكلف بكتابة

بضع رسائل ويسجل الحسابات، واكتشف الكونت أن «روسو» قد بدأ تعليمه في عدة نواحى ولكن لم يكتمل فى أية ناحية وتبين أنه كان يعرف قسطا ضئيلا من اللاتينية فوعده «الكونت أن يدرس له اللغة اللاتينية، فكان يذهب إليه كل صباح لكى يتعلم اللغة، فجعله يترجم بعضا من أساطير «فيدروس» Phaedrus وأشعار «فيرجيل» Virgil ولسوء حظ «روسو» قابل صديقا قديما من أهل جنيف شابا من سنه يدعى «باكل» Bacle فكان يعطله عن عمله، وأخيراً طرد من القصر وقرر أن يرجع إلى سويسرا قاصدا «أنسى» عند مدام «دى فاران».

اهتمت مدام «دى فاران» بتعليم «روسو» وكانت شخصيته تتسم بالطباع الحادة، والعواطف الجياشة، وكانت أفكاره بطيئة مختلطة فى غير وضوح، وعندما ينفعل يكون بليد الذهن لايستطيع التفكير، كما أنه كان يصدر احكاما سريعة إذا ترك وشأنه، وكان يجد عناء فى صياغة أفكاره، بل ويجد مشقة فى استيعاب الأفكار أيضا، وكان دقيق الملاحظة ولكنه لايستطيع أن يرى شيئا بوضوح بالرغم من أنه كان يرى بوضوح مايتذكره فيتمثل المكان والزمان ويذكر كل ماقاله الناس أو فعلوه ونادرا ماكان يخطىء، كما أنه كان لايملك السيطرة على قواه الذهنية إلا فى وحدته(١٣). لذلك كان لايحسن الكلام فى أى مجتمع يوجد فيه ولاشك أن هذه الأشياء جعلته يفضل الوحدة محبا للحياة وسط الطبيعة الصامتة(١٤).

كان مولعا بالموسيقى فبدأ يتعلمها بمعاونة مدام «دى فاران» وأخذت على عاتقها أن تجعله موسيقيا. وتجرأ على الاشتغال بتعليم الموسيقى وطمع فى الشهرة فى مجال التلحين ولكنه فشل فى التعليم والتلحين معا(١٥). وعندما بلغ «روسو» رشده فكر فى المطالبة بميراثه عن أمه وذهب إلى جنيف لهذه الغاية واقتسم ذلك الميراث الضئيل مع أبيه وبينما كان يقرأ كتب الطب اعتقد

أنه مصاب بمرض فى القلب وعزم على علاج نفسه فى باريس على يد أشهر الأطباء. ولم يقف دون تصميمه أى حائل. وعندما عاد إلى «شمبيرى» Chamberi وقابلته مدام «دى فاران» ببرود شديد فشعر بشئ من الأسى وسافر إلى «ليون» Lyons ليعمل مربيا لأولاد مسيو «دى مابلى» Dé Mably لقد اعتقد أن لديه المعرفة بالمؤهلات الكافية لكى يصبح معلما ومربيا.

ولقد علم بالتجربة أن مزاجه العصبى لايساعده على تربية الأطفال فعندما لم يفهمه تلميذاه أو إذا ما أبديا أى اعتراض أو تمرد، كان يود أن يقتلهما وهى طريقة لم تكن صالحة لتعليمهما أو تأديبهما، ولعله كان يستطيع أن يوفق فى هذه المهمة بالصبر والهدوء(١٦).

لقد جعله ميله إلى الموسيقى والغناء يخترع طريقة كتابة جديدة للألحان الموسيقية مستندة على استعمال الأرقام، وصار يعتقد أنه سينال نجاحا باهرا من وراء هذا الاختراع. فذهب إلى باريس باختراعه الموسيقى ورواية «نارسيس» Narcisse التى ألفها وكان ذلك فى خريف عام ١٧٤١ وعرض طريقته على اكاديمية العلوم، إلا أن هذا المشروع لم يلق التحبيذ الذى كان يأمله، فلم يستفد منه(١٧)، ولكنه تعرف بهذه الوسيلة على بعض الشخصيات المهمة ولاسيما مع رجال الاكاديمية وأطلع أحدهم على روايته «نارسيس» فسر بها وتكرم بتنقيحها. كما أنه تعرف على «ديدرو» Diderot وصادقة وكان أصغر رجال الأدب فى ذلك الوقت، إذ كان فى مثل سنه وكان مولعا بالموسيقى أيضا. وكان يحادثه عن مشروعاته الأدبية واستمرت الرابطة بينهما شديدة قوية مايقرب من خمسة عشر عاما. كما أنه تعرف على «كوندياك» Condil-lac(١٨) أيضا فى تلك الفترة.

واقترح البعض على «روسو» الالتحاق بالسلك الديبلوماسى وعين سكرتير لقنصل فرنسا فى البندقية غير أنه لم يبق فى هذه الوظيفة أكثر من عام واحد.

وحدث له أمر كان له أكبر الأثر فى حياته فقد تعرف على فتاة تدعى «تريزلفاسير» Thérése Le Vasseur شاركته بعد ذلك حياته وظلت معه حتى يوم وفاته.

إن عبقرية «روسو» أخذت فى الظهور على أثر مسابقة أعلنتها اكاديمية العلوم فى «ديجون» Dijon عام ١٧٤٩م حول موضوع «هل ساعد تقدم الأدب والعلوم على افساد الأخلاق أم على تطهيرها» وعكف «روسو» على المقال بطريقة غريبة فكرس لها الساعات أثناء الليل واختزنها فى ذاكرته إلى أن يتمكن من كتاباتها، وحينما كان يجلس ليكتب لم يذكر منها إلا أشتاتا طفيفة فقط، فاهتدى إلى فكرة بأن يتخذ «أم تريز» سكرتيرة له وكان يمليها أفكاره حتى تم المقال(١٩) لقد خالف روسو فى مقاله الرأى العام مخالفة صريحة إذ هاجم فيها العلوم والصناعات وقد كتب المقال بأسلوب جديد ممزوج بالحماسة والفخامة مما جعل أكاديمية العلوم على ترجيحه على جميع المقالات التى قدمت، فقد لفتت المقالة أنظار الأدباء والمفكرين بغرابة أفكارها بالرغم مما كان ينقصها من منطق دقيق واستقبل الناس هذا المقال بالتهليل لأنه مس حياتهم فأكسب صاحبه شهرة عظيمة لم يتيسر لأحد أن ينال مثلها فى مقال واحد. وكان مضمون هذا المقال أن النفوس تفسد بمقدار تقدم العلوم والفنون نحو الكمال وأخذ أمثلة من التاريخ ومن هذه الأمثلة التى ساقها «روسو» فى مقالة كان يدعو إلى الرجوع إلى الحالة الطبيعية والنجاة من الترف الذى أفسد على الناس عيشهم وكذلك كان يرى أن من أثر الانغماس فى العلوم والفنون إضاعة الوقت وزيادة الترف زيادة نشأ عنها ضياع الفضائل التى كانت شائعة بين الأمم القديمة كذلك كان من آثارها ضعف النفوس وخمود روح الحرية فيها(٢٠).

وفى العالم التالى ١٧٥٠م فاز المقال بالجائزة فى «ديجون» وأصبح

«روسو» من الأدباء المشهورين وانتشر مقاله وقرأه الناس واعترف له معاصروه بهذا النجاح الباهر. ولكنه أيضا وجد معارضين ونقادا إلا أن هذه الانتقادات افسحت أمام «روسو» مجالا للرد عليها برسائل متعددة وزادته صيتا فلقد نصب «روسو» نفسه محاميا عن الأخلاق والفضائل[٢١]. وهكذا انتصر «روسو» على خصومه. إلا أنه شعر بأن الآراء التى قال بها فى ذلك المقال لاتتفق مع الخطة التى جرى عليها فى حياته، إذ أن سلوكه حتى ذلك الحين لم يكن مثالا حسنا للفضائل، فقرر «روسو» أن يعمل بما دعا إليه وأخذ يصلح نفسه بنفسه فبدأ بإصلاح مظهره الخارجى فتخلى عن الدانتيل الذهبية والجوارب البيضاء واستخدم قلنسوة مستديرة من الشعر المستعار وتخلى عن سيفه وباع ساعته[٢٢]. وفى هذه الأثناء عندما كان يتأمل «روسو» واجبات الإنسان فى فلسفة إذ بحادث يدفعه فى التفكير فى واجباته الشخصية، فقد أصبحت «تيريز لفاسير» حاملا للمرة الثالثة، وأخذ يدرس مصير أولاده وعلاقته بأمهم على ضوء قوانين الطبيعة والعدالة والعقل والدين. وأخيراً استقر رأيه أن يسلم ابنه الثالث إلى ملجأ اللقطاء كما فعل بسابقيه ولاحقيه، إذا انجب خمسة أطفال من علاقته مع «تيريز» وبدا له هذا الاجراء مناسبا حكيما مشروعا حتى أنه أخبر كل من كان يعرفهم به ولم يجد ضيرا فى اعلانه هذا لأنه قد اختار لأولاده الخير[٢٣]

وفكر فى الابتعاد فترة عن باريس ولهذا عندما دعاه صديقه «موسار» Maussard لتقضية بعض الوقت فى ضاحية «باسى» Bassy لم يعارض وهناك قضى وقته بين نقل الموسيقى وترتيلها[٢٤]. وهناك أيضا ألف مسرحية ولحنها وأخرج مناظرها فى ثلاثة أسابيع وسماها «عراف القرية» Devin du Village وفى عام ١٧٥٢م سعى إلى الأوبرا لكى تمثل وكانت من نمط جديد كل الجدة وحازت استحسانا من كل من سمعها وطلب مدير حفلات البلاط الملكى فى فونتبلو Fontainebleau وكان الملك راغبا بأن يعطيه معاشا ولكنه

رفض مقابلة الملك؛ كما أنه فقد المعاش، وكان سبب عدم مقابلته للملك هو كيف كان يجرؤ على أن يتكلم بحرية ونزاهة لو أنه قبل المعاش، وفى حالة قبوله كان يجب عليه أن يداهن الملك ويصمت وعلى هذا فإنه اقتنع بأن رفضه يتمشى مع مبادئه[٢٥].

وفى عام ١٧٥٣م طرحت أكاديمية «ديجون» Academy of Dijon موضوع منشأ عدم المساواة بين البشر»، ولكى يعالج هذا الموضوع ذهب إلى «سان جرمين» -Saint -Germain- مع «تيريز» لمدة سبعة أيام وكان يقضى النهار فى الغابات لتأمل فاستبعد الاكاذيب التافهة عن الجنس البشرى وكشف طبيعة البشر ليتعقب سير الزمن ويتبين منابت الأشياء التى مسخت هذه الطبيعة وبالمقارنة بين الإنسان كما صنعه الإنسان والإنسان كما صاغته الطبيعة، كشف عن المصدر الحقيقى لتعاسته وكانت ثمرة هذه التأملات مقال «عدم المساواة» ومع أن هذا المقال كان أقوى وأشد من مقاله الأول فإنه لم ينل جائزة اكاديمية «ديجون»[٢٦].

وفى عام ١٧٥٤م سافر «روسو» إلى جنيف وأهدى إلى الحكومة مقاله منشأ عدم المساواة بين البشر واستقبله أهلها أحسن استقبال وخجل من أن يحرم من حقوقه كمواطن سويسرى، فقرر أن يعود إلى عقيدته البروتستانتية وأعيدت له حقوقه وقيد فى قائمة الحراس المدنيين الذين كانوا يتقاضون مرتبات وتأثر بهذا الكرم من المجلس العام ومجمع الكرادلة والمستشارين والقساوسة والمواطنين ومن تصرفاتهم التى اتسمت بالحفاوة حتى أنه فكر أن يعيش باقى عمره فى سويسرا بعد أن يسوى أعماله فى باريس. وعاد فى نفس العام إلى باريس ليباشر طبع مقاله فى كتاب «رسالة فى عدم المساواة» وكان اهداؤه موجها إلى الجمهورية السويسرية وقد انتظر ليرى رد الفعل قبل أن يعود إلى جنيف فوجده فاترا، وكان هذا الفتور صدمة لكل من لاحظه، وكان

النفع الوحيد الذى ناله من هذا الكتاب هو لقب المواطن الذى لقبه به كل من أصدقائه والجمهور[٢٧]. ومما أثناه عن عزمه فى عدم الذهاب إلى جنيف ذلك أن مدام «ديبيناى» Mme, D'Epinay أقامت له منزلا إلى جانب قصرها ولم يستطع أن يرفض قبوله.

وفى عام ١٧٥٦م انتقل إلى «ليرميتاج» ووجد هذا المأوى الصغير مؤثثا ومنسقا فى بساطة، كما وبعد أن كرس أيامه الأولى لنزهاته فى الريف والتأمل فى المناظر الطبيعية التى كانت تحيط به، وزع أعماله فجعل فترات الصباح للنسخ وفترات مابعد الظهر للتريض والمشى ومعه مفكرته وقلمه، لأنه لم يكن يستطيع الكتابة إلا وهو يفكر فى الخلاء، وكان لديه عدد من المؤلفات بدأها معا ويراجعها ووضع خططا لكثير من مشروعاته. وقد كانت مدام «ديبيناى» تقطع عليه خيالاته وأحلامه فكثيراً ما أفسدت عليه ترتيباته للراحة أو العمل ودعته إلى قصرها وأدرك أنه مقيد وأن حريته مشروطة بتلك الصداقة وكان مضطر إلى أن يرضخ عرفانا بجميلها[٢٨]. وحدثت بعض الأمور مما جعل مدام «ديبيناى» تندد به فى كل مكان لتظهر انكاره لجميلها فى أبشع صورة وساعدها على ذلك كل من «ديدرو» و «جريم» وغيرهم وانتهت العلاقة نهائيا بينهما. وترك «روسو» ليرميتاج» واستقر فى بيت صغير فى حديقة «مون لوس» Mon-Louis «بمونمورسى» Montmorency.

وكانت هناك علاقة بدأت بالمراسلة بين «روسو» ومسيو «دى ماليزيرب» De Malesherbes وهو أول رئيس لمجلس الضرائب وكان رقيبا على الكتب المطبوعة وكان مصدر ارتياح لرجال الأدب. كما توطدت العلاقة بينه وبين الدوق «لكسمبور» De Luxembourg فساعده الأول على طبع كتابه «اميل» فى هولندا. كما أن الثانى كان صديقا مخلصا «لروسو» فقد وجد له منزلا مناسبا ،ساعده على الهرب إلى خارج فرنسا بعد أن صدر حكم فى فرنسا

بالقبض عليه بعد نشر كتابيه «العقد الاجتماعي» و «اميل»[٢٩].

قرر «روسو» الإقامة في «ايفردن» Yverdun عند صديق له، ولكن مجلس الشيوخ ثار على إقامته هناك. وذهب إلى «موتيير» Motiers بمقاطعة «نيوشاتل» Neuf-Chatel في أراضي ملك بروسيا وأقام هناك. ولكن أهالي هذه المقاطعة عاملوه أسوأ معاملة وظل بعد ذلك في تجوال وترحال من مدينة إلى أخرى بدون أن يستقر في أحداها. وذهب إلى انجلترا بناء على دعوة أتته من «دافيد هيوم» David Hume فسافر إليها في عام ١٧٦٦م[٣٠] واستقبله هيوم بكل ترحاب وحاول أن يخفف النكبات التي ألمت به بكل مالديه من وسائل، غير أن المزاج العصبي الذي جبل عليه «روسو» منذ ولادته كان قد اشتد من جراء حياته والنكبات المتوالية التي لحقت به. كما أن اضطهاد المجتمع له كان قد وصل به إلى حالة مرضية جعلته في وسواس شديد يرتاب في كل شخص وتوهم أن كل الناس يتآمرون عليه، وأدت تلك الحالة النفسية إلى مخاصمة «هيوم» فاضطر إلى مغادرة انجلترا والرجوع إلى فرنسا في عام ١٧٦٧م[٣١] بعد أن انتقل بين مدن مختلفة وصار يعيش عيشة انزواء وبؤس فوق أسطح المنازل وفي الأزقة - وقد أخذ يكتب «اعترافاته» منذ عام ١٧٦٦م وتمكن من اتمامها في عام ١٧٧٠م وكتب عدة محاورات تحت عنوان «روسو يحاكم جان جاك» ١٧٧٣ - ١٧٧٦م.

«وفي عام ١٧٧٦م في ٢٤ فبراير حاول ايداع مخطوطة «محاورات» في هيكل كنيسة نوتردام لم يستطع، وفي ابريل من نفس العام وزع منشورة في شوارع باريس الذي كتبه يعنوان «إلى كل فرنسي مازال يحب الحقيقة والعدالة» «تأليف روسو»[٣٢].

ثم في عام ١٧٦٨م انتقل إلى ليون Lyon وتزوج من «تيريز» ثم ذهب إلى «أرمينوفيل» Ermenoville عند حديقة المركيز «جيراردان» Girardin وفي

٢ يوليو عام ١٧٧٨م توفى ودفن فى جزيرة «بوبليه» Peupliers وكان المكان مظللا بأشجار كثيفة ثم بنى له لحد كتب عليه عبارة بسيطة «روسو» رجل الطبيعة والحقيقة»[٣٣]. ولم يمض على وفاة «روسو» أحد عشر عاما، ألا وقد أخذ يتهدم بناء المجتمع الفرنسى وقد شعر رجال هذه الثورة وزعماؤها بما لآراء روسو وكتاباته من التأثير العظيم على خططهم وأعمالهم، واعتبروه من آباء الثورة ومبشريها ووضعوا فى مجالسهم نسخة من كتابه «العقد الاجتماعى» وصاروا يسندون إلى نظريات «روسو» ويستشهدون بكتاباته ويستمدون من بلاغته فى مناقشاتهم، وعندما قرر مجلس الثورة تحويل كنيسة «سانت جنيفيفى» إلى «بانتيون» يدفن فيه العظماء وضع اسم «روسو» فى مقدمة من يستحقون هذا الشرف[٣٤].

إن نظريات التربية التى تنادى بتحرر الطفل يرجع أساسها إلى حد كبير إلى كتاب «اميل» الذى نجد فيه أيضا بذور فكرة حدائق الأطفال والمدرسة الابتدائية ومدرسة التعليم الأساسى، فلقد جمع روسو وشرح آراءه المتعلقة بالتربية فى كتابه اميل Emile وكان يطمع فى إيجاد الأساليب الجديدة التى يجب أن تقوم مقام أساليب التربية البالية السائدة فى تلك الوقت، وقد كتب هذا الكتاب نتيجة طلب سيدة من روسو أن يرشدها إلى الطريقة المثلى فى تربية أبنائها.

وقد وضح فى «اميل» كيف يربى الطفل منذ ولادته حتى يبلغ العشرين من عمره.

هذا وسنخص كتاب «اميل» بالدراسة وبخاصة مايتصل فيه باستخدام حواس الطفل وعضلاته وأطرافه وذلك فى تربيته الأولى، تلك الأفكار التى أوحت للكثيرين من المربين بعده بأفكار تربوية قوامها أهمية استخدام الحواس فى تربية الطفل هذا ويعتبر كتاب «اميل» شاملا للمبادئ التربوية التى ارتاها «روسو» أما مؤلفاته الأخرى فهى أما اجتماعية أو سياسية أو فنية (مسرح وموسيقى وأدب)

الجزء الأول من كتاب اميل

Infancy General Principles

«الطفولة - مبادئ عامة»

يشمل حاجات الوليد وواجبات الأم فى مرحلة الطفولة.

إن التربية فى سن المهد هى أخطر مراحل التربية شأنا، وهذه المرحلة موكولة إلى الأمهات (أو النساء)، والتربية تأتى أما من الطبيعة، أو من الناس أو من الأشياء، فنمو الأعضاء الخارجية والداخلية هو تربية الطبيعة. أما ما يتعلمه من ذلك النمو هو تربية الإنسان، ومايكتسبه الفرد، باختياره وادراكه عن الأشياء التى يتأثر بها هو تربية الأشياء، فهذه الأمور الثلاثة تشكل الفرد بعد ائتلافها[٣٥]. ويفهم من ذلك أن لكل فرد من أفراد البشر ثلاثة أنواع من المعلمين ومن البديهى إذا تضاربت أعمال هؤلاء المعلمين الثلاثة فسدت التربية بطبيعة الحال ولايمكن أن تكون التربية صالحة مالم تتوافق وتتعاون أعمال هؤلاء المعلمين وما لم تتوجه بأجمعها نحو غاية مشتركة[٣٦].

لقد استعمل «روسو» كلمة الطبيعة فى معان مختلفة، فتارة يقصد بها ما جبل عليه الإنسان من الغرائز والوجدانات والعواطف والميول، فإذا نادى «روسو» بوجوب استماع الإنسان لطبيعته، فمعنى هذا أن يعمل الإنسان على مايدعو إليه وجدانه وترشد إليه عواطفه، فهذا خير له من الرجوع إلى التجارب والمخالطة. ويقصد أيضا بالطبيعة ما فى الوجود من جماد ونبات وحيوان ويريد تلك التربية التى تأتى من الاتصال الشديد بما فى الوجود كله، من الأسرار والقوى الكامنة. ويقصد بالطبيعة أيضا معرفة صحيحة لطبيعة الإنسان الصادقة لا على شكلية المجتمع[٣٧].

يقول «روسو»: «إن الطفل يولد وفيه حس يتأثر وينفعل بمختلف مايحيط

به ومنذ أن يشعر بوعى من احساساته فهو يقبل على الأشياء التى تلائمه[٣٨]. وتبدأ التربية بالممارسة أكثر منها بالتلقين والإنسان يبدأ فى التعليم منذ مولده. الخطأ أن يكون للطفل عدد من المربين، ولكن ينبغى أن يتولى الطفل مرب واحد لحسن رعايته»[٣٩] ويطرح «روسو» تساؤلات كيف يعامل الطفل منذ اللحظة الأولى من ميلاده؟

كانت «القابلات» تدلك رؤوس الأطفال إثر ولادتهم ويزعمن أنهم يصلحن تلك الرؤوس كما أن الطفل حينما يولد يوثق (بالقماط)، وذلك يحد من حركته ويعوق النمو والدورة الدموية ويغير من تكوينه وبنيته. إن الطفل عندما يولد يحتاج إلى بسط أطرافه وتحريكها[٤٠]. ومن واجب الأمهات أرضاع أطفالهن لأن الحرمان من لبن الأم مصدر لجميع الشرور ذلك لأن الطفل بحكم علاقته بمرضعته ينعطف إليها ويحبها أكثر مما يحب أمه وهذا سبب كراهية الأمهات الحاضنات فيطردهن ويمنعهن من رؤية الطفل كى ينسى، ولذلك يترك أسوأ الأثر فى نفس الطفل ويعلمه الجحود حتى بأعز الناس إليه[٤١] ويجب أن تتبع فى تربية الأطفال قوانين الطبيعة لأنها تعمل على مران الأطفال بالأحداث، وتعلمهم منذ النشأة كيف يكون الألم، فالاسنان لاتنبت إلا بالحمى والسعال يكاد يخنقهم، ويقاسى الأطفال فى مهدهم كثيراً من الأمراض، وهذه هى سنة الطبيعة، ومن الخير تمرين الأطفال على احتمال المتاعب لأنها ستواجههم يوما ما، ومن الخير أيضا تقوية أجسادهم بتعريضها للأجواء المختلفة وبالجوع والعطش والتعب، فالطفل أكثر احتمالا. وعندما يتقدم الطفل فى العمر يكون بحاجة إلى مزيد من الرعاية فمن الخير أن نحصنه ضد الأخطار وتحمل المشاق، ومن الحماقة أن نجنبه الآلام فى طفولته[٤٢] إن الطفل يبدأ حياته بالبكاء ويقضى طفولته المبكرة فى البكاء، ولذلك أحيانا نتوعده ونسهره أو نضربه كى يكف عن البكاء أو نأتى مايرضيه أو نطلب منه مايرضينا دون أن نتخذ موقفا وسطا فهو قبل أن ينطق بالكلام يأمر

بالإشارة وقبل أن يتعلم العمل يطيع ويستكين وقد يعاقب إذا أخطأ وهكذا تتولد في الطفل من البداية بذور الشر التى تتأصل فيه حين يشب ففى السنوات الأولى الست أو السبع من حياة الطفل يقضيها بين أيدى النساء وتدليلهن يعلمنه لغوا وأمورا لانفع فيها ويخنقهن فيه الاستعداد والفطرة، ثم يتسلمه مرب فيتجه به إلى شتي النواحى فيما عدا معرفته لنفسه وادراكه لمواهبه، وهكذا يشب الطفل محشوا بالعلم مجرداً من الفهم واهن النفس والروح ضعيف الجسم، وإذا أريد الاحتفاظ بالصورة الفطرية للطفل يجب أن تكون منذ أن يرى النور. وواجب الأم والأب أن لايغفلا عن رعايته إلى أن يصبح رجلا. إن أقل الآباء تسامحا وثقافة يمهدون للطفل تربية أفضل مما يمهده أفضل الفلاسفة أو الاساتذة لأن الاهتمام يغنى عن البراعة[٤٣].

وواجب الأب حين يختار لأبنه مربيا يقوم على تنشئته أن يتحرى عنه ويكون على أكمل وجه يتحلى بعاطفة صادقة وكفاية فى العقل وشعوره بالأبوة هذه هى صفات المربى[٤٤].

لقد افترض «روسو» تلميذا وهميا وسماه «اميل» Emile وافترض نفسه المربى الذى تتوافر فيه جميع المزايا التى تؤهله ليكون مربيا لاميل، يشرف على تربيته ويرشده، ويتدبر أمره منذ ولادته إلى أن يصبح رجلا كما أنه وضع مواصفات خاصة لهذا التلميذ إذ يكون ذكاؤه عاديا، ويكون من أبناء الإقليم المعتدل أى الأوروبى[٤٥]. وأن يكون من طبقة الأثرياء من أصل عريق، كما يفترض أيضا فى تلميذه أنه يكون قوى الجسم وسليمة حتى يحسن الطاعة. ولايفرق بين «اميل» واستاذه أحد إلا بمحض ارادتهما وهذا شرط أساسى وضعه «روسو» لكى يندمج التلميذ مع مربيه[٤٦].

وعند ولادة الطفل يحسن أن يكون حمامه الأول بماء بارد وإذا كان ضعيفا لايحتمل المخاطرة فإنه بمرور الأيام تقلل درجة حرارة الماء حتى يتعود

على الاستحمام بالماء البارد صيفا وشتاء، ويجب مراعاة الدقة فى التدرج بنقصان درجة الحرارة، وعندما يتعود الاستحمام بالماء البارد فلاينبغى العدول عنه بل يستمر على ذلك طول حياته وفائدة ذلك أنها تكسب عضلات الجسم مرونة تتحمل بها الجهد والحرارة والبرودة[٤٧]

وينبغى أن تكون ملابسه واسعة فضفاضة تتيح لأطرافه حرية التحرك ولاتعوق الحركة، ولاتحول دون دخول الهواء، فإن الهواء لايؤذى الأطفال بل يكسبهم قوة كما أن مهد الطفل يجب أن يكون واسعا حتى يتيح له الحركة فى سهولة

وينبغى أن ترضع الأم وليدها، ولكن إذا استحال ذلك واقتضى الأمر اختيار مرضعة غريبة فيجب اختيارها بعناية بحيث تكون مستوفية لجميع الشروط الصحية - كأن تكون المرضعة حديثة العهد بالأمومة - وأن يكون لبنها فى أول إدراره ذلك لأنه يكون أشبه بالماء والمقصود به فى أوله أن يكون غسيلا لأمعاء الوليد. وتزداد كثافته عندما يصبح الطفل اقدر على هضمه، وأن تكون المرضعة هادئة وتتمتع بصحة جيدة لأن الكدر والإنفعال يفسدان اللبن، وأن ترى الوليد ليلا ونهارا، ولابد لذلك من صبر وأمانة وحنان ونظافة. إن اختيار المرضعة لايقل أهمية عن اختيار المربى[١٨].

«وأولى احساسات الوليد تكون انفعالية وهى اللذة والألم، ولانعود الطفل على عادة ثابتة كالحمل على ذراع واحد أو جعله يستعمل يدا أكثر من الأخرى. وإلا يتعود الأكل أو النوم فى أوقات معينة أو يعجز عن البقاء بمفرده ليلا أو نهاراً. وعندما يشتد الطفل يترك لكى يحبو ويتمتع بكامل حريته كى تنمو أطرافه يوما بعد يوم[٤٩]

يهتم «روسو» بتدريب حواس الطفل مد الشهور الأولى من ميلاده، يقول «ويمكن أن تبدأ تربية حواس الطفل قبل أن يتكلم ويفهم وللدريب

حاسة النظر يحدث بتعويد الطفل على رؤية كل جديد حتى الحيوانات القبيحة ولكن في هوادة وعن بعد حتى يألفها وحينما يرى غيره يلمسها فإنه هو أيضا يلمسها، فذلك سيجعله لايفزع حتى يألفها وحينما يرى غيره يلمسها فإنه هو أيضا يلمسها، فذلك سيجعله لايفزع من رؤية الوحوش حين يكبر، ولما كان الطفل يخاف الأقنعة فيطلع «اميل» أولا على قناع لطيف المنظر ويراه على وجه أحد، ويكون ذلك في وسط مجموعة فتأخذ في الضحك، ولاشك أن الطفل في هذه الحالة سيضحك معهم، شيئا فشيئا يتعود على رؤية الأقنعة المختلفة الأشكال، وعندئذ لن يفزع بل سيضحك عند رؤيتها(٥٠).

أما تدريب حاسة السمع فلكى يتعود الطفل على سماع الضجة التى تحدثها الاسلحة فأنه يتدرج في سماع ضوضائها ورؤية شرارات انفجارات وعندئذ لن يهتز بسماع طلقة البندقية أو المدفع.

أما حاسة اللمس ففى السنه الاولى من حياه الطفل تكون الذاكرة والتخيل غير نشيطتين فلا ينتبة الطفل الا لما يؤثر فعلاً فى حواسة – فاحساساته هى الاداة الاولى للمعرفة – وتقديم المحسوسات الية بنظام مناسب ومتدرج هى بمثابة اعداد الذاكرة للادراك ، ولما كانت المحسوسات هى محور انتباه الطفل منذ البداية فيكتفى أن تبين له بوضوح العلاقة بينهما وبين ما تحدثة . والطفل يميل بالفطرة الى لمس وتحريك كل شئ فلا يجب أن تعارضة فى ذلك لأنه بهذه الوسيلة يتعلم ويتدرب فباللمس يحس بالحرارة والبرودة والصلابة والرخاوة ، كما يحس بثقل الاجسام وخفتها كما يميز الاحجام والاشكال ... الخ والخصائص المحسوسة تكون بالنظر أو باللمس أو بالسمع ، ويستطيع مقارنه النظر باللمس حينما يقدر بالعين الاحساس الذى يأتية من أصابعه(٥١).

«أما حاسة الشم فهى أبطأ الحواس نموا عند الطفل فحتى العام الثانى لا يظهر أنه يشم الروائح» .

أما حاسة الذوق فلم يذكر «روسو» عنها شيئاً فى هذه السن.

« وبالحركة يتعلم الانسان وجود الاشياء وبحركة اجسامنا يدرك معنى الامتداد ولكن الطفل فى خلال عامه الاول لا وجود عنده لتلك الفكرة ، فيمد يدة بأسلوب واحد للقبض على شئ فى متناولة أو على بعد منه فيبدو أن أشارته هذه سيطرة أوامر يصدرها الى الشئ كى يقترب منه أو يصدر الى الشخص الذى بجوارة أمراً ليحملة اليه ولكى يستطيع أن يحدد الامتداد يستحسن تقريب الشئ منه فى بطء شديد ، ويجب أن يهتم بنزهته ونقلة من موضع الى آخر كى يشعر بتغير المكان ويتعلم من ذلك تقدير المسافات، ، وبمجرد تخلصة من خداع النظر يبدأ فى معرفة المسافات [٥٢]

« أن لغه الطفل هى الصراخ ، والبكاء لغه مفهومة وتكون اشارة عن الضيق الذى يشعر بة بسبب احتياجاته ، فالاطفال اما أن يناموا وأما أن يصرخوا[٥٣] . أن بكاء الطفل جدير بالاهتمام فهو تعبير على أنه غير مستريح وأنه يستمر فى البكاء فنسترضية ليسكت ونهدهده ونغنى له لكى ينام ويجب أن تستعمل الكياسة ازاء ما يدية الاطفال من السخط والاحتجاج والغضب ، وبجانب لغه الصوت توجد لغه الاشارة ،هذه الاشارة ترتسم على وجة الطفل وجة الطفل ولة القدرة على التعبير بوجهه فتتغير ملامحة بالابتسام أو الفزع وذلك لأن عضلات وجة الطفل أشد ليونه ومرونه من عضلات الانسان البالغ فتعبيره عن احساساته يكون بعضلات الوجه ، والطفل لا يتجة الى الشر إلا لشعوره بضعفة ولذلك يحطم كل ما يقع تحت يدة وهذا ليس عن سوئية ولكن حاجته الى الحركة والانفعال وليس لدى الطفل طاقة فائضة عن حاجته بل على العكس فأن قواه لا تكفى جميع مطالب طبيعته ولذلك وضع

«روسو» أربع وصايا لهذه المرحلة :

الوصية الاولى :

ينبغى أن تتاح للاطفال حرية استخدام قواهم ماداموا لن يستطيعوا ايذاء أحد.

الوصية الثانية :

يجب أن نساعدهم ونمدهم بما ينقصهم من حيث الذكاء والقوة بما فية الكفاية لاحتياجاتهم البدنية.

الوصية الثالثة :

أن تكون مساعدتنا لهم فى حدود المنفعه الفعلية وتحاشى كل ما يتصل برغبات أو نزوات غير معقولة.

الوصية الرابعه :

يجب دراسة لغة الاطفال الصوتية واشاراتهم لكى نتبين رغباتهم ما هو طبيعى منها وما هو نزوة ، أو ميل الى الاستبداد والتحكم (٥٤).

والمقصود من هذه الوصايا المزيد من الحرية للاطفال مع الاقلال من تحكمهم وتعويدهم وتعليمهم العمل بأنفسهم لاحمل الاخرين على العمل لهم ، وكذلك تعويدهم أن تكون رغباتهم على قدر قواهم ويشعرون بأن الحرمان أمر عادى ، وفى بعض الاحيان يلجأ الاطفال الى البكاء ويتخذونه سلاحا للحصول على مايريدون ، وليس هذا من عمل الطبيعه ، والوسيلة المثلى للاقلاع عن هذه العادة هى الا نلقى بالاً الى بكاء الطفل وتكون مواجهته بالصبر حتى يكف عن البكاء فلا يعود الية بعد ذلك الا اذا كان عن الم حقيقى ، وبعد أن يسكت يذهب الية مربية فيتعلم أن البكاء وسيلة للاستدعاء ، وليس أدل على ذلك من أن الطفل نادراً ما يبكى وهو بمفرده،

وتوجد وسيلة أخرى لمنع الطفل من الاسترسال فى البكاء وهى جذب انتباهه بشئ آخر فينسبة ذلك ما كان شارعاً فية (٥٥).

أن جميع نواحى النمو فى هذه المرحلة - المرحلة الاولى من الحياه تسير فى وقت واحد ، فالطفل يتعلم الكلام والاكل والمشى فى آن واحد تقريباً أما من ناحية الكلام فجميع الاطفال يبدو أن التعبير بمقاطع خفيفة مبسطة ويجب عدم التشديد معهم فى تصحيح النطق منذ البداية ، لأن العيوب والاخطاء ستصحح تلقائياً ويتقدم العمر دون صعوبة ، المهم أن تكون الالفاظ دقيقة فى التعبير ما أمكن والصوت واضحاً (٥٦).

أما عن تعليم الطفل المشى فيجب أن يترك لكى يتعلمة بمفردة ، لأن الاداه المساعده فى تعليم المشى تجعلهم عند ما يشبون يمشون بصورة سيئة غير طبيعيه طوال حياتهم لأنه اسئ تعليمهم فى صغرهم ، وسيتعلمون المش من تلقاء أنفسهم ، ومتى يعرف الطفل كيف يضع قدما أمام القدم الاخرى لن يسندة أحد الا فى الحالات التى يخشى علية فيها من خطر يصيبة وينبغى أن يذهب به الى حديقة بهاعشب بضعه ساعات يومياً فلا يترك فى حجرة مغلقة ، وفى الحديقة تطلق له الحرية يجرى ويقع كيفما يشاء وهذا فيه كل الفائدة لأنه سيتمرن على المشى على سجيته وسيتعلم كيف ينهض بعد سقوط وتقييد حركات الطفل تخلق منه طفلاً مكتئباً مستكيناً تكبت فيه جميع الميول الفطرية (٥٧).

وفى هذه المرحلة يمكن اعطاء الطفل النبته الاولى من دروس الشجاعه فإذا تعثر الطفل ووقع وجرح ونزف منه الدم لا يبادر الية أحد مذعوراً ولكن يجب الاحتفاظ بالهدؤ لفتره فأى لهفه ستزيد من فزعه وزيادة حساسيته وألمه، وإذا رأى الطفل الشخص الذى أمامة ملهوفا علية فيسبب له ذلك الألم والعذاب، أما إذا رآه الطفل هادئاً فمن الممكن أن يحتمل الآلام وسيعوده

هذا بالتدريج على تحميل الالام (٥٨)

أنه فى هذا الجزء من كتاب «أميل» نجد أن كلام «روسو» مقصوراً على تربية الطفل الجسمية وتدريب حواسة ، أما تربيته العقلية وتربيته الخلقية ، فيرى الا يعنى بهما كثيراً فى هذه المرحلة ويقول «روسو» أن الطفل ليضره أن تكون ألفاظه اكثر من معانيه وأن يكون كلامه أكثر من تفكيره.

الجزء الثانى من كتاب «أميل»

The Child From The Age Of Five To Twelve - Physical Education. Instruction Through Experience and The Senses

«الطفل ما بين الخامسة والثانية عشرة ، التربية الجسمية من خلال التجربة واستخدام الحواس.

خص هذا الجزء من كتاب «أميل» للمرحلة ما بين سن الخامسة الى الثانية عشرة ووضع «روسو» مبدأين يسير عليهما التربية فى هذه المرحلة ، المبدأ الاول التربية السلبية والمبدأ الثانى التربية الخلقية وتأتى هذه عن طريق النتائج الطبيعيه .

لقد كان المفهوم السائد عن الطبيعه الانسانية عامه وطبيعه الطفل خاصة انها طبيعه شريرة فى الاصل ، وإن غاية الدين والتربية هو القضاء على هذه الطبيعه الاصلية الشريرة ، الا أن «روسو» خالف هذه الفكرة بالمبدأ التالى القائل بأنه : «يجب أن تكون التربية الاولى سلبية محضة تنحصر لا فى تعليم مبادئ الفضيلة الحقيقية بل فى تجنب قلبة الرذيلة رعقلة من الباطل» .

فالتربية السلبية هى التربية التى ارادها والتى ترمى الى كمال الاعضاء والحواس وهى أدوات المعرفة قبل أن يصل الية العلم عن طريقها ، ولقد وفق «روسو» فى تطبيق هذه التربية السلبية فيما يتعلق بفتح عيون الطفل للمعلومات وفيما يتعلق بتقويم خلقة (٥٩). وأخذ «روسو» ينادى بآرائة المتقدمة وينادى بتربية الحواس وتمرين أعضاء البدن فى هذه المرحلة من الطفولة ، وذلك لأن الطفل تشتد رغبته الى تحريك ساقية وذراعه ويكثر ميله الى استعمال حواسة فى التعرف على الاشياء وادراك خواصها رقال : «تصل الينا الحكمة والفلسفة بادئ ذى بدء عن طريق ايدينا وأرجلنا وحواسنا ، فأذا

أردنا أن نتعلم التفكير وجب علينا أن نبدأ بتمرين أعضاء البدن فأنها فى الحقيقة اسباب العلم ووسائل الادراك (٦٠) ولن يكون تمرين الاعضاء سهلاً هينا ، فيلبس أميل ملابس قصيرة خفيفة فضفاضة حتى يتعود احتمال الحر والبرد ويسير فى مختلف الاجواء (٦١) عارى الرأس وعلى المربى أن يدرب الطفل على السباحة والجرى والوثب ويمرن حواسهم جميعاً ولا سيما حاستى السمع والبصر ، ويعملة الغناء وهذا يساعد على معرفة النغمات والتمييز بين نبرات الاصوات ، كما يعلمة الرسم والهندسة التكوينية ، فذلك يساعد على تعويد الطفل على الملاحظة الصادقة والنظر الصحيح.

أما التربية الخلقية فأساسها الطاعه المطلقة ولا يجوز للمربى أن يدع أمراً للطفل يكون موضع مناقشة ، فأذا عود الطفل الاخذ والرد فيما لا يفهم تعود الجدل السفسطائى غير المنتج وقدر لنفسة فوق مكانتها فيصيبة الغرور وتفسد علية خير الملكات ، وليس يقصد بهذا ان لا يقدم المربى سبباً للامر الذى يصدره ولكنه يكون أكثر دقة ، اذ هو قدم السبب قبل أن يسأل عنه ، واذا استفسر عن شئ لم يفهمه فيقدم له تفسيرا مقنعاً يكون فوق المناقشة حتى لا يكون فى شك من الاسباب التى تقدم له ويكون مقتنعاً بها تماماً (٦٢).

«ومع أن الطفل لا يعرف شيئاً عن الكتب فى هذه المرحلة فأنه يتبنأ ويحكم على كل شئ له صله مباشرة به ولذلك فالتربية يجب أن تكون فى معظمها تدريباً للحواس يكتسب عن طريق الاتصال المباشر بقوى الطبيعه وحوادثها ، ويجب أن يقيس الطفل ويزن ويحلل ويقارن ويستنتج ويجرب ويكتشف المبادئ (٦٣).

أما عن مشكلات الاطفال فى هذه المرحلة فاذا كان مشاكسا يفسد كل ما يمسة يدة ، فيضع كل شئ يمكن أن يفسدة بعيداً عن متناول يدة ، وأن حطم الاثاث الذى يستعملة فلا تبادر الى اعطائة اثاثاً جديداً ، وأن كان يحطم

زجاج نوافذ حجرته فندع الريح تهب عليه ليلا ونهارا غير مكترث بما يصيبه من نزلات البرد، ولكن نجعله هو يشعر بآثار ذلك ، وأخيراً نصلح زجاج النوافذ دون أن نذكر له كلمة ، ولكن اذا كرر فعلته يحبس فى مكان ليس به نوافذ فيبكى ويتحسر على فعلته [٦٤]. وسيتعلم الطفل من هذه التجربة اشياء كثيرة مثل عدم العبث بتحطيم الزجاج ويعرف قيمة التعهدات ومدى فائدتها ولا يسمح للطفل أن يعامل الكبار كأنهم أقل منه أو انداده فأن الطفل الذى يضرب وهو صغير لا يتورع عن القتل وهو كبير [٦٥].

والكذب نوعان ،كذب ينصب على الواقع أو على ما وقع وفيه ينكر الطفل عملاً قام به حقاً ، أو يدعى عملاً لم يقم به ، بمعنى أن يقول خلاف الواقع قصداً وعن علم ودراية وكذب ينصب على النية أى سيقع مستقبلاً ، ويعد الطفل فى نيته الا يقوم به أى يظهر خلاف نيته.

من ذلك يتضح أن الكذب الفعلى ليس طبيعياً ولكن قانون الطاعه هو الذى يؤدى الى الكذب بالضرورة لأن الطاعه مؤلمة ، فيعمد الطفل الى التحلل منها بالكذب قدر استطاعته وذلك للتهرب من العقاب ، أما اذا كانت تربية الطفل طبيعية حرة ، فلا حاجة له للكذب ولا يحتاج الى اخفاء شيئ حتى لا يؤنبة المربى ولا يعاقبة ولا يرغمه على شئ ، ومن هنا يروى ما فعله ببساطة[٦٦].

أن كذب الاطفال نتيجة اساليب الاساتذة بما يملونه عليهم من مواعظ وامثال لا اساس لها عند الاطفال من الادراك أو التجربة. وطريقة «روسو» فى التربية هى الممارسة العملية للحياه والدروس العملية للفضلية، فلا يطالب الطفل بالصدق حتى لا يضطر الى اخفاء الحقيقة ، واذا احدث خطأ فى غياب المربى لا يسأل الطفل هل هو فاعله لأن جوابة يكون الانكار، وكلما شعر الطفل بالاستقلال قضى على كل حافز له على الكذب، وينبغى

التمهل فى الالزام والمطالبة مثلما فى التعليم حتى لا يفرض على الطفل شئ فى غير أوانه فلا يفسد كيانه فكثره المطالبة تربك الطفل وتسبب له الضيق(٦٧). كما يرى «روسو» الا يكلف الطفل بعمل لا يفهم معناه كاعطاء صدقة مثلاً فلا يعطى الطفل ما يتصدق به لأنه لا يفهم الصدقة، بل يتصدق أحد أمامه ، وحين يسأل لماذا اساعد الفقراء، فالاجابة تكون أن الفقراء محرومون وواجب الأغنياء أن يعطفون عليهم، هكذا يستطيع الطفل أن يعرف معنى الكرم والبر بالفقراء، كما أن كل فضيلة تقوم على التقليد وبذلك نستطيع أن نجعل الاطفال يقلدون ما نريدهم أن يتعودوه الى أن يأتى الوقت الذى يميزون فية الخبيث من الطيب ويفرقون بين الاشياء ومشابهاتها ويقدمون على الاعمال الخيرية حباً للخير ذاته ، ويجب على الاستاذة أن يبتعدوا عن التصنع وأن يكونوا فضلاء صالحين حتى تنطبع قدوتهم الصالحة الفاضلة فى أذهان تلاميذهم ، فأن الطفل منذ صغرة مجبول على تقليد ما يراه خيرا كان أو شراً وكل المرئيات التى تصادفهم تنعكس فى نفوسهم»(٦٨).

«وأن من الامور الشائعه بين الامهات أن يبالغن فى تقدير ذكاء اطفالهن فى حين أنهم لا يفهمون الامالة صلة وثيقة مباشرة باهتماماتهم ومصلحتهم وفيما عدا ذلك فليست للافكار اية قيمة لديهم لا يعرف منها الا الالفاظ(٦٩). وأن أقوال الطفل ومعانيها وأفكاره اذا كان لديه أفكار لاتعنى لديه ما تعنيه لدى الكبار لا نظام لها ولا ارتباط بينها ، ومن ثم فلا ثبات فيها ولا وضوح ولهذا يجب النظر الى الطفل ومعاملته على حسب سنه دون النظر الى الظواهر ومن نصائح «روسو» فى تربية الصغار أنه يجب عدم ارهاق قوى الطفل بما يجاوز طاقته ونترك له الحرية المطلقة اذا اظهر رغبه فى نشاط ذهنى ولكن لاندفعه الية ، واذا اعاد وابدى الرغبه فى التوقف عن ذلك النشاط فندعه وشأنه ، فإن البذور الاولى لذلك النشاط قد تثمر فيما بعد ذلك بسنوات،

ولذلك يجب اتاحة الفرصة للطبيعه لكى تقوم بعملها بهدؤ (٧٠). أن الذاكرة تختلف عن العقل فهما ملكتان مختلفتان الا أن احداهما لا تنمو مستقله عن الاخرى ففى السنوات الاولى من الطفولة يتلقى الطفل عن طريق حواسة صوراً لا أفكارا، فالصور هى الاشكال الخارجية ، أما الافكار فأنها معلومات عن تلك الاشياء تتعلق بعلاقاتها فيما بينها، وتكون مرتبطة بغيرها من الافكار رحين نفكر نقارن ونربط ونميز فيما بينها ، فالصور احساسات والاحساسات سلبية أما الافكار فثمرة عملية التفكير أو الاستدلال وهى ايجابية وما دام الاطفال عاجزين عن التمييز والحكم العقلى فهم ايضا لا ذاكرة لديهم.

وكل ما يعرفه الطفل هو أصوات وأشكال واحساسات ولكنه تعوزة المعانى، ولكن ليس معنى هذا أنه لا تفكير لدى الاطفال، فأنهم يحسنون التفكير أحيانا فى أمور محدودة جداً تتصل باحساسهم واهتماماتهم الفعلية، وفى رأى «روسو» لانفع فى دراسة اللغات للطفل فى فترة الطفولة الاولى ويعتقد انه حتى سن الثانية عشر أو الخامسة عشر لا يمكن أن يتقن تعليم لغتين (باستثناء العباقرة) واذا كانت دراسة اللغات مجرد تعليم كلمات أى أشكال أو أصوات تعبر عن الاشكال ، فإن هذا لا يلائم الطفل. والسبب فى ذلك أن للشئ الواحد عند الطفل رموز كثيرة مختلفة ،و أما الفكرة الواحدة فلا يمكن أن يكون لها عنده الا صورة واحدة لهذا لا يستطيع أن يتكلم الا لغه واحدة ، وفى هذه الحالة لا قيمة لتعليم الرموز من غير المعانى والافكار التى تدل عليها (٧١).

وحين يعلم الطفل وصف الارض فأنه لا يعلم فى الحقيقة الا رسم الخرئط واسماء البلدان والانهار ، وهو لا يعى بها وجود الا رسوما على الورق، ولذلك فإن الطفل لا يستطيع أن يعرف طريقة اذا طلب منه الانتقال من بلدة الى أخرى بمفردة بل أكثر من ذلك لا يعرف طريقة فى حديقة

منزلة بالرغم انها محدودة ورغم أنه يعرف اسماء البلدان والام (٧٢).

وينصح «روسو» ايضاً بأنه لا يجب فرض دراسة التاريخ على الاطفال ، أن دراسة التاريخ تقوم على تقدير أعمال الناس على ضوء علاقاتهم بعضهم ببعض، فمن الواجب تفهيم هذه العلاقات للتلاميذ ، كذلك فأن الحوادث التاريخية لا تنفصل عن معرفة اسبابها ونتائجها ، لأنه اذا كانت الحوادث مجردة فليس اذن قيمة للتاريخ وعلى هذا فان دراسة التاريخ لا تتناسب مع اعمار الاطفال ، لأن ذاكرة الطفل لا تعنى الا احساسات فقط ويقول «روسو» أن كانت الطبيعه قد سخت على الطفل فمنحت عقلة المرونه التى تجعله قابلاً لجميع التأثيرات ، فليس ذلك لكى نحشو ذلك العقل وننقش فية أسماء والفاظ الفلك والجغرافيا التى لا فائدة منها ولا معنى ، بل الواجب أن ننقش فيها منذ البكور بحروف راسخة لا تمحى تلك المعارف التى تهيئ له السعادة وتضيء له الطريق وترشدة الى حسن استخدام لملكاته (٧٣). حتى أذا لم نستعن بالكتب فإن ذاكرة الطفل لا يدركها الخمود لأن كل ما يراه ويسمعه يثير أنتباهه وينطبع فى ذاكرته ، فمن الواجب أذن أن نختار الاشياء التى تتأثر بها ذاكرته وكذلك الاشخاص الذين يخالطهم وينبغى ابعاده عما لايصح أن يطلع علية حتى يعرف ما يجب ويجهل مالا يجب ، فتتكون لدية مخزونات من المعارف المجدية فى تربيته منذ حداثته ثم فى سلوكة فى مستقبل حياته(٧٤).

«كما يجد أن الاطفال الذين يتعلمون الاساطير لا يفهمونها ، حتى ما كتب منها خصيصاً للاطفال ، فهى تكون الغازا بالنسبة لهم ، ويحتاج الى شرح وتحليل واذا تتبعنا الاطفال الذين يحفظون الاساطير فسنجدهم عند التطبيق يعمدون الى عكس المقصود ، فبدلاً من النفور من العيب الذى تعالجه الاسطورة تفتنهم منها صورة الشر ، ويعجبون براعه الثعلب ، والطفل يعجب

بدور المنتصر ، وهو اختيار طبيعي لأنه مبنى على حب النفس والاعتزاز بها ، وهكذا يتقمص الطفل أدوار البطولة فى مختلف الاساطير ويفعلها فى شتى المناسبات مع اقرانه فالاساطير فى رأى «روسو» تعلم الطفل القسوة والطغيان والخداع والبخل ... وهذا بالتأكيد عكس المقصود منها (٧٥). كما أنه لا يوافق عل تعليم الطفل الكتابة قبل الثانية عشرة ، ولو أنه وافق على تعليمة القراءه حين تكون مجدية ويمكن أن يتعلمها تدريجياً بواسطة الباعث الشخصى أى عندما تصله دعوات لنزهات أو عشاء فتسا عده على حل رموزها فيتعرف الطفل الى رسم الكلمات تصله ويتعلم بذلك الرسم والقراءة وعندما يجيب على رسالة أو يشكر أحدا أو يدعو أحد فستكون مناسبة لتعليمة رسم الحروف كتابة (٧٦).

مبادئ تعليم السلوك الاجتماعى وكيفية التغلب على مشاكله:

يقول «روسو» أنه لما كان «أميل» يتربى بعيداً عن الخدم فسوف لا يكتسب عادات سيئة ومع هذا فليس من الممكن ابعاده ابعاداً تاما عن القدوة السيئة لأن تعرضة لها يجعلها تبدو له منفرة ، وأول شعور بالعدل هو بما يجب لنا من حقوق ومن التخبط فى التربية تعليم الواجبات قبل الحقوق ، ففى ذلك قلب للاوضاع اذ يختلط الامر على الاطفال ولا يفهمون ما يقال والطفل لا يهاجم الناس بل يهاجم الاشياء فيتعلم بالتجربة احترام من هو اكبر منه سناً ولما كانت الاشياء لا تملك الدفاع عن نفسها فيجب تلقينه معنى الملكية، ولهذا يجب الرجوع الى الاصل فى الملكية والفكرة الاولى التى نبتت منها؟.

والطفل عاده يميل الى التقليد واثبات قدرته ونشاطة فمن المتوقع أن الطفل حين يرى من يزرعون الحديقة وهم يبذرون ويتعهدون الخضروات يرغب فى زراعه جزء من الحديقة بنفسه ، وسوف لا يعارض المربى هذا الميل

فية بل سيشجعه وسيعمل معه ويعاونه فى فلاحة البستان ، ويقلب معه الارض بالفأس حين تعجز زراعه على ذلك ثم يزرع حبة الفول ، ومن هذا العمل يتعلم معنى الملكية ، ولا شك أن سيروى شجيرة الفول ويزداد فرحاً كلما رآها تنمو وترتفع وعندئذ يقول المربى هذه ملكك ويفسر له لفظ الملكية ، وأنه ثمرة ما بذلة من وقت وعمل وجهد ، وأن هذا الجزء من الحديقة بخصة دون سواه. .

ومن واجب المدرسين أن يقرنوا دروسهم بالاعمال ولا يكتفون بالاقوال لأن الاطفال ينسون بسرعه ما يقولونه وما يقال لهم ، ولكنهم لا ينسون بسهوله ما يعملونه وما يعمل بهم أو أمامهم (٧٧) .

كيفية تدريب الحواس فى هذه المرحلة :

فى رأى «روسو» أن تمرين الحواس ليس فى مجرد استعمالها ، بل فى تدريبها على أن تكون وسيلة صالحة للتميز ورياضة الحواس هى أن يتعلم الطفل كيف يحس ، لان الطفل لا يعرف كيف يلمس أو يرى أو يسمع الا اذا تعلم ذلك ، فالسباحة والجرى والقفز وحمل الاثقال رياضة طبيعيه ميكانيكية تكسب الجسم قوه من غير أن يكون لها تأثير فى التمييز ولكن ليست كل الاعصاب تنحصر فى الذراع والسيقان ، وأنما فى العيون والاذان وهاتان الحاستان لا يقلان أهمية عن الاطراف (حاسة اللمس) ، وعلى ذلك فأن رياضة القوة البدنية وحدها لا تكفى بل يجب العناية برياضة (تمرين) جميع الحواس التى توجه قوانا وتهذيبها ، ويجب الاستفادة من كل حاسة عندنا بكل ما فى وسعنا ، ولا ينبغى أن نرهق قوى الطفل من غير حساب دقيق للمقاومة والمجهود ويجب أن نعود الطفل الا يبذل جهودا سطحية بل يجب تعويدة أن يتوقع النتيجة الطبيعيه لجميع حركاته ، وأن يصحح اخطاءة بالتجربة ، فيكون من الواضح أن يزداد تمييزة بازدياد التجربة (٧٨) . فمثلاً اذا اراد الطفل

حمل ثقل واراد ان يعرف هل يستطيع حملة أم لا فيجب أولاً أن يتعلم تقدير الاثقال بالنظر ويعرف كيف يقارن بين كتل متفاوته بالحجم من مادة واحدة ، وبين كتل متساوية الحجم من مواد متنوعه ، ويعتبر «روسو» أن حاسة اللمس هى أهم الحواس ويجب أن يتدرب عليها الطفل قبل غيرها وذلك لأن عملها لا يقتصر فى حالة اليقظة ولكنها حارس يقظ ساهر ينبهنا الى ما قد يؤذينا، فهى منتشرة على سطح الجسم كله، وحاسة اللمس عند العميان أقوى وأرهف مما هى عند غيرهم لان افتقارهم الى البصر يجعلهم يركزون مشاعرهم فى تلك الحاسة لمعرفة الاشياء والتمييز بها، ولكى تروض هذه الحاسة فتعرف الاجسام التى تلمسها وتميز بينها ، وأن تعمل ليلاً من غير ضوء، وهنا ما يعملة العميان نهاراً من غير عيون، ومثال آخر يضربة «روسو» لتدريب حاسة اللمس فى الظلام، اذا وقف شخص ليلاً فى حجرة مظلمة ولفحت وجهه نسمة هواء خفيف فسيعرف أنه مكان مقابل لباب أو لنافذة وهذه الملاحظة لا يمكن أن تكون الا فى الليل لان حاسة النظر تعوقها فى النهار(٧٩).

أما عن تدريب حاسة النظر «فأن كل شئ يتيح الحركة للجسم دون أن يرهقة يحث الاطفال على فعلة فى سهولة والوسائل لاثارة اهتمامهم ودفعهم الى قياس ومعرفة وتقدير المسافات لاحصر لها ، فإذا كانت هناك شجرة توت عالية تجعلها وسيلة تثير أمام الطفل مشكلة قطف ثمار التوت منها ، ونتساءل هل يكفى سلم صغير للوصول الى الثمار؟ وهكذا .

«وإذا سرنا بجوار ماء عريض نتساءل كيف نعبرة؟

واذا أردنا أن نصطاد السمك من بحيرة فكم ينبغى أن يكون طول خيط السنارة؟

واذا اردنا عمل أرجوحة ما بين شجرتين فما طول الحبل الذى يلزم

لذلك؟

واذا كنا فى نزهه فى الخلاء وشعرنا بالجوع وكانت هناك قريتان عى بعد النظر ،فالى اى القريتين يكون وصولنا اسرع لنحصل على الطعام (٨٠).

دراسة الهندسة :

يرى «روسو» أن تكون عن طريق القياس الدقيق للاشياء والاشكال على أن يبحث الطفل بنفسة العلاقات التى بينها اذ أن «روسو» لا يوافق على اتباع الطرق التقليدية بعرض منطوقة النظريات أولاً ثم السعى بعد ذلك لاثباتها ، ويقول أيضاً ان تربية الاطفال تحتاج الى صبر وطول اناه ، وفى المرحلة من الخامسة الى سن الثانية عشرة يجب الاهتمام بشحن الذهن وتنمية الملاحظة أثناء اللعب عن طريق حاستى السمع والنظر ، ولقد اتخذ «روسو» منهج الطبيعه نفسها فى تربية تلميذة وتوجية هذا التلميذ عن طريق حواسة فهو فى الثانية عشرة من عمرة «سليم البنية قوى الصحة حسن التكوين بالنسبة لسنه فهو متوقد الحيوية بريئاً من الهموم ويتصورة «روسو» فى سن متقدمة وقد اكتملت حواسة وقواه الذهنية يوما بعد يوم وهو يحسن استعمالها جميعاً ، فيراه ويتخيلة رجلاً فيزداد اعجابة به (٨١).

وفى هذه المرحلة كان يرى أنه اذا أخذ «أميل» لكى يختبر فيجب سؤالة فى شتى المواضيع ولكن لا ينتظر أن تكون اجابته منه فى عبارات منمقة أو صيغ محفوظة وانما اجابته ستكون هى الحقائق مجردة فى بساطة وصراحة متناهية ، وأن كانت أفكارة محددة الا أنها واضحة ويعرفها عن خبرة وتجربة ، وهو يتكلم لغته القومية فقط ، ولكنه يعى ما يقول كما أنه يحسن العمل اكثر من غيرة ، واذا سأل عن الحرية والملكية سيعرف كيف يوفى الموضوع حقة فى الاجابة.

واذا قورن بين «أميل» وبين اقرانه من سنه فأنه يوجد أقوم تكوينا واقرب

الى الكمال فى تلك المرحلة ، كما يكون بارعا ماهراً ، ولدية حكم صائب وتمييز صادق فى كل ما يتصل بأحول الطفولة.

«أما من ناحية الرياضة البدنية فهو اقدر على القفز ورفع الاثقال وتقدير المسافات وابتكار الالعاب ، والفوز دائماً فى المسافات فى المسابقات ، وكذلك فأنه مفطور على الزعامه والقيادة لا يمانه بأن مهارته وتجربته وخبرته تؤهلة لذلك ، ولقد وصل «أميل» الى نضوج الطفولة دون أن يفتقد مباهجها وسعادتها ، لقد اكتسب كل حكمة سنه (عمرة) واستمتع بطفولة فى كل لحظة فيها [٨٢].

الجزء الثالث من كتاب «أميل»

The Period of Intellctual Education

« أميل بين الثانية عشر والخامسة عشرة - مرحلة التربية العقلية »

يقول «روسو» أنه فى هذه المرحلة تتحول الاحاسيس الى افكار ولكن من أن تقفز واحدة من الاشياء الملموسة المحسوسة الى الاشياء الذهنية أو المعقولة ، وعلى هذا الاساس يجب أن تكون الحواس مرشد الفكر ودليلة فى عملياته الاولى ، والكتاب الذى يتناولة الفتى هو كتاب الدنيا من حولة وتكون الحوادث والوقائع مصدر التعليم والارشاد ، والطفل الذى يقرأ لا يفكر لأنه يقرأ فحسب ، فلا يتعلم الا الفاظا فقط ، لذلك ففى هذه المرحلة يوجة انتباه التلميذ الى مظاهر الطبيعه ، فسرعان ما يملؤة الفضول ، ولكن يجب أن يحذر من التعجل فى اشباع فضولة بل توضع المسائل فى متناول يدة ثم يترك ليتولى حل كل مسألة بنفسة ومن الواجب الا يعرف عن طريق القول أو التلقين بل أن يفهم بنفسة يفكر ويخترع ويكتشف فأن التلقين يرقف تفكيرة ويكون أداه لتسجيل اراء الناس [٨٣] .

أما من ناحية التعليم فى هذه المرحلة فلقد كان لروسو رأى فى تعليم الجغرافيا والعلوم الاخرى ، لكنه أعطى اهتمام بالغا بتعليم الجغرافيا وذلك لكى تؤخذ مثالاً يحتذى فى تعليم العلوم الاخرى.

تعليم الجغرافيا:

يتضح أن «روسو» يفضل عدم لستخدام نماذج الكرات الارضية والخرائط والادرات الجغرافية ويقترح طريقة اجدى لتعليم الجغرافيا وهى «أن يخرج المعلم مع تلميذة على سبيل النزهه فى ليلة صافية بحيث تكشف للرائى غروب الشمس فى وضوح ويلاحظا معالم المكان فى ساعه مبكرة من صباح اليوم التالى، ويشاهدا بزوغ الشمس وتترك للتلميذ فسحة من الوقت يتأمل فيها الشروق، ومن هذه المشاهده يكون مرضوع سوآل المربى [٨٤] . فيقول

لتلميذة مثلاً يخيل الى ان الشمس مساء أمس غربت هناك وهاهى قد اشرقت علينا من غير الموضوع الذى غربت فيه؟ ويكتفى المربى بهذا السؤال ومهماسأل التلميذ عن شئ آخر فلا يجبة فهو سيفكر فيما انتهت به الية وبعد ايام سيعرف بالمشاهده المباشرة كيف تنتقل الشمس من مشرقها الى مغربها ويكون وسيلة هذ الادراك هو عينيه وبعد ذلك يقوم المربى بتوضيح حركة الشمس وبهذ يتم أول درس فى الجغرافيا الفلكية.

«وليكن الانتقال بطيئاً من فكرة محسوسة الى أخرى محسوسة بحيث يالفها التلميذ ويربط بينها وبين سابقتها قبل أن ينتقل الى فكرة ثالثة ، ويجب الا يجبر التلميذ عل الانتباه بالارغام ، فيكفى أن يوجة نظرة بعد اكتشافة لحركة الشمس الدائرية ولشكل الارض الكروى كى يكشف أن جميع الحركات الظاهرية للاجرام السماوية قائمة على نفس المبدأ (٨٥). ويمكن أن نتسلى مع التلميذ فى السهرات الليلية وذلك بذكر أن الشمس تدور حول الارض على شكل دائرة وكل دائرة بها مركز ، ومركز الارض فى جوفها ويمكن أن نتصورة بعامود يخترق الارض وهو محورها ، ومن مثل هذه الاحاديث ومن مشاهداته لنفسه ينشأ لدى التلميذ الادراك بالفلك ويتربى لدية الذوق الفلكى ، والميل الى تتبع الكواكب ، وملاحظة النجوم فى مساراتها ، وفى المواسم (عيد الميلاد مثلا) يعاود النزهه فى المكان الذى راقبا منه الشمس من قبل وعندئذ يثير المربى مسألة تغير الشروق فى الشتاء فيصل بذلك الى قواعد جغرافية أخرى لا على نماذج بل على الطبيعة (٨٦). كما يمكن أن نجعل التلميذ يقيس اجزاء الارض ونبدأ بالمنطقة التى يسكنها ، فيجمع التلميذ بين ملاحظة السماء وملاحظة الارض ويحدد موقع البيئة من المدينه ، ثم يحدد الاماكن والمواضع التى بينها ، ثم الانهار القريبة ، وأخيراً اتجاه الشمس وبذلك يربط بين التفاصيل ويحسن أن يقوم التلميذ بنفسه بعمل خريطة لذلك يلاحظ تقدير المسافات ، ومن ذلك يتبين مدى جدوى تربيتنا لحاسة النظر ، والامر يحتاج الى قليل من الارشاد دون أن يشعر التلميذ

فاذا اخطأ نتركة يكتشف خطأه ويصححة بنفسة (٨٧). أو «نجعلة يفطن الى ذلك بملاحظة بسيطة - فأن من لايخطىء لن يتعلم - وليس هنا المقصود تعريفة المعالم بالضبط بل أنه وسيلة لتعلمة مبادىء الجغرافيا بوجة عام بدراسة الاقليم الذى يعيش فية والهدف من هذا وصول الافكار الدقيقة الواضحة الى ذهن التلميذ (٨٨).

تعليم العلوم :

يقول «روسو» أنه اذا علمنا الطفل العلوم واتبعنا منهج الاستدلال ، فسوف تصب فى رؤوس التلاميذ مجموعات من الحقائق تصبح فيما بعد لا قيمة لها ، ولكن اذا اخترنا منهج التحليل أو منهج التركيب لدراسة العلوم فسيكون افضل فالطريقتان متكاملتان فأحيانا يمكن أن نحلل وتركب فى البحث الواحد ، واذا استخدمنا هما معاً ذلك حين نجمع بين اكتشاف الحقائق عن طريق التحليل وبين عمل التجارب التطبيقية التى تؤدى الى نوع من التركيب.

وهناك سلسلة من الحقائق تربط بين جميع العلوم بمبادىء مشتركة ، وكذلك من المهم أيضاً ترابط المواضيع الجزئية بغيرها وهو مايثير الفضول وينقل الاهتمام من حقيقة الى اخرى ، ومثال ذلك أن «أميل» لاحظ أن الكهرمان يجذب القش من ذلك وأن أجساما أخرى لا تجذبه واكتشف أن جسما معينا يجذب على مسافة برادة الحديد والدبابيس ، وأخيراً يكتشف أن هذه الخاصية تنتقل الى الدبابيس فتصبح ممغنطة ، وهكذا بالتدريج تتكشف له قوانين الفيزياء المغناطيسية بتفاصيلها وقوانينها ، كما أنه سيكتشف بتجارب مماثلة قوانين الاستاتيكية ، على أن يعد أجهزته بنفسه ويخترعها وبهذا يشارك جسمة فى النشاط الذى يقوم به ذهنه ، ولكى تساعد الذاكرة يجب أن يكون الانتقال من تجربة إلى تجربة أخرى تبعاً لنظام منطقى (٨٩). وليس الغرض من هذه المرحلة من الثانية عشرة الى الخامسة عشرة هو تعليم العلوم بل الغرض

هو تربية الميل والتذوق فى التلميذ ليحبها ويقبل عليها بنفسة عندما يكتمل ميلة ، والغرض ايضاً تعودة شيئاً على الانتباه المتصل بموضوع معين ليس بالارغام بل بالرغبة والسرور التى ينتج عنهما هذا الانتباه ويحذرنا «روسو» من الموضوعات المعقدة التى تدفع التلميذ الى الملل (٩٠) . ولانه لن ينسى ما عاش الدرس الذى تلقنه على الطبيعه . فالواجب أن نلقن التلميذ عمليا ما وسعنا ذلك كما أنه يقول أن الكتب ضارة لانها تعلمة أن يتكلم كثيراً فيما لا يعرف ، ولكنه بالعمل يستخدم حواسة وعضلاته ويدربها وهذه أفضل طرائق التعليم . «لا يسمح «روسو» لأميل» الا بكتاب واحد فى هذه المرحلة هو «روبنسون كروزو» (٩١) . لانه يصور رجلاً عمل بمفردة على حفظ حياته ، ويعلمه الحكم الصائب عن العلاقات بين الاشياء (٩٢) .

تعليم الصناعه والحرف :

يرى «روسو» أنه ينبغى أن يدرس أميل العلاقات الاجتماعيه فى المجتمع الذى يعيش فية ولكن من غير أن نطلعه على الجانب المعنوى الاخلاقى من تلك العلاقات بل توجة انتباهه أولاً نحو الصناعه والفنون الميكانيكية (٩٣) . التى تربط الناس بعضهم ببعض ،وتجعل البعض نافعاً للبعض الآخر . «ولكل فرد احتياجات وعلية أن يسعى للحصول عليها وهى متنوعه كثيرة والناس مختلفون فى درجة الذكاء وفى المواهب فهذا يتقن الزراعه وذاك يتفوق فى الحداده أو النجارة ،وهكذا من هنا جاء ترابط الناس عن طريق تبادل المنفعه ، ولو فرضنا أن الناس قاموا بعمل واحد لانعدم الترابط ولما استقام المجتمع ، أما اذا تخصص كل فرد فى عمل ونبغ فيه فأنهم يوفرون للمجتمع كافه الاحتياجات ، وبهذا يزدهر المجتمع وبالتخصص والاتقان ينتج كل فرد مزيداً من هذه السلعه (٩٤) .

«أن العمل راجب على كل فرد والعمل اليدوى أقرب الى حالة الطبيعه، وطبقة الصناع خير الطبقات من حيث الاستقلال ، فالصانع مرتبط بعملة

فقط وهو حر ، أما الزراع فعبد لأنه مقيد وذلك لأن محصول الحقل تحت رحمة غيرة يتعرض لشتى الاعتداءات على خلاف المصانع ورغم أن الزراعه هى المهنه الاولى للانسان وهى أشرف المهن فهى لذلك اسمى ما يمارسة البشر ، ولكن «روسو» لا يريد «لاميل» أن يكون مزارعا لأنه هو تعلم الزراعه فى بداية حياته ولكن له أن يزرع ما يشاء من ميراث أبويه ، ولكن اذا لم يكن هناك ميراث فماذا يصنع فأن المهنه اليدوية تغنى عن الحاجة (٩٥).

« وليس الغرض من تعلم المهنه التكسب بها حتما بل الغرض القضاء عل المزاعم الخاطئة التى بين الناس بصدد العمل اليدوى ، «فروسو» يريد «لأميل» أن يكون حراً مستقلاً وأن يكون عملة من الاعمال غير المكروهه أو المنفرة» ولهذا يفضل المهنه لأن تربيته ساعدته على تمرين عضلاته وحواسه، ولذا سيدرك تفاضيل المهنه فى وقت قصير ويفضل «روسو» مهنه النجارة لانها منشطة للجسم وتحتاج لمهارة ودقة وسيقضى «أميل» وقته فى ورشة نجارة يوم أو يومين فى الاسبوع حيث يقضى النهار بطولة فى الورشة ويعمل تحت اشراف النجار ، ثم يعود آخر النهار وبهذا النظام يمكنه أن يتعلم أكثر من مهنه واحدة لأن الايام التى لا يذهب فيها الى النجار يمكن أن يذهب الى الحداد أو أى مهنه أخرى تتدرب ايديهم على مهن متعددة (٩٦).

وبعد أن يبدأ «أميل» بتدريب جسمة وحواسة يربط أخيراً بين وظائف أعضائة وعمل ملكاته وهذا يجعل منه كائناً عاملاً ، ولم يبق حتى يتم تكوين الرجل الا أن يصبح محباً معقولا وذلك بتكوين عقلة وعواطفة ، لقد كان كل رصيد «أميل» فى البداية هوالاحساسات وبعد ذلك صار لدية معان وافكار فكان يحس فقط ولكنه أصبح يميز ويحكم ، فمن المقارنه بين الاحساسات المتعاقبة ومما نحكم به علية تتوالد احساسات معقدة يمكن تسميتها فكرة أو معنى ، والحكم السلبى هو الحكم الذى يتضمنه الاحساس

البسيط مجرد اثبات أن الشخص يحس ما يحسة اما الحكم المتضمن فى التصور أو المعنى فهو حكم ايجابى لانه يقرن ويحدد العلاقات التى تعجز الحواس عن تحديدها ، وهذا هو الفرق بين الاحساس والمعنى ، فأن المقارنه بين الحواس تصحح أخطاء بعضها فى بعض الاحيان ، ذلك لأن الخطأ لا يكون فى الاحساس بل فى الحكم المتضمن فية ،و المقارنه تصحح ذلك الحكم كالعصا التى تترائى لك مكسورة حين تنغمس فى الماء ، وعلى هذا الاساس سيتدرب «أميل» على احكام - واسة بالمقارنه بينها (٩٧) . فبهذه الطريقة يتعلم الحكم العقلى والتمييز الذهنى معاً ، فتكون لدية المعانى وسيتبع تجارب بسيطة لذلك التدريب بحيث يكون فى مقدورة أن يفظن من تلقاء نفسة الى خطأ الحكم الظاهرى فيستخدم التمييز العقلى (٩٨) . بواسطة التفكيير العلمى وتتكون لدية ملكة الحكم التى تؤدية به الى تحصيل المعارف العلمية بنفسه (٩٩) .

أن التربية المعاصرة الآن تعرف مثل هذا الفكر «بالتعليم الاساسى» اذ تنادى بربط التعليم بالبيئة وربط الدراسة بالعمل وانتاج الفرد المواطن المتكامل عقليا وجسديا وخلقياً واجتماعياً ، وتخريج الانسان القادر على العمل والانتاج (١٠٠) كما أن التعليم الاساسى يهدف الى تذويد الدراسين بالقدر الضرورى من القيم والسلوكيات والمعارف والمهارات العملية التى تتفق وظروف البيئات المختلفة بحيث يمكن لمن ينهى هذه المرحلة أن يواجة الحياه بقدرة (١٠١) .

أن هذا ما كان يعنيه «روسو» ولقد صار يدرب تلميذة منذ الصغر على العمل اليوى ليعده لمهنه شريفة عندما يصير رجلاً .

ولكى تكتمل آراء «روسو» فى التربية ستعرض الباحثة بأختصار مضمون التربية فى الفترة ما بين الخامسة عشرة والعشرين .

الجزء الرابع من كتاب « أميل »

Emile From Fifteen To Twenty

« يشمل على تربية العواطف »

فبعد أن تكون جسد أميل وحواسة وعقلة حتى هذه السن فأن الوقت قد حان للعناية بقلبة أى بالتربية الدينية والخلقية ،ولقد بدأ «روسو» بالتنبية الى الاهمية البالغه لسن الرشد ، أن أهم اعمال التربية تبتدئ فى هذا الطور من النمو اذ أن «أميل» الى هذا الوقت لم يتصل بالناس اتصالاً مباشراً ، ولم يعرف بعد كيف يسلك مع الناس ، وفوق هذا فأنه لا يعرف ربة لذلك يجب أن تكون تربيته فى هذه السن خلقية ودينية حتى يدرك صلته بالناس ورابطته بخالقة.

وفى التربية الخلقية يجب الا يتجة المربى الى النصح والارشاد فأنهما لا يجديان وأنما علية أن يسلك الطرق العملية القوية ، فيدفع الغلام الى مخالطة الناس ومعاملتهم ، ويكون قدوة حسنه له ، ويقرأ علية الامثلة الطيبة من تاريخ الصالحين ، وعلية أيضاً أن يستثير عواطف الرحمة والحنان فيه بدعائة الى زيارة المستشفيات وملاجئ العجزة والسجون واطلاعه على مظاهر البؤس التى يقاسيها كثير من الناس من جوع وآلام وأحزان ومصائب على شرط ألا يكثر من ذلك، لأن كثرة مثل هذه الزيارات تورثه جموداً وقسوة ويضعف وجدانه .

أما التربية الدينية فقد قال فيها : «يجب الا يبتدئ «أميل» تربيته الدينية قبل الخامسة عشرة من عمره أما اذا تعجل المربى وأخذ يعلمة صلته بربه ويلقنه مسائل الدين قبل أن يبلغ هذه السن فإنه يبقى حياته جاهلاً ربة ولاتكون معرفته بالعقائد الدينية الا معرفة تقليدية قاصرة لاتتعدى الفاظا يرددها ولا يفهم لها معنى ، وأن الطفل قبل سن الخامسة عشر لا تقوى مداركة

على فهم الاسرار الالهية فاذا علم شيئاً من ذلك كان علمة به ناقصاً[١٠٢] .

الا أن حبة للطبيعه بجماله فى النهاية مستعداً للبحث عن خالق هذه الطبيعه بطريقة تحفظ للخالق جلالة وسموه فيرى فى كل شئ خلقة[١٠٣] .

الجزء الخامس من كتاب « أميل »

The Education Of Woman

« خاص بتربية المرأة »

وصف فتاة اسماها «صوفى» Sophie وهى الزوجة التى تناسب «أميل»، فيضع «روسو» فى هذا الباب ما يعتبر أنه رآة فى تربية المرأة عموماً ، فتربية البنت عنده مقصورة على تخريجها فى تدبير منزلها ، وتربية أولادها واسعاد زوجها ، ورأى أنه يجب العناية بتربيتها الجسمية ومن مبادئة أيضاً أن تتعود البنت الطاعه رحب العمل ، وأن تتعلم الحياة ، والتطريز واشغال الابرة ، وكذلك الغناء والموسيقى والرقص وغيرها ، مما يزيد جمالها ، أما الفلسفة فليس لها أن تشتغل بشئ منها لأنه يرى أنه ليس عندها القدرة لمزاولة الاعمال العقلية التى يزاولها الرجال ، وبذلك نراه قد حال بين المرأة والارتقاء الفكرى الذى جعلة الله شائعاً بين الرجال والنساء (١٠٤).

هوامش الفصل

(١) كان رابع جد لروسو لأبية من باعه الكتب في باريس وهاجر من فرنسا في القرن السادس عشر تحت ضغط الاضطهادات الدينية (عن

. Eby, Frederick, *Op. Cit* , P. 319)

(٢) جان جاك روسو · اعترافات جان جاك روسو ، ترجمة محمد بدر الدين خليل ، الشركة العربية للطباعه والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٧.

(3) Rousseau, J T *Confessions*, Introdction By B.A . Niklaus R., Vol. I. Everyman's Library, London, 1964, P 5

(٤) يقال أنه ذهب الى ألمانيا ولم يكتب الى أهلة وبهذا اصبح «روسو» ابنا وحيداً وهذا يظهر جهل الأب بمهمه التربية وكيف أن هذا الجهل دفع الابن الى الانحراف.

(5) Rousseau, J.J *Emile*, Trans, By Barbara Foxley, Everyman's Library, London, 1974, P. V.

(٦) قد يظن الآباء أن التدليل والاعزاز من دلائل الحب فلا يتيحون للأبناء التهيؤ لمواجهه صدمات الحياه العملية.

(٧) لقد تنازع والده مع كابتن في الجيش الفرنسي وكان على صلة ببعض أعضاء المجلس العام وحكم علية بالسجن فاضطر الى مغادرة جنيف والالتجاء الى نيون Newoun هرباً من العقوبة (عن

Rouseau, J J , *Confessions*, Vol. I, *Op. Cit.*, P P 7, 8)

(8) Rousseau, J J *Confessions*, Vol I, *Op. Cit.*, P 19.

(9) *Ibid*, P.P. 19-30

(10) *Ibid*, P P 33 36

(11) *Ibid*, P. 38.

(12) Rousseau, J.J. Confessions, Vol. I, *Op. Cit.*, P.P. 80, 81.

(13) *Ibid*, P.P. 86-88.

(١٤) محمد حسين هيكل : جان جاك روسو ، حياته وكتبة ، الطبعه الثانية ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥، ص ٤٥ ، ٤٦.

(١٥) لقد أنتقل من بلد الى آخر ثم وصل باريس وراء الشهر لكى يكون موسيقيا وفتح فى لوزان مدرسة لتعليم الموسيقى وكان تلاميذه ثلاثة وكانوا من الغباء بقدر ما كان يجهل الموسيقى.

(16) Rousseau, J.J. Confessions, Vol. I, *Op. Cit.*, P.P. 245, 246.

(١٧) تعزى الدراسة طول الجزء السابق من حياه «روسو» لما فيها من مواقف تربوية واخطاء يقع فيها بعض المربين والاباء ولهذا رأت الدراسة ذكر هذه الاخطاء فى تربية «روسو» من أهلة والذين قاموا بتعليمة لما أدى الى حياته غير المستقرة وساوكة الغير لائق وكذلك عدم تعلمة أى مهنه يتقنها.

(18) Rousseau, J.J. Confessions, Vol. I, *Op. Cit.*, P. 318.

(19) *Ibid*, Vol. II, P.P. 3 - 4.

(20) Lucas, J.J. Christopher, *Op. Cit.*, P. 344.

(21) Rousseau, J.J. Confessions, Vol. II, *Op. Cit.*, P. 7.

(٢٢) جان جاك روسو : اعترافات ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٢٣) المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(24) Rousseau, J.J. Confessions, Vol. II, *Op. Cit.*, P.P. 26, 27.

(25) *Ibid*, P.P. 28, 32, 33

(26) *Ibid*, P.P. 39, 40

(27) ***Ibid***, P.P. 45, 46.

(٢٨) قصر مدام «ديناى» يسمى قصر لاشيفريت La Chevrette ويوجد بجوار هذا القصر غابة «مونمورنس» ويحاط بالقصر حديقة انيقة ويتصل بها كوخ ليرميتاج Hermitage كانت تلك البقعة منعزلة وتمنى روسو أن يعيش فى هذا الكوخ فحققت له ذلك. (عن

Rousseau, J.J. Confessions, Vol I, *Op. Cit.*, P 55)

Ibid, P. 54.

(٢٩) اصدر البرلمان قرار باعتقالة فى يوم التاسع من يونيو ١٧٦٢ على أن ينفذ هذا القرار فورا ، وصدر قرار آخر فى جنيف فى ١٨ يونية عام ١٧٦٢ باحراق كتبة والقبض علية واخذت الصحف والنشرات والكتيبات يصوبون اليه الاهانات (عن

Rousseau, J J Confessions, Vol. II, *Op. Cit.*, P P. 211-227)

(٣٠) انظر جان جاك روسو : **العقد الاجتماعى** ، ترجمة دوقان قرقوط ، دار العلم ، بيروت ، لبنان، بدون تاريخ ، ص ١٠ .

(31) Rousseau, J.J., *Op, Cit.*, P.P. 269, 270.

(٣٢) جان جاك روسو . العقد الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص ١١ .

(٣٣) ساطع الحصرى مرجع سابق ، ص٢٣٧ .

(٣٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(35) Good, H G ***A History of Western Education***, The Macmilan Comp , New Yotk, 1948 P P 209, 210

(٣٦) جان جاك روسو أميل ، ترجمة نظمى لوقا ، الطبعه الاولى ، الشركة العربية للطباعه

(37) Good. H G *Op. Cit*. P 210

(38) Ulich, Robert *Three Thousand Years of Education Wisdom*, University Press, Combridge, Massachusetts, 1979, P 385.

(39) Rousseau, J J. Emile, ***Trans. by Barbara Foxley, Everyman's*** London, 1974, P. 10.

(٤٠) انظر جان جاك روسو: اميل، ترجمة نظمي لوقا، مرجع سابق، ص ٣٥.

(41) Rousseau, J. J., Emile, *Op. Cit*., P. 13.

(42) Rousseau, J.J. ***Rousseau's Emile***, Translated By William Payne, Appleton and Comp . London, 1926, P. 13.

(43) Rousseau, J.J. Emile, *Op. Cit*., P.P. 15, 16.

(44) *Ibid*, P 17.

(٤٥) أن الاجواء المعتدلة لها أحسن الاثر على التعليم ، أما المناخ المتطرف فله أثر سيئ على هذه النتيجة . فالمخ في المناطق المتطرفة أقل كمالا منه في المناطق المعتدلة ، فالزنوج والاسكيمو ليسوا في توقد الاوربيين ويعلل «روسو» هذا بقوله أنه يغلب على أهل الجنوب الخمول والاسترخاء وذلك لأنهم ضعيفوا الاستهلاك مع أن مواردهم كثيرة وتربتهم غنية وسخية ، أما الاسكيمو فهم يستهلكون الكثير بينما مواردهم ضئيلة وأرضهم جدباء ، فنجد في كل مجتمع فروقاً كالتي بين الفقراء والاغنياء ، فالفقراء يلوذون بالارض الجدباء الشحيحة والاغنياء يحرصون في الارض الخصبة السخية ، أن ظروف البيئة تفرض ثروتها على الفقير ، بينما يفرض المركز الاجتماعي على الثرى ثروة لا تلائمه من ناحية [illegible] ولا من

(46) Rousseau, J.J. Emile, *Op. Cit.*, P. [illegible]

(47) ***Ibid***, P.P. 21, 22

(48) ***Ibid***, P.P. 24, 25.

(49) Rousseau, J.J. Rousseau's Emile, *Op. Cit.*, P.P. 26, 27

(50) ***Ibid***, P. 27.

(٥١) أنظر جان جاك روسو : أميل ، مرجع سابق ، ص ٦٥ ، ٦٦.

(52) Rousseau, J.J. Rousseau's Emile, *Op. Cit.*, P.P. 30.

(53) ***Ibid***, P.P. 32, 33.

(54) ***Ibid***, P. 35.

(55) ***Ibid***, P. 36.

(٥٦) أنظر جان جاك روسو : أميل ، مرجع سابق ، ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤.

(٥٧) المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(58) Rousseau, J.J Emile, *Op. Cit.*, P. 40.

(٥٩) أنظر محمد حسين هيكل : مرجع سابق ، ص ٢٤٠.

(٦٠) مصطفى أمين : تاريخ التربية، ط٢ ، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٢٦، ص ٢٨٣.

(٦١) هذا ما عنى به روسو ولم يهمله لحظة خلال كتابة فهو فى كل وقت يسير الطفل فى الاحراش والثلوج والحدائق ويصعد الجبال ويهبط به بطون الوديان ويعودة المشقات ، ويقدم للمهلة ، بدائع مناظر الطبيعه حتى يعشقها الطفل ويولع بها.

(٦٢) أنظر محمد حسين هيكل : مرجع سابق ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢.

(٦٣) فاخر عاقل : التربية قديمها وحديثها، ط١ ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤ ، ص ١٥٤.

(٦٤) ويقول «روسو» وندع خادما يذهب اليه فينتهز الطفل الفرصة ويتوسل اليه لينال حريته ، ولكن يتعلل الخادم بقدر ما يقول فى صراحة – لا افتنى زجاج أخاف أن ينكسر – وينصرف وبعد ذلك يقبل اعتذارة ، (هذا مثال ذكرة روسو فى كتاب أميل لمعالجة مثل هذه المشكلة).

(65) Rousseau, J.J. Emile, *Op. Cit.*, P. 64.

(66) ***Ibid***, P.P. 65, 66.

(٦٧) أنظر جان جاك روسو : أميل ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(68) Rousseau, J.J. Emile, *Op. Cit.*, P. 67, 68.

(69) ***Ibid***, P. 68.

(70) ***Ibid***, P. 71.

(71) ***Ibid***, P.P. 72, 74.

(٧٢) أنظر جان جاك روسو : أميل ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .

(73) Rousseanu, J.J. Emile, *Op. Cit.*, P. 75, 76.

(٧٤) يبرر «روسو» رأية هذا بقولة أن هذة الطريقة لا تنشئ عباقرة ولكنها تكون رجالا أصحاء العقول والا بدان ، وإن فاتهم الاعجاب فى صغرهم نعموا بالتوقير والتبجيل فى كبرهم.

(75) Rousseau, J.J. Emile, *Op. Cit.*, P.P. 75, 76.

(76) ***Ibid***, P.P. 77 - 80.

(٧٧) أنظر جان جاك روسو : أميل ، مرجع سابق ، ص ١٠١ ، ١٠٣ .

(78) Rousseau, J.J. Emile, *Op. Cit.*, P. 122

(79) ***Ibid***, P. 99

(٨٠) أنظر جان جاك روسو : أميل ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ ، ١٤١ .

(٨١) أنظر المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(82) Rousseau, J.J. Emile, *Op. Cit.*, P.P. 126, 127.

(83) *Ibid*, P.P. 130, 131

(84) *Ibid*, P. 131.

(٨٥) جان جاك روسو : أميل ، المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

(٨٦) المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(87) Rousseau, J.J Emile, *Op. Cit.*, P. 132.

(88) *Ibid*, P.P. 132, 133.

(89) *Ibid*, P. 134.

(٩٠) أنظر جان جاك روسو : أميل ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ .

(٩١) روبنسون كروزو Robinson Crusoe تأليف «دانيل ديفو» Daniel Defoe
نشرت في عام ١٧١٩م واعيد نشرها في عام ١٩٦٥م ثم نشرت
بعد ذلك على التوالي كل عام منذ ١٩٧٠ الى عام ١٩٨١م.

دانيل ديفو : أستاذ الرواية الواقعيه وكان في الستين من عمرة عندما كتبها وكان غالبية
قرائها من الكبار ، وهي قصة بسيطة ومشهورة، عاش شخص في
جزيرة استوائية منعزلة بعد أن تحطمت سفينته ، لقد قدمت
روبنسون كروزو المادة العلمية الخام للعقل من خلال الاماكن
الطبيعيه ، وتعتبر هذه الاسطورة صورة للأدب من الحضارة الغربية
في القرن الثامن عشر

(92) Defoe, Daniel *Robinson Grusoe*, Edited With Introduction
By Angus Ross, Penguin Books, London, 1981

(٩٣) يقصد روسو بكلمة الصناعه اعمال الزراعه والحداده والنجارة.

(94) Rousseau, J.J. Emile, *Op. Cit.*, P.P. 150, 151.

(٩٥) جان جاك روسو : أميل ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

(٩٦) أنظر المرجع السابق ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(97) Rousseau, J.J. Emile, *Op. Cit.*, P.P. 165, 166.

(٩٨) مثال ذلك أن راكب القطار المسرع يخيل اليه أن الارض هي التي تجرى ، وراكب السفينه المتحركة تبدو أن الارض هي التي تتحرك وهو ثابت ، ويبدو للشخص الذى يسير في ضوء القمر أنه يجرى بسرعه حين يمر بين السحاب وعلى هذا النمط يتعلم التفكير العلمى.

(99) Rousseau, J.J. Emile, *Op. Cit.*, P. 170.

(١٠٠) محمد سيف الدين فهمى : متطلبات تطبيق التعليم الاساسى فى مصر ، مؤتمر التعليم الاساسى بين النظرية والتطبيق ، ١٩٨١ ، ص٢.

(١٠١) حامد عبد السلام زهران : الارشاد النفسى فى مرحلة التعليم الاساسى ، مؤتمر التعليم الاساسى بين النظرية والتطبيق ، ابريل ٢١ - ٢٥ ، ١٩٨١ ، القاهرة ، ص ١.

(١٠٢) أنظر مصطفى أمين : مرجع سابق ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧.

(١٠٣) فتحية سليمان : تربية الطفل بين الماضى والحاضر ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

(104) Rousseau, J.J. Russeau's Emile, *Op. Cit.*, P.P. 260, 300.

الفصل الرابع
آراء وتجارب بستالوتزى
فى تربية الأطفال

- حياته
- تجاربه
- تجربة نيوهوف
- تجربة ستانز
- تجربة برجدورف
- تجربة ايفردون
- مؤلفاته وآرائه



JOHANN HEINRICH PESTALOZZI [illegible]

إن دراسة المذهب التربوى «لبستالوتزى» تتطلب: دراسة حياته والمراحل التى مر بها خلال تلك الحياة الطويلة من حيث تأثره بالبيئة التى عاش فيها وتتابع الأحداث التى تعرض لها وأثرها على تفكيره عموما. ومبادئه الخاصة بتربية الصغار خصوصا، كما توجب أيضا دراسة تجاربه التربوية المتعددة التى استخلص منها معظم مبادئه التربوية تلك التى عبر عنها فى عدد من المؤلفات من كتب ومقالات ورسائل كان يبعث بها إلى أصدقائه المهتمين باهتماماته.

ودراسة حياة «بستالوتزى» بما فيها من أحداث ومثيرات وتجارب ودراسة مؤلفاته وماحوته من فكر تربوى ليست بالأمر السهل، ولايمكن دراسة أحد جوانبها بمعزل عن الجوانب الأخرى، إذ أن حياته كانت سلسلة تتبادل حلقاتها بين الكتابة والتجريب فى التعليم وممارسة النشاط السياسى، كما تتبادل بين الفشل والنجاح ولكنها سلسلة واحدة متكاملة يصعب فصل حلقاتها بعضها عن البعض الآخر.

فلما كان «بستالوتزى» رجلا متدينا متعاطفا مع الفقراء مؤمنا بالطبيعة الخيرة السمحة لبنى البشر، فقد كرس حياته وماله لإيجاد أسلوب جديد لتعليم الصغار، وبخاصة الصغار الفقراء فى الريف وذلك بغرض خلق مجتمع أفضل لهم يعيشون فيه، حياة كريمة، معتمدين على العمل ومكملين بالفضائل الخلقية ومؤمنين بخالقهم.

لقد كان «بستالوتزى» المربى والمعلم من الثائرين على بعض الأوضاع الاجتماعية السائدة فى عصره، فانغمس فى السياسة إلى مدى بعيد، ولقد أراد اصلاح المجتمع الريفى الفقير عن طريق التربية المناسبة للأطفال فيه، كما أراد اصلاح أحوال التعليم فى وطنه سويسرا فقدم اقتراحاته للمسئولين فى هذا الشأن، واعتبر من قبل بعضهم شخصية تربوية جديرة بالاهتمام، فقدموا له المساعدة فى بعض مشروعاته التربوية مما أعانه على الخروج منها بنتائج هامة

صاغها فى نظريات تربوية ، نفذها فى تطبيقات علمية فى تجاربه التربوية. وتعتبر نظرياته عموما أساسا من أسس التربية الحديثة وبخاصة مايتصل منها باستخدام الانطباعات الحسية فى تعليم الصغار.

وسنتعرض لدراسة حياة «جون هنرى بستالوتزى» بأهم مافيها من أحداث وتجارب، ولما ألفه ونشره عن التربية من الكتب والمقالات، مستخلصة فكره التربوى عموما مع التعمق فى دراسة مبادئه النظرية فى استخدام حواس الطفل فى تعليمه، وفى طرقه فى التعليم التى استحدثها لوضع نظرياته التربوية موضع التجريب والتنفيذ.

حياته ١٧٤٦ - ١٨٢٧:

ولد «بستالوتزى» Pestalozzi فى يناير عام ١٧٤٦ فى مدينة زيورخ Zurich بسويسرا Switzerland، وكان والده طبيبا ماهرا يثق الناس بطبه وعلمه[1]. وكانت أسرته من الأسر القليلة التى كان لها حق التصويت فى انتخابات مجلس المدينة[2] وفقد والده وهو فى الخامسة من عمره، وظل تحت رعاية أمه مع أخيه وأخته الصغيرة[3]. وكانت سيدة طيبة كرست كل وقتها واهتمامها فى تربية أطفالها، وقد عاونتها فى تربيتهم خادمة مخلصة بقيت فى خدمة الأسرة بكل اخلاص وأمانة قرابة الأربعين عاما، وكان هذا يرجع إلى كرم أخلاقهم، فقد وعدت سيدها وهو يحتضر بأنها لن تترك الأسرة مهما كان الأمر ووفت بوعدها. ويعتبر ولاء الخادمة «بابلى» Babeli من أهم العوامل التى حركت مشاعر «بستالوتزى» وجعلته يؤمن بأن الإنسان خير وقادر على المحبة والبذل والوفاء كما جعله هذا الإيمان يكرس حياته وماله لخدمة الفقراء.

لقد كانت الحياة فى أسرة «بستالوتزى» الصغير حياة هادئة بعيدة عن البذخ بفضل تدبير الخادمة «بابلى»، وكان طفلا ضعيف البنية لأنه امضى

جل وقته داخل المنزل، لذلك لم تكن لديه فرص لكى يتقن أى مهارة عملية. ولكن نشأته فى هذه البيئة النسائية اكسبته رقة وحساسية شديدة، وقلبا مملوءاً بحب الغير، هذه الخصال عرف بها «بستالوتزى» منذ بدء حياته الدراسية، وبقيت من أبرز سجاياه حتى نهاية حياته. ولكنه ظل محروما فى تربيته كصبى من تأثير الرجال ومن مخالطة الناس والأطفال، فأصبح ساذج القلب، سهل الانخداع، ضعيف الارادة، وقد ظهرت عليه هذه الصفات منذ صغره ولم تفارقه حتى شيخوخته[٤]، ولو أن «بستالوتزى» قال فى أحد مؤلفاته التربوية: «إن المحبة والعمل والتعامل مع الناس هى الوسائط الطبيعية التى تنمى قدراتنا»[٥]. لكن حياته لم تتوازن فيها هذه العناصر، فقد نال الكثير من المحبة فى منزله ولكن لم تكن لديه الفرصة لأن يمارس عملا فعليا أو يتعامل مع الناس خارج منزله.

ولقد كانت النافذة التى أطل منها على العالم الخارجى هى قرية تسمى «هونغ» Hongg، والتى يمكن اعتبارها المكان الأول الذى تعلم فيه «بستالوتزى» شيئا عن حقائق الحياة، فقد كان جده قسيسا للابراشية فى تلك القرية، وعمه طبيبا، وكان «بستالوتزى» يذهب لزيارتهما مرة فى السنة ولمدة بضعة أسابيع، وكان يرافقهما فى الزيارات التى كانا يقومان بها بمقتضى وظائفهما. فكان تارة بمرافقة عمه يتقل من دار إلى دار لعيادة المرضى ومداواتهم، وتارة بمرافقة جده يتنقل من عائلة إلى عائلة لأداء واجباته الروحانية على اختلاف أنواعها من تعميد وتكليل، ومواساة، وتكفين، يسدى إليهم النصح ويقدم لهم المعونة فى وقت الشدة، هذه الزيارات تركت فى نفسه آثار عميقة، لأنها كانت تدخله فى صميم حياة القرويين، وتطلعه على بؤسهم وشقائهم، وتثير فى نفسه الخير والعطف عليهم – إن آثار هذه الانفعالات رافقت جميع أعمال «بستالوتزى» فى جميع مراحل حياته»[٦].

وفى أثناء هذه الزيارات لاحظ «بستالوتزى» الفرق بين الريفيين الفقراء وبين

سكان المدن الأثرياء، إذ كان بين الأطفال الفقراء فى الريف وبين زملائه من تلاميذ مدرسته، فقد لاحظ أن الصغار فى الريف كانوا يتمتعون بصحة جيدة حتى الخامسة أو السادسة من أعمارهم، وبعد ذلك يقعون فريسة للتعليم الشكلى فى المدارس الريفية وأنوال النسيج فيما بعد، إذ كان الغزل والنسيج من أهم الصناعات فى الريف السويسرى، وهكذا يفقدون الحيوية والنشاط وينحدرون صحيا وخلقيا ويعانون من قسوة الفقر والحرمان(٧).

«فالمدارس كانت فى حالة بدائية ينحصر فيها التعليم فى قراءة الكتاب المقدس وحفظ التعاليم الدينية وترتيل الأدعية والصلوات. أما المعلمون فكانوا مزيجا من مهن مختلفة ... لقد درس «بستالوتزى» فى بادئ الأمر على يد مثل هؤلاء المعلمين ولم يكن من التلاميذ الأذكياء فى مدرسته ولكنه مع ذلك لم يكن غبيا، كان إذا ألقى عليه الدرس فهم مادته فهما إجماليا وخفيت عليه دقائقه. وكان «بستالوتزى» اضحوكة زملائه لسلامة نيته، وعدم لباقته، وسرعة انخداعه، وكان سهل الانقياد، إلا أنه كان مولعا بخدمة أصدقائه ولذلك كثر رفاقه»(٨).

ولما أتم دراسته الابتدائية وأكمل تعليمه الثانوى التحق بجامعة «زيورخ» حيث استقل بشئون نفسه، وتتلمذ على بعض الأساتذة الذين كانوا يسعون إلى إثارة عواطف الطلاب ويغرسون فى نفوسهم حب الحرية والخير، ويولدون فيهم ميلا قويا إلى خدمة الشعب، هذه النصائح لاقت هوى ملائما فى نفس «بستالوتزى»(٩). كما أنه درس فى الجامعة الفلسفة اليونانية واللغة العبرية، والتاريخ، ودرس اللاهوت بقصد إيقاظ الناس بالمواعظ الدينية وتحول عنها إلى دراسة الحقوق بقصد الدفاع عن حقوق المظلومين، إلا أنه عدل عن هذه الدراسة أيضا، وعزم على الاشتغال بالزراعة لأجل أن يعيش عيشة حرة. فقد رأى الفلاحين وفقراء القرى حوله فى تعاسة وذل يخدعون ويظلمون، وليس

لهم من ولى للأنصير، فأراد أن يكون نصيرهم. وهكذا لم يتم «بستالوتزى» تعليمه لا فى الدين ولا فى القانون بل ترك الدراسة وهو فى التاسعة عشر من عمره، وفى أثناء دراسته بالجامعة انضم إلى جماعة سياسية هى «الجمعية السويسرية» Helvic Society، التى أخذ أعضاؤها على أنفسهم مقاومة الظلم ومحاربة العسف ومما قاله «بستالوتزى» عن نفسه وأصدقائه: لقد عاهدنا أنفسنا ألا نعيش إلا للحرية وانصاف العدالة وبذل الذات فى حب الوطن وخدمته»[١٠] وكان هدف هذه الجمعية هو الاصلاح الاجتماعى وذلك لتأثرهم بكتابات «جان جاك روسو» و «مونتسكيو». وأصدرت الجماعة مجلة «المونتور» Monitor التى نشر فيها «بستالوتزى» بعض المقالات الخاصة بالاصلاح الاجتماعى[١١]، إلا أنه هو ورفاقه فى الجامعة المذكورة وقعوا تحت طائلة القانون وقبض عليهم لاستجوابهم فى موضوع يخص بعض المخالفات المالية والقانونية التى قام بها بعض المسئولين فى المدينة.

وانتهى الأمر بأن أوقف «بستالوتزى» نشاطه السياسى واتجه إلى الاصلاح الاجتماعى وذلك عن طريق الاهتمام بالزراعة والعمل فى مجالها. فى تلك الفترة قابل «انا شولتس» Anna Schulthess الفتاة الهادئة الجميلة ذات المال والجاه فأعجبت به كإنسان مثقف ذى قلب طيب وعلى قدر كبير من التفانى فى سبيل مبادئه، وقررت الزواج منه، رغم معارضة عائلتها.

وبعد دراسة عملية فى مزرعة تجريبية تهدف إلى زيادة إنتاج المحاصيل سعى «بستالوتزى» للحصول على مزرعة خاصة به ليقوم فيها بالتجريب فى الزراعة وحصل على قطعة أرض مهملة بغرض استصلاحها وزراعتها[١٢]. وتم زواجه فى عام ١٧٦٩م وهو فى الثالثة والعشرين من عمره فى بيت قديم وأنجب ابنه الوحيد «جاك» Jaques عام ١٧٧٠م وصار يناديه «جاكى» وحاول تطبيق مبادئ «روسو» فى كتاب «اميل» فى تربية طفلة، إلا أنه خرج

من هذه المحاولة باستنتاجات جديدة رأى فيها أنه يمكن تطبيقها فى تعليم أبناء الجماهير، ومن أهم ما وصل إليه من استنتاجات فى هذه الناحية هو أن التعليم لايحصل عليه المرء من الكتب فقط، وأن أبناء طبقات الشعب الفقيرة يمكن أن يدربوا على مهن وأعمال أخرى تمكنهم من كسب العيش أثناء تعلمهم التعليم التقليدى - وجدير بالذكر أن ابنه عاش حتى الثلاثين من عمره ثم مات تاركا له حفيداً صغيراً.

إن «بستالوتزى» كان يشعر بعظم تأثير العائلة فى التربية شعوراً واضحا حتى قبل زواجه، فقد قال فى إحدى الرسائل التى أرسلها إلى خطيبته - «انا شولتس» قبل الاقتران بها - «يجب أن تسيطر السذاجة فى بيتنا حسبما تتطلبه تربية أولادنا» وقال فى رسالة أخرى: «إن أبنائى يجب أن يتمرنوا على فلاحة الأرض، ولو تلقوا أدق وأرقى مايمكن من التهذيب العقلى، لإننى لا أود أن أكون أبا لحضريين عاطلين». وعندما صار أبا أخذ يدون مشاهداته وملاحظاته عن ابنه فى مذكرة خاصة كتب فى مقدمتها: «إن ابنى سيكون يوما ما حاكما لى أو على فيا ربى احفظنى من ذلة القاء الشر فى القلب الصافى»(١٣).

يتضح من هذه المذكرات أن «بستالوتزى» كان يرمى فى بادئ الأمر إلى تربية ابنه تربية تشبه التربية التى أوصى بها «روسو» فى كتابه «اميل» ولكن «جاكى» لم يكن طفلا موهوبا مثل «اميل». وقد كان على «بستالوتزى» أن يقوم بتربيته تربية عادية واقعية فالاتصال بالواقع ظاهرة فعلت فعلها فى آراء «بستالوتزى» وميزتها عن آراء «روسو» وجعلته مربيا فعليا لا مفكراً خيالياً.

أما فكرة تربية وتعليم العامة من الشعب فقد تبلورت فى ذهن «بستالوتزى» خلال اشتغاله بالزراعة. فقد نشأ على حب الشعب منذ صغره، كما اطلع على . اغ بؤس الفلاحين وشعر بشقائهم وفكر فى أمرهم جد

التفكير. تساءل ما السبيل إلى تخليص الفلاحين والفقراء من هذا البؤس والشقاء؟ هل هو الاسعاف والمساعدة؟ ولكن الشقاء عظيم وعام ولا يمكن تخفيفه بالاسعاف ... وأوضح القوانين وتغيير الأنظمة ...؟ لكن القوانين الموجودة موضوعة من قبل الأغنياء ومطابقة لمنافعهم. فهل من الممكن أن يتنازلوا عن حقوقهم بدون ضغط ... فما من دواء لتخليص التلاميذ من الـ [...]اد غير التربية والتعليم. وقد زاد اعتقاد «بستالوتزى» بذلك كلما زاد اختلاطه بالفلاحين وأطلع على أحوالهم، ورأى أنه يجب تعليم أولاد الفلاحين تعليما سليما. كما فكر «بستالوتزى» فى أنه من الممكن الجمع بين العمل والتعليم، وقرر أن يقوم هو بنفسه بتجربيه فى هذا المجال، إن فى حياة المزرعة كثيراً من الأعمال الخفيفة التى لا يصعب على الأطفال القيام بها لاسيما فى صناعة الغزل والنسيج بدون تعب كبير فلماذا لا يجمع الأطفال المشردين والفقراء ليشغلهم بهذه الأعمال الخفيفة من جهة ويعلمهم مايحتاجون إليه من جهة أخرى[١٤].

تجاربــه:

بدأ «بستالوتزى» تجاربه الزراعية على نطاق واسع أثقل كاهله جسميا، وماديا وأفقده صداقة فلاحى المنطقة الفقراء، وسرعان مافشل مشروعه الزراعى وذلك لعدم أمانة معاونيه من الفلاحين، إلا أن أحد أصدقائه قال عنه: «إن بستالوتزى لم يكن دقيقا فى عمله فلقد كان حالما يأتمن كل الناس حتى الأوغاد منهم».

كذلك فلم يكن «بستالوتزى» ممن يمكنهم ضبط شئونهم المالية أو مراجعة حساباتهم فقد كان مهملا فى هذه الناحية، الأمر الذى أدى إلى فشل مشروعه الزراعى، هذا وانسحبت الشركة التى كانت تعاونه بالمال وقطعت عنه تمويلها[١٥]، ولكن ايمانه القوى والراسخ لم يسمح له بالتخلى

عن العمل مهما زادت المصاعب أمامه، ووجد طريقا للخروج من هذا المأزق الحرج، فعاد إلى العمل مستعينا بأموال زوجته[١٦].

ولما كان بيته الجديد قد تم بناؤه وكان لايزال يفكر فى مساعدة أطفال الفقراء فى القرى حوله، وذلك بأن يعلمهم بعض الصناعات الشائعة فى بيئتهم بالإضافة إلى تعليمهم أساليب جديدة أفضل من الأساليب التقليدية المبنية على الحفظ والتسميع لذلك نجده فى حوالى عام ١٧٧٥م يبدأ أول تجربة تربوية فى منزله الجديد الذى أسماه «نيوهوف» Newhof.

١ - تجربة نيوهوف Newhof

لقد كان الغرض من هذه التجربة هو إنشاء مدرسة صناعية Industrial School يكون الإنتاج فيها كافيا بحيث يغطى نفقاتها، فلقد شغلت ذهن «بستالوتزى» فكرتان تخصان التربية منذ بداية اهتمامه بها وعلى مدى حياته كلها. الأولى: هى علاقة العمل بالتربية. والثانية: هى التعرف على أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين تربية الطفل الفقير وإعداده ليتقن صناعة أو حرفة وتربية الطفل كإنسان[١٧].

لقد كان يرى أن الفقر بمعوقاته من الجهل وسوء المعيشة يقف حائلا دون تعليم الصغار الفقراء تعليما مناسبا لهم، فهم لايتمكنون من اتقان صنعة ولايتعلمون جيدا، لذلك فقد أراد من تجربته فى «نيوهوف» أن يدرب الصغار الفقراء ويعلمهم طريقة تجعلهم أقدر على ملاقاة ماسوف تفرضه عليهم ظروفهم من مصاعب ومعوقات فى بيئتهم الريفية الفقيرة[١٨].

لذلك جمع فى منزله عدداً من الأطفال من بيئات شديدة الفقر وكان عددهم عشرين تلميذا تقريبا وأخذهم لمنزل المزرعة، وأطعمهم وألبسهم ثيابا جديدة كأنهم أبناؤه، وأحسن معاملتهم، وضم إليهم عدداً من المعلمين (الاسطوات) - المتخصصين فى الغزل والنسيج، وعدداً من المسئولين عن إدارة

المدرسة، وعددا آخر من الخدم، وكان الأطفال خليطا من البنين والبنات تتراوح أعمارهم مابين السادسة والثانية عشر يختلفون بالضرورة من حيث قدرتهم على العمل، ورغبتهم فيه، واعتبر نفسه أبا لتلك الأسرة، وقد سعى إلى تربية الصغار تربية تتفق مع كل من حاجات الإنسانية وأوضاع الفقراء. فبدأ يعلم الأطفال الذكور الزراعة ورعاية البساتين فى حقل المزرعة، أما الأطفال الإناث فقد دربهن على واجبات المنزل كالطهى والخياطة واشغال الأبرة، وغيرها، وعندما كان يسؤ الجو كان يعلم البنين والبنات سويا داخل المنزل على أعمال الغزل والنسيج ويحفظهم فقرات من الانجيل قبل البدء فى تعليمهم القراءة والكتابة وبعض المسائل الحسابية. وكان تعليمهم القراءة والكتابة غالبا ما يتم أثناء قيامهم بمزاولة الحرفة أو الصناعة التى يتعلمونها. إذ كان لدى «بستالوتزى» فكرة يحاول تجربتها وهى ربط التعليم بالحرفة أو المهنة وقد نجحت تجربته فى هذه الناحية إلى حد كبير، (فتقدم الصغار صحيا وعقليا) وتعلموا حرفا وصناعات مفيدة، الأمر الذى جعله يفكر فى توسيع تجربته، لذا زاد عدد الصغار بدرجة كانت سببا فى أن أفلس[١٩].

فقد كان أمل «بستالوتزى» أن ينتج من المحاصيل الزراعية ومن المصنوعات والمشغولات مايغطى ثمنها تكاليف الحياة فى «نيوهوف» إلا أن هذا لم يحدث بسبب كسل بعض الصغار وعدم امانتهم وعدم قدرته هو على ضبط سلوكهم[٢٠]، كما أن أولياء أمور الأطفال الفقراء كثيراً ماكانوا يطلبون منه بعض المال أو المآكل ويهددونه باسترداد أولادهم لجمع الصدقات بواسطتهم، وكثيراً ماكانوا ينفذون تهديدهم، ويخطفون أولادهم. وقد استمر «بستالوتزى» فى هذا النضال حتى عام ١٧٨٠م، فأغلق مدرسته بعد أن عرق فى الديون واستنفذ كل ماكانت تملكه يداه هو وزوجته ولم يبق له سوى حق السكنى فى منزله الذى شيده.

لقد استمرت تجربة «نيوهوف» خمس سنوات من عام ١٧٧٥ - ١٧٨٠م - وقد تكون هذه أول مدرسة خيرية صناعية من نوعها في التاريخ الحديث - وكان فشله في هذه التجربة مجلبة لنقد المجتمع له، إذ اعتبره شخصا غير واقعي، ومثاليا لدرجة الساذجة التي جرته لحافة الافلاس. وقد وقع «بستالوتزى» بعد هذا الفشل في شقاء عميق، فأصبح لاتختلف حالته كثيراً عن حالة الشحاذين الذين كان قد سعى لتخليص أولادهم من الشقاء[٢١].

وقد ذهبت زوجته مع ابنه إلى قصر إحدى صديقاتها، وظل هو شريد يسخر به الأطفال ويهزأ به الناس ويحكمون عليه بالجنون، وقد قال «بستالوتزى» قول مشهور في هذه الفترة «عشت كالشحاذ لأعلم الشحاذين أن يعيشوا مثل الإنسان».

وبعد فشل تجربة «نيوهوف» وعلى مدى مايقرب من ثمانية عشر عاما ١٧٨٠ - ١٧٩٨م، كرس «بستالوتزى» وقته للعمل السياسي والتأليف فقد عمل رئيسا لتحرير مجلة سويسرية كانت تصدر عن حكومة الثورة وتنشر الأفكار المتصلة بالثورة الاجتماعية، وكان هدف «بستالوتزى» من الكتابة في هذه المجلة هو نشر مبادئه التربوية الخاصة بالاصلاح الاجتماعي الريفي[٢٢].

ولقد كتب «بستالوتزى» خلال تلك الفترة بعض مؤلفاته التي ستتناول الباحثة أهمها من وجهة نظر هذه الرسالة بالدراسة والتحليل.

٢ - تجربة ستانز[٢٣] Stanz

قد لاحت «لبستالوتزى» بارقة أمل جديدة في أواخر القرن الثامن عشر فقد تألفت حكومة جديدة في سويسرا عام ١٧٩٨م، قامت مقام الحلف القديم، ودخل في الحكومة الجديدة بعض أصدقائه، واقترحوا عليه أن يتعهد بعض الأعمال السياسية والإدارية، ولكنه رفض وقال «أود أن أكون معلما». وقد حرر مرسوما أرسله إلى الوزارة حث فيه على وجوب الاهتمام بتربية

أطفال الطبقات الدنيا من الشعب وضرورة تغيير طرق التعليم، لقد كان يضع نظريات تخص تربية الأطفال لكنه أراد أن يطبق نظرياته هذه عمليا ليظهر قيمتها(٢٤).

وبعد حادث إغارة الفرنسيين على قرية «ستانز» اضطرت الحكومة إلى الاهتمام بأمر الأيتام فرأت من واجبها أن تسارع إلى نجدتهم وقررت أن تؤسس ملجأ خاصا لأيتام هذه المدينة. وبما أن «بستالوتزى» كان قد عرض نفسه لخدمة التعليم عهدت إليه بتأسيس الملجأ وإدارته. وهكذا استطاع أن يعود إلى العمل بتربية الأطفال مرة أخرى وكان إذ ذاك فى الثالثة والخمسين من العمر.

وهكذا وجد «بستالوتزى» الفرصة فى تجريب نظرياته فى تعليم الصغار تلك النظريات التى بنيت على المبدأ القائل بأن التعليم الصحيح يحدث عندما يرتبط العمل والنشاط بالتعليم النظرى(٢٥). ويقول «بستالونزى» فى وصفه لعمله فى تجربة «ستانز» لقد كان المبدأ الذى عملت وفقه هو أن أحاول فتح قلوب الصغار بسد حاجاتهم اليومية أولا ثم معاملتهم بالشفقة والمحبة خلال تلقيهم للانطباعات الحسية والخبرة ومزوالتهم للنشاط العملى وذلك لتنمية النواحى العاطفية فيهم وبعد ذلك كتب «أبدأ بتدريبهم حتى يمكنهم أن يستفيدوا منها (أى من تنمية عواطفهم) ويمارسوها فى بيئاتهم ومحيطهم الخاص»(٢٦). وخرج «بستالوتزى» بفكرته الشهيرة القائلة بأنه «لايوجد انطباع بدون التعبير عنه» There is no impression without expression.

لقد عانى «بستالوتزى» فى هذه التجربة الكثير من الصعاب فقد كان الأطفال من جراء الحرب ونتائجها غاية فى القذارة، وكانوا يعانون من الأمراض الجلدية وغيرها بسبب الجوع والتشرد، كما كان بعضهم قد تعود الانحراف والتسول(٢٧)، وكانوا بالرغم من خنوعهم يعانون من الخوف الشديد

والشك والريبة، بمن حولهم من الناس، ولم يكن معظمهم يعرف شيئا عن القراءة والكتابة أو حتى الحروف الأبجدية.

لم يستعن «بستالوتزى» بأحد فى عمله الجديد لكيلا يفسد عليه الأمور من جراء اندساس الأفكار البالية فى ذلك العمل، فلم يستخدم أحداً فى معهده غير خادمة بسيطة لتدير الأمور المنزلية، ورضى أن يتحمل كل الأعباء وحده ويدبر كل الأمور بنفسه، فقد كان مدير المدرسة ومعلما وخادما لهؤلاء الأطفال، وكان لايتركهم أبدا لا ليلا ولا نهاراً فيشاركهم فى كل أعمالهم وعواطفهم ويواسيهم فى كل أحوالهم ومشاعرهم فتعلق الأطفال به وأصبح الجو السائد فى المدرسة مليئا بالمحبة والتعاطف ونسى الأطفال مخاوفهم وشكوكهم وأحب بعضهم البعض وتحسنت أحوالهم الصحية والخلقية .. وقد زارت المعهد لجنة علمية فاندهشت من النتائج التى شهدتها ووصفتها بأنها معجزة.

إن «بستالوتزى» لم يعلم هؤلاء الأطفال الفضائل ولكن علمهم العمل والنظام والهدوء. ولو أن التجربة لم تدم أكثر من عام إلا أن «بستالوتزى» اعتبرها أول تجربة حقيقية فى التعليم وفق نظريته التى لاتعترف بالتعليم اللفظى، بل اعتمدت على التعليم عن طريق الملاحظة والعمل وذلك لتدريب القدرات الطبيعية الجسمية والعقلية كالحواس والتفكير والعضلات وتعويد هذه القدرات على العمل وأعتبر «بستالوتزى» هذه التجربة نتيجة لفكرة سيكولوجية بسيطة يؤمن بها تلك الفكرة التى أحدثت انقلابا فى طريقة التعليم. إذ قرر «بستالوتزى» أن الطفل أصبح محور العملية التعليمية بعد أن كان المحور التقليدى هو موضوع الدرس[٢٨]. على أن تجربة «ستانز» لم تدم طويلا فقد كانت هذه المدرسة الصناعية تابعة لأحد مشروعات الحكومة، وكان الانفاق على المدرسة يزيد بكثير على انتاجها من المصنوعات

والمشغولات، هذا بالإضافة إلى عدم قدرة «بستالوتزى» على موازنة الأمور التعليمية المناسبة للصغار، إلا أن ثقة الحكومة فيه كانت قد ضعفت لذلك انتهت التجربة وأصبح «بستالوتزى» بلا عمل ولا مال.

٢- تجربة برجدورف Bergdorf

قررت إدارة المعارف أن تؤسس معهدا ورجعت إلى رجل عاقل عرف أن الإصلاح الحقيقى يتوقف على استخدام معلمين قادرين. واقترح على «بستالوتزى» إدارة هذا المعهد، إلا أنه تردد فى الأمر وطلب أن يفسح له المجال لتجربة الطرق التى كان يتصورها قبل الإقدام على تعميمها، فعهدت إليه إدارة المعارف بالتدريس فى مدرسة صغيرة فى مدينة «برجدورف» وكان ذلك عام ١٧٩٩م، وعين مدرسا معاونا فى المدرسة الأولية - وكانت هذه المدرسة فى حى شعبى، كان عدد الأطفال بها سبعين طفلا. وقد تقاسم «بستالوتزى» التدريس مع المدرس الأصلى الذى كان يعمل اسكافيا فى أوقات فراغه، فصار «بستالوتزى» زميلا لهذا الرجل بعد أن كان قد اكتسب صيتا كبيرا فى عالم الأدب، وبعد أحرز لقب المواطن فى مجلس الثورة الفرنسية مع «واشنطون» و «شيللر» وبعد كل ذلك صار زميلا لاسكافى[٢٩]، إلا أنه منذ تجربته فى «ستانز» كان يردد القول بأنه يريد بناء التربية على أسس نفسية وكثيرا ماكان يقول[٣٠] I want to psychologise Education ولو أن المسئولين عن التعليم فى ذلك الوقت لم يكونوا راضين كل الرضا عن أسلوبه الذى كان يتبعه فى التعليم[٣١]. إلا أنه كان راضيا عن أسلوبه هذا ولأول مرة حاول أن يجرب طريقة جعل «موضوع» الدرس محسوسا The object lesson وذلك بمشاهدة الموضوع مباشرة والتعرف عليه عن طريق الحواس، وقد حاول أن يجعل موضوع الدرس مناسبا لمستوى ادراك الطفل فلا يحمله مالايطيقه ادراكه الحسى وهكذا يكون التعليم كما رأى «بستالوتزى» مبنيا على أسس نفسية.

وأهم من ذلك فقد أكد «بستالوتزى» أن التعليم الصحيح يأتى عن طريق معرفة الطفل للشئ عن طريق الانطباع الحسى Sense Perception ثم تستخدم الكلمات بعد ذلك للتعبير عن المعرفة المكتسبة[٣٢]. وبعد أن جرب «بستالونزى» هذه الطريقة فعلا مع أطفال مدرسة «برجدورف» عقد المسئولون عن التعليم الأولى امتحانا للأطفال اتضح أن أطفال «مدرسة بستالوتزى» احرزوا تقدما كبيرا أعجب المسئولين لذلك اعترفوا بأن طريقة «بستالوتزى» هذه طريقة جيدة وتتفق مع المبادئ الديمقراطية الجديدة التى سارت وفقها حكومة الثورة فى سويسرا فى ذلك الوقت. لذلك قرر مجلس التعليم فى «برجدورف» أن يرقى «بستالوتزى» ليصبح المعلم الأول فى مدرسة أولية أخرى فى نفس المدينة عدد أطفالها ستون طفلا تتراوح أعمارهم بين الثامنة والثانية عشرة وكان «بستالوتزى» فى أول الأمر هو المعلم الوحيد فى تلك المدرسة إلا أن عدداً من المعلمين الشبان الذين كانوا يتعاطفون معه حول فكرة الاصلاح الاجتماعى رغبوا فى مشاركته فى تنفيذ طريقته الحديثة فى تعليم الأطفال فانضموا إليه.

وكانت المدرسة عبارة عن جزء من قلعة قديمة فى «برجدورف» سمح «فيشر» Fischer مستشار التعليم فى المقاطعة باستخدامها كمدرسة وسرعان ما اشتهرت تلك المدرسة وانضم إلى التلاميذ الفقراء فيها عدد من أبناء أثرياء المنطقة[٣٣]. ومدت الحكومة السويسرية المدرسة بكل مايلزم من وسائل التدفئة ورعاية الحدائق والمزارع كما منحت «بستالوتزى» ومساعديه أجوراً سخية، وطبعت الكتب المدرسية التى ألفها «بستالوتزى» لاستخدامها فى تعليم الأطفال بالمرحلة الأولى وفق طريقته. وتكونت جمعية أسمت نفسها جمعية «أصدقاء التربية Society of the Friends of Education أخذت فى جمع التبرعات لمساعدة «بستالوتزى» على إجراء تجاربه التربوية ولكى يعرف أعضاؤها مبادئه التربوية، كتب «بستالوتزى» مقالا اسماه الطريقة The Method وكان ذلك

عام ١٨٠٠م وقد بدأ المقال بعبارة «انى أسعى لبناء تربية الإنسان على أسس نفسية» I seek to psychologise human education.

وفى خريف عام ١٨٠٠م افتتح «بستالوتزى» معهدا للتربية فى قلعة «برجدورف» وكان الافتتاح رسميا وكان الغرض من افتتاحه فى أول الأمر إعداد معلمين يسيرون وفق طريقته فى التعليم عند التخرج وكانت المدة التى اقترحها «بستالوتزى» لتدريبهم ثلاثة أشهر على أن يشمل المعهد مدرسة لأبناء الأسر المتوسطة المستوى التى يمكنها دفع مصروفات لتعليم أطفالها وتكون هناك فصولا للأطفال مستقلة عن المعهد[٣٤].

وقد جمعت «جمعية أصدقاء التربية» سابقة الذكر التبرعات لتمويل المشروع إلا أن ماجمعوه لم يكن كافيا لتنفيذه، لكن هذا لم يمنع «بستالوتزى» من قبول الأطفال الفقراء دون تكليف آبائهم أية مصروفات لكن الأطفال الذين التحقوا بالمعهد من أبناء المنطقة كان آباؤهم يدفعون تكاليف تعليمهم التى لم تكن باهظة.

ولم يتمكن «بستالوتزى» من ايجاد معاونين له فى مشروعه هذا إلا بعد سنة تقريبا، ففى يناير عام ١٨٠١م انضم للعمل معه فى قلعة «برجدورف» عدد من المدرسين الشبان المؤمنين بالفكر التقدمى فى التربية الذى اشتهر به «بستالوتزى» وكان أهم هؤلاء «كروزى» Krusi و «توبلر» Tobler و «بوس» Buss و «نيدرر» Neiderer وكان الأخير قسيسا شابا تخلى عن عمله الدينى فى سبيل العمل مع «بستالوتزى»[٣٥].

ويمكن القول أن الفضل يرجع لهؤلاء فيما أحرزه «بستالوتزى» من نجاح فى بعض مشروعاته فيما بعد. كما أن بعضهم ساعد فى كتابة طريقته فى التدريس كما وضحوا مبادئه فى مؤلفاتهم[٣٦]. ولقد ازدهرت مدرسة الأطفال وزاد عدد أبناء الأسر المتوسطة حتى تخطى المائة بقليل، وقد ضم «بستالوتزى»

الأطفال الفقراء الذين قبلهم، وكان عددهم ١٢ طفلا، وكان الأطفال يتراوحون فى العمر بين الخامسة والعاشرة، وانضم المعلمون المذكورون إليه، وكذلك انضم عدد من النساء للمعاونة فى إدارة المدرسة، وكان العمل بالمعهد يستمر من مطلع الشمس حتى وقت النوم ولم يكل لا الأطفال ولا المعلمون من العمل[٣٧].

أما الهدف الذى كان يسعى له فى تجربته هذه فكان تعليم الأطفال عن طريق تنمية حواسهم وقدراتهم الذاتية، وليس شحن عقولهم بالمعلومات، أى أن أسلوب التعليم كان أهم من نتائجه. ولم يكن «بستالوتزى» يشترك فى عملية التعليم ولكنه كان يخطط لطريقة التعليم الجديدة التى ابتكرها[٣٨].

وبعد مرور ثمانية عشر شهرا على افتتاح معهد «برجدورف» دعا «بستالوتزى» بعض المسئولين عن التعليم فى مدينة «برن» Berne لزيارة معهده فأرسلوا اثنين من الخبراء المرموقين للتعرف على أحوال المعهد وطرق التعليم فيه، فزارا المعهد عدة مرات وقارنا بين طرق التعليم التقليدية التى كانت متبعة فى المدارس وبين الطريقة المتبعة فى معهد «برجدورف»، وقد كان الأطفال فى المعهد سعداء نشطين مقبلين على التعليم، وقد كتب أحد الخبيرين J. S. Ith تقريراً عما شاهده وعرف بتقرير «اث» Ith، وجاء فى التقرير «إن كل مايتعلمه الطفل فى المعهد يتعلمه عن طريق المشاهدة والخبرة الشخصية .. وأن طريقة التدريس جديدة تماما وأنها طريقة ينصح باتباعها بما فيها من قيمة ممتازة كما ينصح بنشرها فى المدارس لفائدتها للناس وبخاصة لمن يكونوا الغالبية المهملة من المجتمع»[٣٩]. وقد كان لهذا التقرير وقع على المسئولين عن التعليم فى الحكومة، فقد طلب إلى المدارس اتباع طريقة «بستالوتزى» فى تعليم الأطفال. هذا ولو أن فكرة «بستالوتزى» فى إعداد المعلمين الملمين بطريقته لم يمكن تنفيذها - كما ذكر - إلا أن عدداً من المعلمين تعرفوا

عليها وقاموا باستخدامها فى بعض مدارس سويسرا.

ولقد كان لتقرير «اث» وقع كبير فى بعض دول أوروبا وبخاصة فى ألمانيا كما كان له أثر فى شهرة «بستالوتزى» أكثر مما كان لمؤلفه الشهير «كيف تعلم جرترود أطفالها» ، الذى نشر فى ذلك الوقت.

لقد قرر «بستالوتزى» السفر إلى فرنسا وذلك لكى ينشر آراءه فى السياسة[٤٠] ويوضح مطالبته بجعل التعليم حقا دستوريا لكل فرد، ويعرف بطريقته الجديدة فى التعليم، وينشر كتبه المدرسية لاستخدامها فى فرنسا، ولقد ساعده عدد من أصدقائه فى كل هذا، إلا أن آراءه لم تلق نجاحا وباءت بالفشل.

وعاد «بستالوتزى» إلى سويسرا - إلى عمله فى برجدورف - إلا أن تغيير الحكومة السويسرية بعد سقوط الجمهوريين المؤيدين له اصابه مشروعه التربوى بالضرر، إذ قطعت الحكومة عن معهده كل المعونات المالية ومنعته من التدخل فى الشئون السياسية[٤١]. وهكذا أصبح موقف «بستالوتزى» حرجا، وبدأ أعداؤه ومنافسوه فى مجال التربية يهاجمونه ويسخرون من آرائه فى تربية الأطفال ومن الطرق التى يتبعها فى تعليمهم. كذلك فإنه بسقوط الجمهوريين وبقاء سويسرا مقسمة إلى مقاطعات يجمعها نظام فدرالى أصبحت القوة فى يد الحكومة المحلية بالمقاطعات وكان التعاطف بين حكام المقاطعة التى تقع فيها «برجدورف» وبين «بستالوتزى» مفقودا، لذلك فإن معهد «برجدورف» لم يفقد إعانة الحكومة بل فقد أهميته فى المقاطعة وطلب من «بستالوتزى» اخلاء قلعة «برجدورف» التى ضمت مدرسته التجريبية، وبالرغم من رجائه للإبقاء على مدرسته حتى لايقضى عليها بتغيير المكان إلا أن الوزراء الارستقراطيون فى المقاطعة لم يكن يعنيهم التعليم الشعبى الذى تبناه «بستالوتزى».

ولما فشل فى محاولاته للإبقاء على مدرسته بأوضاعها التى كانت عليها قرر ترك «برجدورف». ولقد عرضت عليه عدة دول فى أوروبا أن يضع لمدارسها نظمها وبرامجها، إلا أنه فضل قبول دعوة مقاطعة سويسرية أخرى هى مقاطعة فود Vaud كانت تضم معظم من تعرف عليهم خلال الحكم الجمهورى وكانوا ميالين إلى اتجاهاته. وكانت الدعوة الموجهة إليه تطلب منه أن ينقل معهده إلى مدينة «ايفردون» Yverdon فقرر السفر إلى تلك المدينة لتفقد الأحوال فيها قبل قبول الدعوة، وبعد ذلك تم الاتفاق على أن يكون معهده فى «ايفردون» للتجريب فى التعليم فقط وأن يكون هناك معهد آخر للتعليم العام يرأسه «فلنبرج» Fellenberg[٤٢] على أن يكون فى قرية أخرى، ويكون المعهدان تحت إدارة واحدة[٤٣].

وبمجرد ترقيع الاتفاق على هذا التنظيم بدأ «بستالوتزى» فى اختيار الأطفال الفقراء من معهد «برجدورف» يلتحقوا بمعهده فى «ايفردون» وترك أبناء الميسورين لمعهد «فلنبرج»، ولما كانت الطريقة التى يعامل بها «بستالوتزى» أطفال المعهد تميل إلى العطف والتسامح، بينما استعمل «فلنبرج» التشدد مع الأطفال، ظهرت بوادر تذمر أدت فى النهاية إلى انضمام التلاميذ جميعهم لمعهد «ايفردون».

وهكذا نجد «بستالوتزى» - مرة أخرى - يعود لتطبيق مبادئه فى التربية فى تعليم الصغار كما بدأ المثقفون والمعلمون وغيرهم يفدون إلى المعهد للتعرف على طرق «بستالوتزى» فى التعليم، وقد كتب بعضهم عدداً من التقارير عنها، وكان زائرو المعهد يفاجئون عند مقابلتهم لبستالوتزى - إذ كان رجلا مسنا نحيلا كثير الحركة والتعبير بيديه حتى ليبدو كأنه مضطرب - إلا أنهم بعد الاستماع إليه ورؤية حماسه العظيم لمشروعه، كانوا يعجبون به وبإيمانه وتضحياته فى سبيل مبادئه[٤٤].

لقد كان «بستالوتزى» كريما مع الناس وبخاصة الفقراء منهم كما كان كثير المرح بالرغم من الهموم التى عانى منها خلال حياته، ولقد ضحى بكل شئ بماله وحياته الأسرية من أجل مبادئه فى اصلاح المجتمع عن طريق التربية الصحيحة.

٤ - تجربة ايفردون Yverdon (خاتمة تجاربه التربوية)

شغل معهد «ايفردون» قلعة قديمة كانت معقل «دوق سافوى»[٤٥] فيما قبل إذ كانت «ايفردون» تقع فى المنطقة التى تتكلم اللغة الفرنسية[٤٦]. ولقد قامت البلدية بتجهيز القلعة وجعلها مناسبة لتكون معهدا للتعليم، ثم منحتها «لبستالوتزى» دون مقابل ولمدى الحياة، وكانت القلعة تشمل عدداً مناسباً من القاعات الفسيحة التى تصلح للدراسة، وبها عنابر لإقامة التلاميذ، وقاعات للاجتماعات، وممرات واسعة وساحة كبيرة من الحشيش الأخضر وتحف طرقها الأشجار وكانت البحيرة المسماة «نيوشاتل» New-Chatel لاتبعد عن أسوار القلعة إلا بعض مئات الأمتار.

لقد زاد عدد العاملين والتلاميذ بسرعة فوصل بعد عامين من إنشاء المعهد إلى مائتين وخمسين فرداً واختلفت جنسياتهم فكان منهم الألمان والسويسريون والروس والأمريكيون والانجليز، وقد كان هناك عدد من التلاميذ «الخارجية» من البنين والبنات من سكان «ايفردون» بالإضافة إلى المنتمين بالمعهد. وكان التلاميذ خليطا من أبناء الفقراء ومتوسطى الحال وأبناء الأثرياء أيضا، وقد عنى بغذائهم الذى راعى فيه النظافة والكفاية دون الترف وذلك لضمان سلامتهم صحيا وجعلت الألعاب والغناء من الأنشطة التى تتخلل الدروس العلمية والعملية.

وشعر «بستالوتزى» بسعادة غامرة ذلك لأن عمله كان ناجحا ولم يتأثر بالأحوال المالية مثل مشروعاته السابقة إلا أن سعادته كا[illegible] تتم بالوضع إذ

كان يشعر أن الله قد أثابه أخيرا على عنائه فى سبيل فكره الإنسانى وإيمانه بالخير فى طبيعة البشر، ورغبته فى إيجاد الطرق التربوية التى توصل الفقراء إلى مستويات أفضل وهكذا فى حالة رضائه واستقرار نفسه كانت قدرته على تجسيد أفكاره التربوية وبلورتها أفضل مما كانت عليه من قبل، فبدأ فى وضع رأيه فى طريقة التدريس للصغار التى أسماها الطريقة The Method وقد وضع مبادئه بالتفصيل الدقيق. ففى الفترة مابين ١٨٠٥ - ١٨١٥ كتب «بستالوتزى» عدداً من المقالات فى التربية ويعتقد أن معظم مبادئه التربوية وضعت خلال تلك الفترة وبخاصة بين عامى ١٨٠٥ - ١٨٠٦ عندما كان يعيش فى حجرة صغيرة فى أعلى المبنى بقلعة «ايفردون» هو وزميله «كروزى» Krusi[٤٧] ويعتقد أيضا أن بعض ماكتبه عن مبادئه فى تاريخ لاحق لتلك الفترة كان قد وضع فكرته أثناء السنوات التى قضاها بين الجدران الأربعة لتلك الحجرة الصغيرة فى «ايفردون».

لقد استمر «بستالوتزى» ورفاقه فى العمل بمعهد «ايفردون» لكن المعهد كان فى حالة تدهور بطئ مستمر، فقد أصبح «بستالوتزى» فى سن متأخرة، ولم تكن إدارته للمعهد منظمة أو محكمة، كما أن موت زوجته أثر على حالته النفسية لذلك اعتمد إلى حد كبير فى الفترة الأخيرة على مساعديه. وقد تعرض خلال هذه الفترة لصراعات قضائية تخص الأموال التى يتكلفها المعهد، كذلك فإن كثرة الزائرين للمعهد من فئات مختلفة من الناس كانت تسبب فى اضطراب الدراسة، وأخيراً فى عام ١٨٢٥م وبعد حوالى عشرين سنة من العمل المتواصل فى المعهد ذلك العمل الذى أكسب «بستالوتزى» شهرة واسعة فى العالم المتحضر أغلق المعهد أبوابه وعاد «بستالوتزى» إلى «نيوهرف» منزله الأصلى هو وحفيده، وتوفى بعد عامين من عودته[٤٨]، وكان «بستالوتزى» قد كتب قصة حياته بعنوان "The Sotry of My Life as Head of Institute of Bergdorf" ونشرت عام ١٨٢٤م، وفى قصة حياته يحاول «بستالوتزى»

تبرير بعض مواقفه بتوضيح دوافعه نحو التجريب فى التعليم لكنه فى نفس الوقت ينحو باللوم على نفسه وينتقد نفسه انتقادا شديداً موضحاً أوجه النقص فى شخصيته وأن تجاربه التربوية وبخاصة فى «ايفردون» التى كانت تتطلب شخصا أكثر صلابة وقدرة على الإدارة(٤٩)، إلا أنه بعد موته دفن بجوار بيته فى «نيوهوف» وكتب لوحة على مقبرته تقول:

هنا يرقد هنرى بستالوتزى المولود فى زيورخ فى ١٢ يناير عام ١٧٤٦ والمتوفى برج ١٧ فبراير عام ١٨٢٧ كان منقذا للفقراء فى «نيوهوف» ومبشراً للناس فى «ليونارد وجرترود» وأبا لليتامى فى «ستانز» ومؤسسا للمدارس الأولية الحديثة فى «برجدورف» مربى البشر فى «ايفردون» ذلك الرجل المسيحى – المواطن أعطى كل شئ للآخرين ولم يأخذ شيئا لنفسه فليبارك الله اسمه

كان بستالوتزى رجل فكر وعمل، يفكر لأجل أن يعمل، ويعمل لأجل تحقيق مافكر فيه، وقد مرت خلال حياته بعض الفترات وجد فيها مجالا للعمل أكثر من التفكير، وبعض فترات اضطر للتفكير فيها أكثر من العمل. ولكن تفكيره لم يكن تفكيرا عميقا منسقا، بل كان تفكيراً صادراً عن قوة الخيال وشدة الانفعال، ولذلك لم يتمكن «بستالوتزى» من تدوين آرائه تدوينا علميا أو فلسفيا، بل تركها فى كتب ومقالات ورسائل عديدة كتبت فى أوقات مختلفة. كما لم تكن لديه القدرة على التعبير عن آرائه وملاحظاته بوضوح وطلاقه، وعندما يكتبها فكان يمليها على زملائه والعاملين معه فى المعهد حتى توضع فى قالب أكثر وضوحا.

هذا وبعد أن فشلت تجربة «نيوهوف» التى وصفتها الباحثة فى مكان سابق من هذه الدراسة ظل حوالى لمانية عشر عاما ١٧٨٠ - ١٧٩٨م

منغمسا في الشئون السياسية في بلاده وقد كرس معظم وقته خلال تلك الفترة للكتابة، فقد عمل كرئيس لتحرير «النشرة الشعبية السويسرية» Swiss Popular Gazette التي كانت تصدر تحت إشراف الحكومة الثورية بهدف نشر الدعوة للسياسة والتعليم في عهد الثورة.

وخلال تلك الفترة نشر «بستالوتزى» عدد من المقالات بعضها خاص بالإصلاح الاجتماعي والعديد منها خاص بالتربية سواء كانت مقالاته تخص الاصلاح الاجتماعي أو التربية فإن الفكرة التي كانت تدور حولها تلك المقالات هي مبدأ استخدام التربية لاصلاح المجتمع، ولم يقصد بالتربية تلك التي كانت سائدة في مجتمعه بل كان يقصد تربية جديدة قادرة على الاصلاح الفكري والاجتماعي لأفراد المجتمع.

وسنتعرض لمؤلفاته الخاصة التي تدور في مجالات التربية لاستخلاص مبادئه التربوية عموما ونظرياته وطرقه في تربية الصغار خصوصا تلك التي تقوم على استخدام حواس الطفل في تعليمه، تلك المبادئ والنظريات التي توصل إليها أو إلى معظمها عن طريق تجاربه المتعددة في التعليم والتي قام بها خلال حياته الطويلة المليئة بالجهد والإيمان والمعاناة.

مؤلفاتـــه:

سنتناول مؤلفات «بستالوتزى» ليس بترتيب طبعها الزمني لأن بعض أعماله اندثرت أو بقي منها ملخصات بسيطة تشير إلى محتواها.

١ - كانت أولى محاولاته في الكتابة عن التربية هي تلك المذكرات التي كان يدونها خلال السنوات الأولى من حياة ابنه الوحيد وقد كتبها تحت عنوان صحيفة والد Journal of Father وتعتبر تلك المذكرات من أولى الدراسات الخاصة بالطفل[٥٠] وقد طبعت عام ١٧٨٠م.

٢- مقالة عن أهمية حاسة السمع The Significance of Hearing

نشرت مابين عامى ١٨٠٣ - ١٨٠٤م. وفى هذه المقالة يقول «بستالوتزى» أن أول صوت يسمعه الطفل بعد أن يولد هو صوت أمه، فهى تتحدث إليه أثناء طعامه والعناية به بصوت كله محبة يشعره بالأطمئنان. وكذلك فإن هذه المحبة التى ينقلها إليه صوت أمه هى أهم عامل فى أن يتعلم الطفل عن الأشياء التى حوله بصورة تجعله لاينساها. فالأم هى الوسيط بين الطبيعة والطفل وأداتها هى اللغة التى تقود الطفل لمعرفة الحقائق فى بيئته فيحبها لأنها وصلت إليه بصوت أمه[٥١].

٣- العقل والقلب فى طريقتى Mind and Heart in My Method.

٤- تقرير لأصدقائه فى باريس Report for his Friends in Paris.

فى المقال الأول يتكلم عن التربية الخلقية ولايخرج فيه عما جاء فى كتاب «كيف تعلم جرترود أطفالها» وجدير بالذكر أنه رأى أن العادات ينبغى أن تصبح بالتربية أعمالا تتحكم فيها الارادة.

أما المقال الثانى فقد كتبه بعد أن زار باريس، يوضح فيه مبادئه فى التربية وأهم ما فيه أنه يوازن بين التربية العقلية والتربية الخلقية بمناظرة الملاحظة Anschauung التى هى أساس التربية العقلية، والمحبة Love التى هى أساس التربية الخلقية. ونشر هاتين المقالتين فى عام ١٨٠٥ ولم تنشر لهما إلا ملخصات فى أعمال «بستالوتزى» التى صدرت عام ١٩٢٧م[٥٢].

٥- حول فكرة التعليم الابتدائى: On the Idea of Elementary Education يعتبر هذا المقال أحد أعمال «بستالوتزى» الهامة فى التربية وهو عبارة عن تقرير يشمل رأى «بستالوتزى» فيما ينبغى أن تكون عليه التربية فى المرحلة الأولية أى المرحلة الأولى من التعليم. ولقد ألقى هذا المقال فى اجتماع لجمعية أصدقاء التربية عام ١٨٠٩م، ووضح فيه مانجح من تجاربه

التربوية ومافشل منها كما بين مبادئه العامة فى التربية، إلا أن هذا العمل لايعتبر شاملا لما كان يراه «بستالوتزى» من مبادئ حول التعليم الأولى، وقد أعيد تحرير هذا المقال بواسطة صديقه «نيدرر» Neiderer وعدل فيه بعض الشئ ولكنه لم يعدل المبادئ الأساسية فى شأن التعليم الأولى، ويتضح فى هذا العمل دفاع «بستالوتزى» عن نفسه أمام الاتهام الذى وجهه إليه معارضوه، ذلك الاتهام الذى يقول أن طريقة «بستالوتزى» فى تعليم الصغار تتنافى مع الدين المسيحى، كما أنه يوضح أيضا بعض المصاعب التى لاقاها فى تجربته فى معهد «ايفردن» وفى هذا المقال أيضا قسم «بستالوتزى» قدرات الإنسان إلى ثلاث فئات هى قدرات الإرادة، وقدرات الذكاء، وقدرات العمل، لذلك يرى أن التعليم الأولى يجب أن يهتم بنواحى ثلاث فى تربية طفل هى التربية الخلقية والعقلية والجسمية.

ويبين «بستالوتزى» فى هذا المقال أيضا مدى اتفاق التربية الخلقية مع مبادئ الدين المسيحى وأن التربية الخلقية تتمشى مع واقع الحياة فلا فرق بين التعليم والحياة نفسها التى هى مشبعة بالروح الدينية فى كل من الأسرة والمدرسة. وينصح كما هو الحال فى معظم كتاباته - بأفضلية تقوية القدرات العامة للطفل على اكتساب المهارة فى فن معين أو حرفة معينة، لأن التأكيد على التخصص فى ناحية من نواحى المعرفة أو المهارات فى هذه المرحلة من التعليم وإهمال التعليم الشامل لنواحى المعرفة يسبب تدهورا فى التعليم عموما فى أنحاء البلاد وحتى فى دول أوروبا كلها. ويقول أيضا فى هذا المقال «إن التربية الأولية ينبغى أن تتفق مع المبدأ القائل بأن تعليم الطفل كله لابد أن يأخذ فى الاعتبار حياة الطفل الواقعية ذلك لأن هناك حقيقة يجب أن يفطن إليها الجميع وهى أن الحياة نفسها هى التى تعلم الطفل».

ولقد كانت فكرة «بستالوتزى» عن القيمة التربوية للحياة نفسها فكرة

جديدة كل الجدة فى ذلك الوقت. وفى نهاية هذا المقال يوضح «بستالوتزى» أربع مراحل لنمو الطفل هى:

أ- نمو مشاعره كالمحبة والثقة اللتين يكتسبهما عن طريق اشباعه جسميا بواسطة أمه ثم من حوله فى طفولته المبكرة Infancy .

ب- نمو الوعى عنده Consciousness يتعرف على من حوله من الأفراد والأشياء فى بيئته فى المنزل وهو مازال فى رعاية أمه وهذه هى مرحلة الطفولة المتقدمة Childhood.

جـ- استقلاله التدريجى عن أمه مع زيادة معرفته بالمجتمع والأشياء الموجودة خارج أسرته فى مرحلة الغلومة Boyhood .

د- اتساع دائرة معرفته ونشاطه ورغبته فى معرفة الدنيا والتحكم فى أفعاله دون مساعدة أمه ثم التعرف على جوانب الشرفى المجتمع الكبير وذلك فى مرحلة المراهقة Adolescence[٥٣].

٦- رسائل عن التربية موجهة إلى ج. ب جريفيز Letters to J. P. Greaves نشرت هذه الرسائل تحت اسم Mother and Child وهى تخص تربية الطفل فى طفولته الأولى. ونشرت عام ١٨١٨ - ١٨١٩م. وفى تلك الرسائل يبين «بستالوتزى» الصلة بين الأم والطفل بطريقة راضحة ومحكمة، ويرى أن تربية الطفل تبدأ منذ ولادته ويعتبر السنة الأولى من عمره من أهم سنوات حياته، فيقول «أن الأم تستجيب لحاجات الطفل فى ذلك الوقت المبكر وأن هذه الحاجات وتلك الاستجابة ماهى إلا تعبير عن طبيعة حيوانية ينبغى أن تتحول إلى طبيعة إنسانية إذ أن علاقة الأم بطفلها تبنى على المحبة وهى أهم عوامل نموه السليم»[٥٤].

وفى هذه الخطابات إلى «جريفيز» Greaves يتضح رأى «بستالوتزى» فى

تعليم المرأة من حيث هي مربية، فيقول أن الرأى السائد هو أن المرأة عاطفية بطبيعتها، وهو لايرى كما كان يعتقد أن التعليم يجعل المرأة تستند إلى العقل فقط في علاقتها مع طفلها، أى أن التعليم يفقدها عاطفتها الفياضة وهو يرى أن تعليم المرأة واجب إذ هو يساعدها على التوازن بين عاطفتها وعقلها في تربية صغارها.

٧- تساؤلات Inquiries

بعد أن كتب «بستالوتزى» حول فكرة التعليم الأولى وشعر أن زميله «نيدرر» قد ترك أثره في هذا المؤلف عندما أعد للنشر بدأ «بستالوتزى» يكتب مؤلفا آخر يضمنه كل فكره في التربية دون تدخل من أحد يوضح فيه فكرته عن التربية الطبيعية Natural Education إلا أن هذا العمل لم يتم، فقد انجز نصفه تقريبا عام ١٨١٢م وبدأ في تأليف مؤلف آخر(٥٥).

٨- من بستالوتزى المريض إلى المجتمع سليم الصحة:

The Ailing Pestalozzi to the Healthy Public

كان يمليه على زميله «كروزى» وكان عبارة عن قصة حياته والمصاعب والعقبات التى قابلته خلالها وكان ذلك عقب شفاء «بستالوتزى» من مرض ألم به إلا أن هذا المؤلف لم يكتمل أيضا، ويقال أن مؤلفه الذى كتبه فى آخر حياته وهو انشودة البجعة Swan Song شمل ما احتوته مسودات المؤلفين السابقين (٦، ٧)(٥٦).

٩- آراء وخبرات Views and Experiences

لقد نشر هذا المقال عدة مرات، واختلفت محتوياته بين نشرة وأخرى. وأهم ما في هذا المقال رأى «بستالوتزى» الذى يؤكد أن أفضل مكان لتربية الطفل هو منزله الذى تبدأ فيه تربيته وفق طبيعته فهو محاط بوالديه وأخوته وفي

هذه البيئة المحببة تتفتح قواه تفتحا طبيعيا فتصبح قدرات. وقد أعيد نشره عام ١٩٢٧ ثم ١٩٥٧[٥٧].

١٠- آراء حول الصناعة والتربية والسياسة Views on Industary Education and Politics

كتب هذا المقال عام ١٨٠٧م ولكنه نشر فى عام ١٨٢٢م ويوضح فيه «بستالوتزى» أن اقتصاد المجتمع يترتب على العنصر البشرى ويرى أن أفضل الأمور لرفع مستوى الإنتاج هو تحسين الأوضاع الاجتماعية والتعليمية للعمال، إذ بدون التعليم الصحيح ينخفض المستوى الأخلاقى للعامل، وبالتالى ينخفض مستوى إنتاجه وهو يطالب للفقراء بحقوق متساوية كالاغنياء لأنهم جميعا من البشر.

١١- اللغة كأساس للثقافة Languages as the Foundation of Culture

نشر هذا المقال عام ١٨٠٣ - ١٨٠٤م يقول فيه: «إن اللغة هى التى تجعل الإنسان آدميا بالفعل، إذ عن طريقها يمكن الاتصال بالغير والتعبير عن مشاعره»[٥٨].

١٢- أمسيات ناسك The Evening Hour of a Hermit

يعتبر أول مؤلف تربوى «لبستالوتزى» وقد نشر عام ١٧٨٠ وشمل مائة وثمانين اقتراحا لاصلاح التربية، ويمكن القول بأن تلك الاقتراحات كانت البذرة التى تفتحت وتفرعت منها مؤلفاته الأكثر وضوحا[٥٩] والتى تبين مدى تأثره بفكر «جان جاك روسو» القائل بوجوب اتباع طبيعة الطفل فى تربيته ومن هذه المقترحات العديدة فى مؤلفه المذكور نستعرض الأمثلة التالية.

«إن كل القوى النقية والمفيدة الكامنة فى الإنسان ليست وليدة لفن[٦٠] ولا هى نتيجة للصدفة، بل هى ممتلكات فطرية لكل البشر وأن تنميتها حاجة ضرورية للإنسان».

«إن طريق الطبيعة الذى ينمى قوى الإنسان هو طريق سهل وميسر للجميع لذلك فإن التربية التى تكسب الإنسان الحكمة الحقيقية والشعور بالهدوء النفسى ينبغى أن تكون بسيطة وفى متناول الجميع»

«إن الطبيعة تنمى القوى الفطرية فى الإنسان عن طريق التدريب أن تلك القوى تنمو عندما تستخدم»

«إن تدريب قوى الإنسان ومواهبه الفطرية يجب أن تتبع النظام الذى وضعته الطبيعة لتربية الإنسان»[٦١]

١٣ - ليونارد وجرترود Leonard and Gertrude

يعتبر هذا المؤلف من أهم ما كتبه «بستالوتزى» ليس من الناحية التربوية الرسمية فقط، ولكنه يوضح رأيه فى مدى ما يمكن أن تصنعه الأسرة فى بدء تربية الطفل تربية سليمة فى المنزل. تلك التربية التى يمكن أن تحاكيها تربية الأطفال فى مدارس القرية الفقيرة ويؤدى هذا كله إلى اصلاح المجتمع وسعادة لأفراده. إن القصة بسيطة فى حد ذاتها ولكنها تمتاز برقة العواطف التى تتمثل فيها أو بدقة الأوصاف التى تتحللها. فكل شخص من أشخاص الرواية يتجسم فيها بأوصاف ثابتة وبارزة، ويظهر أن كل ما رآه «بستالوتزى» طول حياته من الشر والشقاء، وكل ما سمت نفسه إليه من الخير والاعتلاء، قد انعكس على صفحات هذه الرواية وجعلها رقيقة طبيعية وحية[٦٢]

لقد كان عرض «بستالوتزى» من تأليف «ليونارد وجرترود» هو تعريف أفراد الشعب ببعض الحقائق الهامة عن الحياة بطريقة تترك أثرها على تفكيرهم ووجدانهم[٦٣] ولقد كتب «بستالوتزى» هذا المؤلف على هيئة قصة يصف فى الجزئين الأول والثانى منها حالة البؤس والفاقة التى يعيشها الناس فى قرية صغيرة يحكمها مسئولون لا خلاق لهم. إلا أن جرترود المرأة الريفية البسيطة أمكنها اصلاح حال زوجها السكير[٦٤] وتعليم أولادها ومقاومة الفساد فى

أما الجزئين الثالث والرابع من المؤلف فيشملان مبادئ «بستالوتزى» فى تربية الصغار فى الريف ودور الأم الطيبة فى تربية أطفالها دينيا وخلقيا تربية سليمة. كما شمل كيفية تدريب الأم لأطفالها على الحرفة والصناعة التى سيرتزقون منها فيما بعد، ويصف «بستالوتزى» جو الهدوء والمحبة الذى يسود بين أفراد الأسرة وكيف يتنقل هذا الجو من مدرسة المنزل إلى مدارس القرية التى بذلك يمكن اصلاحها اجتماعيا[٦٥].

فى هذين الجزئين الأخيرين من قصة «ليونارد وجرترود» يقول «بستالوتزى» واصفا طريقة تعليم الأم لأطفالها بالمنزل «إن عليها أن توجه اهتمامهم إلى الأشياء فى القرية التى سوف يكون لها أهمية بالنسبة لكل واحد من الأطفال» ويقول أيضا «أنه بينما يقوم الأطفال وهم فى حجرة المعيشة فى المنزل بالتدريب العملى على الغزل والنسيج، فإنه من الممكن أن يحصلوا على أول دروسهم النظرية من أمهم. فبينما هم يغزلون ويخيطون فإن أمهم «جرترود» تعلمهم بعض مبادئ الحساب لأنه مهم فالعدد هو أول أساس للتفكير المنظم»[٦٦] كذلك فإن «جرترود» تعلم أطفالها أيضا طريقة الصلاة ثم غناء تراتيل الكنسية – كل هذا وهم يعملون – أما القراءة والكتابة التى تحتاج لاستعمال الأيدى فإن هناك – كما يرى «بستالونزى» فى قصته وقتا كافيا لهما فى أمسيات أيام السبت والأحد.

وهكذا فإن ملامح اتجاهات «بستالوتزى» فى تربية الصغار تبدأ فى الظهور فى قصة «ليونارد وجرترود» تلك الاتجاهات التى يمكن تلخيصها فى تفضيله الأسرة على المدرسة، وتفضيله للأشياء القريبة من الأطفال على البعيدة عنهم كموضوعات لدراستهم، وتفضيله العمل الحسى على الدراسة النظرية[٦٧].

ولقد سجل كتابه «ليونارد وجرترود» نجاحا مباشرا فى الأوساط المثقفة إلا أن الشعب الجاهل الذى كتب الكتاب من أجله لم يقرأه، ولقد كان نجاح

المؤلف مبيا على المجتمع المثقف استمتع به كقصة أدبية ولكن ليس كمؤلف تربوى(٦٨)، يقال أن ملكة بروسيا أعجبت بالرواية اعجابا شديدا وقالت «لو لم تمنعنى صفتى الرسمية لذهبت إلى حيث يسكن المؤلف لأشكره على الخدمة العظيمة التى قام بها بكتابة هذه الرواية» (٦٩). وبالرغم من هذا فقد تألم «بستالوترى» لنجاح هذا الكتاب كقصة أدبية، لذلك عمد إلى إظهار مبادئه فى التربية التى لم تتضح بما فيه الكفاية فى «ليونارد وجرترود» إلى توضيح تلك المبادئ فى مؤلف آخر نشر عام ١٧٨٠م تحت عنوان «كريستوفروالسا».

١٤ - كريستوفروالسا Christopher and Elsa

وقد شمل هذا المؤلف على وصف لأمسيات أسرة ريفية يقرأ فيها رب الأسرة أجزاء من مؤلف «ليونارد وجرترود» على أفراد الأسرة وهم مجتمعون مما يجعل لديهم فرصة للتمعن فيما جاء فيها من أفكار عن تربية الأطفال وعظات أخلاقية ومناقشة لهذه الأفكار لكن مؤلفه هذا لم يكن له أثر لدى القراء ولم تنتشر قراءته وظل بعيدا عن أفراد الشعب(٧٠).

١٥ - وبالرغم من أن «بستالوترى» كتب كثيرا فى تلك الفترة إلا أن معظم كتاباته كانت تخص الحياة السياسية فى البلاد ثم آراءه فى الفلسفة وطبيعة الإنسان. ومن أشهر ماكتبه فى هذا المجال «تساؤلاتى حول أسلوب الطبيعة وتطور نمو الجنس البشرى» "My Inquiries into the Course of Nature and the Development of Man Kind" وقد نشر هذا المقال عام ١٧٩٧ وكان معقدا فى التعبير لدرجة جعلت فهمه من الأمور العسيرة(٧١).

١٦ - كيف تعلم جرترود أطفالها How Gertrude Teaches her Children

نشر هذا المؤلف عام ١٨٠١، وكان «بستالوترى» قد مر بتجربة «برجدورف» طبق بعض المبادئ التربوية التى شغلت تفكيره فى تعليم الأطفال

وترجع شهرة بستالوتزى؛ كمرب صاحب مبادئ وطرق وتجريب فى التعليم إلى هذا المؤلف، ذلك لأنه حوى فكرا جديدا كل الجدة فى التربية تربية أطفال الشعب الفقير - المبنية فى النشاط الذاتى الذى يؤدى إلى الحصول على المعرفة عن طريق الخبرة الحسية مباشرة Sense Experience التى ينتج عنها انطباعات حسية Sense Perceptic[٧٢] توصل المعرفة إلى عقل المتعلم وبخاصة فى أول مراحل تعليمه.

وبالرغم من أن هدف «بستالوتزى» فى مؤلفه هذا «كيف تعلم جرترود أطفالها» كان توضيح مبادئه فى التربية بنواحيها العقلية والجسمية والخلقية إلا أن الجزء الخاص بالتربية العقلية طغى على الجزئين الأخيرين، وعلى أى حال، فإنه بالرغم من عدم الوضوح الكامل لما يقصده «بستالوتزى» فى مؤلفه هذا إلا أن المؤلف يشمل المبادئ الهامة التى يبنى عليها طريقته الجديدة فى التدريس.

والمؤلف عبارة عن أربعة عشر خطابا مرسلة من «بستالوتزى» لأحد أصدقائه «جسنر» H. Gessner، وكان «جسنر» هو الذى قام بنشر مؤلفات «بستالوتزى» وكان هدف «بستالوتزى» عندما ينشر هذا الكتاب محاولة لمساعدة الأمهات على الكيفية التى يعلمن بها أطفالهن.

أما الخطابات التى يتكون منها المؤلف فإنها كالآتى:

أ- تتناول الرسائل من (١ - ٣) وصفا تاريخيا للأطوار والتجارب التى مر بها «بستالوتزى» حتى كون مبادئه فى التربية ويوضح منها كيف ساعده أصدقاؤه فى هذا.

ب- الرسائل من (٤ - ١١) تتناول عرضا لمبادئه التربوية مع تطبيقاتها فى فرق التدريس عامة لعلوم المنهج الدراسى.

جـ - أما الرسائل من (٧ - ٨) فتتناول طرق التدريس الفعلية للغة Lan guage والأشكال Form والعدد Number إلا أن تنظيمه لأفكاره في هذا المؤلف تتسم بعدم النظام على وجه العموم.

د- أما الخطاب رقم (١٢) فاختص بالتربية الجسمية، واختص الخطابان رقمي (١٣، ١٤) بالتربية الخلقية والدينية

وفي هذا المؤلف يوضح «بستالوتزي» أنه يريد بناء التربية على أسس نفسية - كما يقول - على دراسة طبيعة الإنسان لذلك فإنه يساوي بين معنى الطبيعة The Natural والنفسي The Psychological.

إن «بستالوتزي» يوضح في هذا المؤلف من الخطابات رقم ٤ إلى ١١ أن التربية فن من الفنون An Art يساعد على إنماء الخير الذي يوجد داخل الإنسان، وعلى التفتح من داخله حتى يحقق ذاته، وأنه يجب على المعلم ألا يفرض على الطفل معلومات غريبة عنه بل يساعده على أن يعبر عما بداخله وبهذا ينمي قدراته، ويساعده على الاعتماد على النفس، ولذلك فإنه يرى أن معرفة الكيفية التي يعمل العقل البشري وفقها ضرورية لصياغة الطريقة السليمة لتعليم الطفل.

أما آراؤه في هذا المؤلف حول التربية بنواحيها المختلفة فهي كالآتي:

التربية العقلية Intellectual. Education

يفترض «بستالوتزي» أن هناك قدرة أساسية للعقل تستند عليها كل العمليات العقلية وتمكن من الحصول على كل المعرفة المرغوب فيها، وهو يعبر عن هذه المصطلح بالكلمة الألمانية Anschauung وهذا التعبير من التعبيرات الصعبة، بل أصعب تعبير استخدمه «بستالوتزي» في كتاباته[٧٣]، وذلك لأنه يستخدمه في التعبير عن عدد من المعاني، فهو يستخدمه قاصدا به

كل وجه من أوجه النشاط الحسى والعقلى التى تعتبر مساعدا على تكوين الأفكار أو المدركات فقد يعنى التعبير أيا من المعانى الآتية:

الانطباعات الحسية Sense Impressions

أوالمشاهدة أوالملاحظة Observation

أو التأمل Contemplation

أو تآلف المدركات الحسية A;perception

أو التنبؤ Intuition

أو بمعنى آخر فإن «بستالوتزى» يستخدم تعبير Anschauung ليعنى كل المراحل التى تمر بها الانطباعات الحسية حتى تصبح مدركة فى العقل (٧٤)

ويرى «بستالوتزى» أن أى مدرك فى العقل له شقان هما المحتوى والشكل Content and form أما المحتوى فإنه عبارة عن خصم من الانطباعات الحسية التى تصل إلى العقل من الخارج عن طريق الحواس (٧٥). وتكون تلك الانطباعات متداخلة بعضها مع البعض الآحر لكنها تأخذ فى الوضوح تدريجياً وتنفصل الاشياء بعضها عن البعض الآخر متخذة أشكالا معينه ودلك عن طريق التأمل وبناء على ذلك فإن العقل هو الذى يحدد الشكل Form

أما المحتوى ، فإنه تلك الانطباعات الحسية التى تصل من الخارج أو بصياغه أخرى ، فإنه عن طريق التعليم السليم يمكن أن يمر الطفل من المرحلة التى تصل الية خلالها الانطباعات المهوشة الى المرحلة التى يتبين فيها الاشياء بوضوح ويكون فيها مدركات متميزة Distinet Nations وهكذا فإن طريقة التدريس ينبغى أن تمشى مع طريقة عمل الحواس والعقل بتدرجها من المحسوس الى المعقول.

ويقول «بستالوتزى» فى كتابة كيف تعلم حرترود أطفالها فى الخطابات

أرقام ٤، ٥، ٦، ٧ «وأن المادة بدون شكل عمياء وأن الشكل بدون مادة خاو».

"Matter Without From is Blind and From WithoutMatter is Empty".

كما يقول أيضاً «وأن الملاحظة الكاملة ليست متوقفة على الانطباعات الحسية فقط ولكنها متوقفة أيضاً على العقل يمد عملية الملاحظة الكاملة بالتبصر أى أن العقل له دور كما أن للانطباعات الحسية دور فى النتيجة النهائية لعملية الملاحظة Anschaung . كما يقول أن العقل ينتقى ما يشاهد والعقل ليس صفحة بيضاء أو فيلم آله تصوير ينطبع عليهما كل ما يسقط من أثر بل أن العقل أيضاً يختار ما يشاهد ويقرر الخطوة النهائية لعملية الملاحظة.

وفى تفسير المبادئ النفسية التى ينى عليها طريقته فى التربية العقلية يقول أن أبسط الانطباعات الحسية Simple Sense Impressions ليست الا أقل الانطباعات من حيث المستوى فهى تكاد تكون لاشعورية غير واضحة Obscure Impressions ثم تتحول الى انطباعات حسية محددة كلما تأكد الحس ، وعن طريق الفن - يقصد بهذه الكلمة Art فن التعليم - تتحول هذه الانطباعات الى صور واضحة Clear Imges يمكن أن تصبح أفكار محددة واضحة [٧٦]. أى أنه عن طريق التعليم الصحيح يمكن أن ينتقل الطفل من مرحلة استقباله لانطباعات حسية مهوشة وغير واضحة الى أن يتمكن من تحديد الاشياء التى تنقلها الية حواسة ، ثم تتميز تلك الاشياء ، ثم يكون الفكرة الواضحة المحددة عنها ، فالتربية الصحيحة إذن تتضمن رفع مستوى قدرة الملاحظة ومراحلها Anschauung لدى الطفل من المستوى الحسى اللاشعورى الى المستوى العقلى الشعورى ، ويرى «بستالوتزى» أن المدركات العقلية الواضحة والحقيقية هى التى تتكون عن طريق الحواس وانطباعاتها

أما فى وصفه لكيفية اتباع أسلوب الطبيعه فى تعليم الصغار فيقول «أن الطبيعة لا تقفز ولا تترك فى مسيرتها أى فراغ . فهى تسير خطوة بخطوة مكملة كل مرحلة الانتقال الى التى تليها فتتمها كما أتمت السابقة (٧٧)» وعلى ذلك فالتعليم يجب أن يسير فى خطوات صغيرة متنقلاً من المستويات البسيطة الى المستويات الاقل بساطة فالأكثر تعقيداً ، بحيث لا ينتقل من مستوى الى أخر الا بعد اتمام معرفة كل مستوى معرفة تامة

كذلك فأنه يرى أن التعليم ينبغى أن ينتقل من الضرورى الى الأقل ضرورة وأن تعليمَ الاشياء البعيدة كما يؤكد لا يعطى الطفل اجابات مجهزة لتساؤلاته بل يتركة ليصل الى معرفة ما يريدة عن طريق خبرته الشخصية ونشاطة الذاتى (٧٨) .ولذلك فأن تدريب حواسة واجب حتى تتقبل الانطباعات الحسية كاملة ، كما يدرب عقلة على الحكم Reasoning وتكوين الفكر الواضحة ولا تستخدم الكلمات والعبارات لتوضيح ما يريد معرفته لكن حواسة هى التى ينبغى أن تنشط وتنمو حتى تصبح قادرة على تأدية وظيفتها لطريقة أفضل ثم بعد ذلك يكون للكلمات معنى لدية (٧٩)

تعليـــم اللغـــة .

كان «بستالوتزى» يرى أن تعليم اللغه هو الأساس الذى يرسو علية تعليم الطفل ذلك لأن اللغه هى الاداه التى توصل نتائج التطور العقلى لبنى البشر من جيل لآخر ، فاللغه هى أساس الثقافة أى أن اللغه هى أساس تعليم الانسان واللغه تنتقل من جيل إلى الذى يلية تطور الفكر الانسانى ، لذلك فأن اللغه بهاتين الميزتين تحقق طلب «بستالوتزى» فى بناء التربية على اسس نفسية فهى توافق بين الاشياء التى تدرس وكيفية تعبير الانسان عن هذه الاشياء بالكلمات ، أى أن بناء طريقة التدريس يتفق مع هذه الأسس

وكانت طريقته فى التدريس التى وصل اليها بعد تجاربه العديدة ومحاولاته

- لبناء طريقته على أسس نفسية - هى أن يحلل موضوع الدرس حتى أبسط عناصره، أو ابجدياته ، وأن يبدأ تعليم تلك العناصر مع التدريج فى تركيبها شيئاً فشيئاً وذلك عن مشاهده موضوع الدرس للحصول على الانطباعات الحسية الخاصة بالموضوع وهكذا استخدام الكلمات فى وصف الموضوع بدقة.

ويرى «بستالوتزى» فيما يخص تعليم اللغه ، أنه لابد أن يكون تعليمها وفق المبادئ المذكورة وهى التحليل لأدق العناصر ، ثم المشاهده ، ثم التعبير أى المراحل الأولى لتعليم اللغه تبنى على مبدأ استخدام الكلمات والعبارات لوصف أشياء يشاهدها الاطفال فعلاً ، ولا يصح التعليم عن طريق تعليم الاطفال قواعدها المجردة ، بل عن طريق المحادثة حول الموضوع المشاهد ولما كان التفكير لا بد أن يسبق التعبير اللغوى لذلك فأن المحادثة لابد وأن تسبق قواعد اللغه والقراءة والهجاء والكتابة والانشاء ، وتعليم اللغه كما بصفة يبدأ بأبسط العناصر ويتدرج فى الصعوبة شيئاً فشيئاً ، فيبدأ بالتدريب على نطق بعض الاصوات البسيطة لتدريب الاعضاء الخاصة بالكلام «الحنجرة ، اللسان، الفم» وهذه الاصوات عبارة عن الحروف الهجائية التى تتبعها فى الصعوبة مقاطع الكلمات التى أسماها «بستالوتزى» Syllables مثل ab - ad - gab - stab والتى اذا اضيفت اليها حروف أو مقاطع أخرى أصبحت كلمات، وهكذا يكون الانتقال من أبسط عناصر الكلمات الصعبة تدريجياً ، وهذه المقاطع والكلمات لابد أن تشمل الحروف الهجائية من أولها الى آخرها (٨٠).

وقد ألف «بستالوتزى» بمعاونه زميلة «كروزى Krusi» كتبا للقراءة والمطالعه وفق طريقة تدريجية منها كتاب مخصص للأمهات Manual of Mothers به تمرينات تخص الكلمات التى عليهن تعليمها للطفل (٨١).

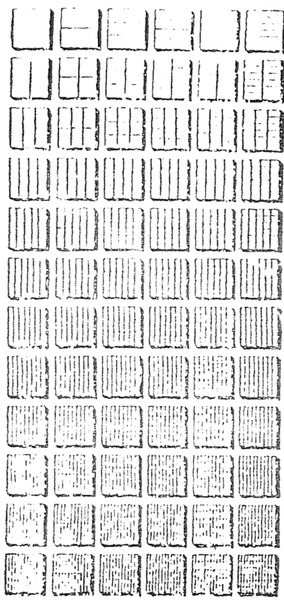
تعليم العدد والشكل «الهندسة الوصفية والحساب» .

لقد اعتبر «بستالوتزى» الشكل والعدد هما أساس العلوم الرياضية ، وكان

يرى أول مرحلة فى تعليم الهندسة الوصفية أو كما يسميها «بستالوتزى» أبجديات الشكل تتكون من اختزال الاشكال المختلفة لبضعه اشكال بسيطة حتى يمكن تعليمها للاطفال ومن هذه الاشكال البسيطة مثلاً الخط المستقيم The Straight Line والمربع The Square اذ انهما يشكلان الاساس الذى تبنى علية الابعاد المختلفة الاشكال المتعددة ، أما الخطوة الثانية فى تحقيق الابعاد المختلفة للاشكال فأنه يحدث بواسطة القياس ،وكان يرى أن القياس يحتاج الى درجة كبيرة من الدقة ، اذ أن القياس فى النهاية يؤدى الى ما أسماه المدركات المحددة ، وتلى خطوة لقياس هذه فى تعليم الاشكال الهندسية تقليد الطفل لهذه الاشكال بالرسم فقط ، وبعد ذلك يمكنه الكتابة أما من ناحية العدد أو مبادئ الحساب فأن أبسط عناصرها هو العد ، والعد كما يعتبره «بستالوتزى» اضافة وحدة الى وحدة أخرى أو بمعنى آخر عملية الجمع ، وكان «بستالوتزى» يرى أن كل العمليات الحسابية ما هى الا عمليات ذات اساس واحد.

فاذا استخدمت وحدة فى تعليم العدد ، فأنه يجب الالتزام بها وأنه فى الحساب كما فى الهندسة ، فأن المربع هو الاساس الذى يبنى علية عملية التعليم ، المربع يمكن أن يضاف اليه مربع آخر كما يمكن تقسيمة حسب الضرورةوهكذا الى عشرة اجزاء متساوية ، وكان التلاميذ بنظرة الى هذه المربعات المقسمة يعدون الاجزاء التى انقسم اليها الواحد الصحيح ، كما يركبون الواحد من اجزائة ، ثم يأتى بعد ذلك جدول الكسور المركبة وفيها تقسم المربعات تقسيما افقياً ورأسياً ويصل الى عشرة اجزاء متساوية أيضاً ، وبهذا الجدول استعان «بستالوتزى» على افهام التلاميذ القواعد العامه فى تجنيس الكسور وبهذا يصبح علم العدد مرتكزاً على علم الشكل بالاضافه الى أن عملية التعليم هذه تعتمد على الخبرة الحسية Sensory Experience فتعليم الحساب لذلك ينبغى أن يبدأ باشياء حقيقية تبدأ بالعد فى الاصابع

بواسطة الخرز والنقط والزلط Fingers, Dots, Pebbles ثم انتقل الى الاعداد المجردة.



PART OF PESTALOZZI'S TABLE OF COMPOUND FRACTIONS

طريقة بستالوتزى فى تعليم الكسور

أما هدف تعليم مبادئ الحساب فكان يرى أنه «رفع مستوى القدرة العقلية للطفل حتى تصل الى مستوى الفن . وبهذه الطريق يمكن للاطفال أن يحلوا المسائل الحسابية بدقة وبناء على التفكير ، وقد كان لهذه الفكرة «لبستالوتزى» فى علم الحساب أثر عظيم على علم العدد عموما ، وأن المقدرة

العظيمة التى أظهرها تلاميذ «بستالوتزى» فى الحساب العقلى كانت سببا من الاسباب القوية التى وجهت الية الانظار الى نجاح أعمالة وطرائقة فى التربية[٨٢].

تعليم الجغرافيا :

كان «بستالوتزى» يبتدئ دروس الجغرافيا بأن يجعل التلاميذ يلاحظون البيئة التى يعيشون فيها ملاحظة دقيقة ، وكما وصفها الاستاذ «فليمن» المؤرخ الفرنسى الشهير وكان قد تلقى العلم على هذا المربى فى معهد «ايفردون» فيقول كان أول عناصر درس الجغرافيا هو ما نشاهده فى الاراضى التى ندرسها نفسها ، قد كنا نذهب الى الوادى الذى يجرى فيه نهر «بورون» Bowron وكان الوادى قريبا من «ايفردون» ، وبعد أن نأخذ فكرة عن الوادى عن طريق رؤيتنا له كنا نفحص تفاصيل تكوينه من هضاب وبحيرات وجداول ومياه ومستنقعات وغابات الى غير ذلك من ظاهر الطبيعه هناك ، حتى تتكون لدينا فكرة كاملة ودقيقة عنه ، ثم يطلب الينا تجميع قطعاً من الطين Clay من الشواطئ التى تحف النهر ونملأ بها السلال أتينا بها لهذا الغرض وعند عودتنا الى القعلة كنا نأخذ أماكننا حول منضدة مستطيله ونقوم بتجسيم الوادى الذى درسناه ، فكان كلا منا ينى الموضوع الذى كلف بدراسته ، وفى الأيام التالية كنا نعاود زيادة الوادى للمزيد من الدراسة لجوانبه المرتفعة لتأخذ أشكالها على النموذج الذى كنا نقوم بتكوينه وعندما كنا نتم تشكيل نموذج الجسم كانت تعرض علينا خريطته ، وبهذه الطريقة كنا لا ندرس الخريطة بعد أن نكون مستعدين لفهمها[٨٣]. وكان «بستالوتزى» يربط علم الجغرافيا بغيرة من العلوم المدرسية أثناء التدريس فكان يربطة بالتاريخ الطبيعى والزراعه والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون التى لها صلة كبيرة به.

تعليم التاريخ الطبيعي :

كان التعليم مؤسساً على تمرينات متدرجة في الملاحظة والتعبير فكان المعلم يعرض الشئ على تلاميذة ويطلب اليهم أن يختروه بحواسهم ويلاحظوا خواصة المختلفة ويسألهم أن يضعوا نتائج الاختبار والملاحظة في جمل على حسب أعمارهم ومداركهم (٨٤).

أما موضوعات هذه الدروس فهى الأشياء التى كان يجمعها التلاميذ بأنفسهم في رحلات وزياراتهم للحقول والغابات المجاورة ، وكثيراً ما كان يضاف إليها بعض الحجارة والمعادن وبعض أنواع النباتات الجافة والحيوان المحنط «وهذه يعدها المعلم بنفسة».

التربية الجسمية :

لم يعط «بستالوتزى» التربية الجسمية حيزا كبيرا في مؤلفة «كيف تعلم جرترود أطفالها» الا أن ما كتبة عنها يعتبر ذو أهمية كبيرة بالنسبة لأبناء الفقراء الحرفيين فيقول : أن التربية الجسمية Physical Education تعنى تدريب المهارات الجسمية والعلملية والمهنية ، وهذا الجانب من تربية الطفل يعتبر هاما بالنسبة لوضع الانسان في المجتمع ، كما أن «بستالوتزى» كان يعتبر التربية الجسمية مكملة للتربية العقلية وذلك لأن المعرفة وحدها دون المهارة العملية أمر غير مرغوب فية ، فالمعرفة لابد أن ترتبط بالعمل ، وفى التربية الجسمية والعملية يضع نفس الطريقة التى تتبع في التربية العقلية ، وذلك بالبدء بأدق عناصرها أو أبجدياتها ، تبدأ بالبسيط منها ثم الاقل فالاكثر تعقيداً ، فيبدأ بالحركات البسيطة للجسم مثل حمل الاشياء ، وقذف الاشياء الصغيرة ، والضغط بالايدى والجذب والالتفاف حول النفس ... الخ . وبعد ذلك يبدأ الطفل في تناول الأشياء واستخدامها ، تلك التى ستصبح أدوات حرفته المقبلة (٨٥).

وهكذا فأن التربية الجسمية تسير على نفس نمط التربية العقلية ويحل الاتجاه الجسمى - أو الميل الجسمى - محل التربية العقلية ، وبهذه الطريقة يمكن أن ينتقل المتعلم الى ممارسته حرفته بطريقة سهلة مقبولة منه ،ولا يشعر بأنها عبء عليه، وفى هذا الانتقال من تدريب الجسم والعضلات المتدرج من البساط للصعوبة ثم استخدام أدوات حرفته بالتدريج تكمن الصله بين التربية الجسمية والتربية العقلية والتربية الخلقية، فالعمل الجسمانى ينبغى أن ينفذ بذكاء وتقبل ورضا فالهدف من التربية الجسمية عند «بستالوتزى» اذن هو اعداد الانسان للقيام بعملة بكفاءة ، وهذا ما يسمية «بستالوتزى» بالفضيلة الاجتماعية Social Virtue (٨٦).

التربية الخلقية والدينية :

أن التربية الخلقية شأنها شأن التربية العقلية تبدأ من ابسط العناصر وتتدرج فى الصعوبة حتى تصل الى الهدف المطلوب ، وفى التربية الخلقية يرى «بستالوتزى» أن لا يفرض على الطفل معرفة أشياء غريبة عنه ، بل يحاول المعلم تنمية ما بداخل الطفل من قدرة على أن تنمى هذه القدرات بنفس المستوى وذلك ليس عن طريق توسيع خبراته بل عن طريق لفت نظرة الى الاشياء القريبة المرغوب فى معرفتها تتحول مكنوناته الفطرية الى قدرات لتصبح فيما بعد عادات هى فى الحقيقة خاضعة لادارة الطفل ولمهاراته البسيطة ، وكما هو الحال فى تدريب العقل على التفكر فى التربية العقلية ، فأن التربية الخلقية أيضاً تحتاج الى التدريب على ايقاظ الشعور الدينى فى الطفل بالتدريج حتى يصبح عادة يتسم بها سلوكه لأن الحديث عن الفضائل مع الطفل لا تنتج عنه تربية أخلاقية.

أن التربية الخلقية فى الطفولة ينبغى ألا تكون مبنيه على الفكر بل تبنى على استخدام الحواس ثم على ايقاظ الشعور فيبدأ بتدريب الطفل على تنمية

مشاعره واستخدام حكمة وتساعده أمه على ذلك قبل أن تتركة للتأمل والتفكير ، وعن طريق ايثار الأم بمحبتها وتوجيهها له يفعل ما هو خير واستمرارها معه حتى تتكون لدية العقيدة التى تجملة خيراً بارادته ، كما ذكر «بستالوتزى» فأن التربية الخلقية يجب أن تسبق التربية الدينية ، فالتربية الخلقية هى أساس التربية الدينية .

أن البداية ينبغى أن تكون مشاعر المحبة والائتمان والعرفان بالجميل والاستعداد للطاعه تلك الصفات التى ينبغى أن تنمى فى الطفل قبل أن يتعرض لفكرة الاله ، فعلى الطفل أن يحب الناس ويأمنهم ويشكرهم ويطيعهم، وهو يتعلم كل هذا من الصلة الحيوية التى تربط الطفل بأمه ، وعندما تطعمه وتعنى به بمجرد أن ولد فيشعر بالسعادة بهذه الرعاية والحنان وتتولد فية المحبة وتنمو ، فالام تحمى طفلها من الاذى وتدبر له وسائل الراحة فيتولد فية الشعور بالا من والشكر والعرفان نحوها ، وبالتدريج تنتقل هذه المشاعر نحو الآخرين فيحبهم ويأمن لهم ويسعد بطاعتهم ، ويتعلم ما هو خطأ وما هو صواب وهو مازال طفلاً وشيئاً فشيئاً قبل أن تبدأ العلاقة الوثيقة بين الطفل وأمة أن تنفصم ، فأنه ينبغى توسيع دائرة اتصالاته كما قال «بستالوتزى» يدخل الدنيا » وأن توثيق علاقات المحبة والامان والشكر والطاعه وذلك تصبح عملاً تربوياً فنياً نشيطاً يقوم به المعلم عن طريق تحويل الغرائز التى اعتبرها «بستالوتزى» مصدراً للسلوك الأخلاقى.

وبهذه الطريقة تأتى الدنيا تحل محل أمة ويمكن أن يتعرف على الاله الذى يحبه كما أحب أمة ، ويتحتم على المربى فى هذه المرحلة الا يجعل تربية الطفل عن طريق العقل بل عن طريق الحواس والقلب ويتجه إلى تنمية مشاعره الوجدانية تدريجيا متجها نحو تنمية العقل وكيفية الحكم على الاشياء ، أو باختصار فأن التربية الخلقية تبدأ من القلب وهو من شأن الام وتنتهى بالعقل وهو من شأن المعلم.

ويعتبر «بستالوتزى» أن التربية الخلقية هى أساس التربية الدينيه ، اد أن المشاعر التى تنمى فى الطفل نحو الناس وهى المحبة والامان والشكر والطاعه تنتقل هذه المشاعر الى الاله، ففى الطفولة المبكرة تحل الام محل الاله ثم تنتقل مشاعر الطفل التى يكنها لأمه نحو الالة الخالق، وكما كان يرضى أمة فى طفولته المبكرة بأعمالة الطيبه، فأنه يبدأ بالتدريج فى فعل ما يرضى عنه الالة الذى حل محل أمة ، ودور الام هام فى الانتقال، اذ يمكنها عندما تعرف طفلها على السماء والأشياء الجميله أن الطبيعه أن تذكر أنها من صنع الله ، وهنا توجد حلقة تربط التربية العقلية بالتربية الدينة وبشعور الطفل بالسعادة التى صنعها الخالق يبدأ فى محبة الخالق ذاته ، وعندما تقوم الأم بتعليم طفلها مبادئ العدد ورسم الخطوط المستقيمة ونطق كلمة صعبه فأنها تطلب منه أن يتقن ما يقوم به كما أتقن الخالق صناعة الطبيعه [٨٧]. وهكذا فأن «بستالوتزى» يجعل طريق التربية الدينية طريق القلب والمشاعر وليس الطريق التقليدى.

تعليم الغنـــاء :

كانت العناية بالغناء شديدة فى مدارس «بستالوتزى» ، بل يعتبر من الفنون الرئيسية التى كان «بستالوتزى» يعلمها لصغار تلاميذة، وكانت الطريقة المتبعه فى تعلم الغناء هى المحاكاه والتقليد ، وكان يهدف من تعليمهم الغناء أن يمرن فيهم حاسة السمع ويربى فيهم الذوق الموسيقى، وقد كان من عاداته أن يختتم كل درس بأغان جميلة تدخل على نفوس الاطفال السرور والانشراح، وكان يعتبرها «بستالوتزى» ترويحا لنفوس الصغار بعد اجهادها فى الدروس النظرية [٨٨].

مما تقدم نجد أن بستالوتزى» قضى عمرة وهو قانع بأن التربية من أهم الوسائل الفعالة لاصلاح المجتمع وتحسين أحوال الانسانية - الا أنه فى الوقت

الذى نادى فية بهذه الفكرة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر - كانت تعتبر ثورة على الاوضاع الاجتماعية ، ولكن صوته ارتفع مناديا بالتربية الحديثة كعلاج حاسم للخلاص من شرور الانسانية [٨٩].

ويعتبر صاحب الفضل فى أنه وجه الانظار الى أن مشكلة التربية يجب دراستها من ناحية علاقتها بنمو عقلية الطفل - أى جعل الطفل محور العملية التعليمية - مما يعتبر «بستالوتزى» واضع أسس التربية الحديثة بالمدرسة الاولية ، وقد عرفها أنها عملية نمو طبيعى تقدمى متناسق مع جميع قوى وقدرات الانسان ، ويعتبر التربية عملية طبيعيه لاصناعية وأن التعليم والتدريس ينبغى أن ينى على أساس النمو الطبيعى والغرائز والقدرات والميول والنشاط الذى تستخدم فية الحواس ، وأكد ضرورة معرفة طبيعه النمو العقلى كأساس لعملية التعلم أى أنه من أوائل من دعوا الى الاهتمام بطريقة التدريس.

ويمكن تلخيص أهم مبادئة فى تربية الصغار واستخدام الحواس فى تربيتهم كالآتى :

١ - أن الاسرة هى أهم مؤسسة تربوية للصغار اذ هى مركز لممارسة المحبة والتعاون للصالح المشترك.

٢ - أن مبادئ التربية وأسسها يبحث عنها داخل الطفل وتبدأ منه هو ولا تفرض علية من الخارج.

٣ - أن النمو المتناسق لكل قدرات الفرد - جسمية ، وعقلية ، وخلقية - هو هدف التربية ، وحاول أن يلائم بين النشاط أو العمل وبين النمو العقلى والاخلاقى.

٤ - الملاحظة والخبرة الشخصية اساس التربية والتعليم ، وهذا هو الاساس الصحيح الذى يستمد منه كل معلوماته [٩٠].

٥ يجب أن نربط الدراسة بالملاحظة واستعمال الحواس.

٦ - ليس الغرض من التربية الاولية ملء عقول الأطفال بالمعلومات وأنما الغرض منها انماء القوى العقلية وايقاظ المواهب الكامنه فيهم.

٧- يجب أن ينتج العلم قوة وأن ينتج التعليم مهارة.

٨- يبدأ النمو الذاتى عندما يتأثر العقل بالاحساسات ، وعندما يعيها العقل تتحول الى مدركات حسية وتسجل فى العقل على أنها ادراك وأفكار وهذه المعرفة الأولية التى تصبح اساسا لكل معرفة.

٩- فى أى نوع من فروع المعرفة يجب أن تحلل مادة التعليم الى ابسط أشكالها ثم يبدأ بالسهل ثم الاكثر صعوبة والانتقال يكون تدريجياً ومتمشياً مع نمو الطفل ، أى يكون مرتبطاً سيكولوجيا مع نمو الطفل.

١٠ - أن يحترم المدرس شخصية الطفل.

١١ - يجب أن تكون المحبة أساس العلاقة بين المعلم والمتعلم ومحور النظام المدرسى.

وبعد فأن «بستالوتزى» الرجل والمصلح والمفكر والمربى المتفانى فى عملة والمثالى الذى ضحى فى سبيل مبادئة المثالية فى تربية الفقراء يعتبر نموذجاً رائعاً للمكرين المؤمنين بالقيم الانسانية الخيرة.

ولم يجد اتباع «بستالوتزى» وتلاميذة جهدا فى نشر مبادئة وطرقة المؤسسة فى الملاحظة واستخدام الحواس فتسابقت الدول الاوروبية فى تأسيس مدارسها على الطرق والساليب البستالوتزية فانتشرت فى كل من سويسرا وألمانيا وفرنسا وانجلترا وأمريكا.

بقيت كلمة أخيرة فى هذا الفصل ... بالرغم من أن مبادىء

«بستالوتزى» بها بعض الغموض فى عمل العقل ، فبينما يذهب «بستالوتزى» الى أن التربية طريقة طبيعية تعمل على أنماء القوى الكامنه فى الانسان «نراه يقول» أن اعمال التربية تنحصر فى توليد الافكار والمعانى الذهنية من الصور الخارجية التى تصل الى النفس عن طريق الحواس .

فالفكرة الأولى تتضمن أن الطفل يولد مزودا بجميع القوى والمواهب العقلية من المعتقد أن «بستالوتزى» أخذ هذه الفكرة عن «روسو» فى تربيته الطبيعية «لاميل» أما الفكرة الثانية فهى مبنية على أن المشاهدة والملاحظة اساس كل معرفة تصل الى الإنسان فعقل الطفل لا يتكون الا بتجارب واضحة بواسطة معلمه.

وهاتان الفكرتان هما الاساس الذى بنى علية كل من «هربارت وفروبل» طريقتهما فى التعليم ، فقد اقتنع «فروبل» بالفكرة الأولى وبنى عليها مذهبه فى التربية وهى استخدام الحواس.

أما هربارت فقد رأى الفكرة الثانية مناسبة للتربية ، ولهذا بنى عليها طريقته فى التعليم وهى الاهتمام بموضوع الدرس وجعل محور العملية التعليمية المعلم وليس الطفل.

ومن هنا نرى أن بعض المصلحين التربويين يرجع أمر التربية الى الطفل وطبائعه ، وأنه يجب دراسة غرائزة وقدراته التى خلقت فية ، فى حين نرى البعض الآخر يهمل طبيعه الطفل ولايعنى الا بالمادة وطرق التدريس وبدور المربى فى العمل التربوى.

هوامش الفصل

(1) Lucas, J Christopher, *Op. Cit.*, P 351

(2) Silber, Kate : *Pestalozzi The Man and His Work*, Routledge and Kegan Paul, London, 1960.

(٣) توفى والده فى الثالثة والثلاثين من عمرة واخرة Johann Daptist وأخته Anna Barbara .

(٤) ويعرى بعض الكتاب فشلة فى كثير من مشروعاته لهذا القصور فى نواحى تربيته (عن ساطع الحصرى : مرجع سابق ، ص ١٦٨).

(5) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 4.

(٦) ساطع الحصرى : مرجع سابق ، ص ١٦٨.

(7) Silber, Kate, *Op. Cit*, P. 10

(٨) حال التعليم مشروحا بالتفصيل فى فصل سابق.

(9) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P 12

(١٠) مصطفى أمين : مرجع سابق ، ص ٢٩٩.

(11) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 12, 16.

(١٢) اقترض من شركة غنية فى زيورخ مالا عام ١٧٦٧ اشترى ضيعه كبيرة وكانت تبلغ مائة فدان تقريباً وسماها «نيوهوف» .

(13) Ornstein, C. Allan, *Op. Cit.*, P. 125

(14) Silber, Kate, *Op. Cit.*, PP. 17 - 20

(١٥) انظر بول منرو : مرجع سابق ، ص ٣٠١

(١٦) ساطع الحصرى : مرجع سابق ، ص ١٩١

(17) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P 22

(18) *Ibid*, P 23

(19) Graves, Pierrepont. Frank, *Op. Cit.*, 126 - 128.

(20) Monroe, Paul, ***A Text Book in the History of Education, The Macmillan comp.***, New York, 1928, P. 602.

(٢١) ساطع الحصرى : مرجع سابق ، ص ١٩٣.

(22) Monroe, Paul, *Op. Cit.*, P. 603.

(٢٣) ستانز : قرية على بحيرة «لوسرن» ضربتها الجنود الفرنسية وقتلوا اهلها واحرقوا ما حولها من قرى ، وتركوا أطفالها أيتاما لا عائل لهم.

(24) Monroe, Paul, *Op. Cit.*, P. 605.

(25) Binder, M. F., *Op. Cit.*, P. 305.

(26) Monroe, Paul, *Op. Cit.*, P. 606.

(27) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 112.

(28) *Ibid*, P. 116.

(٢٩) ساطع الحصرى :مرجع سابق ، ص ١٩٩.

(30) Monroe, Paul, Op. Cit., P.P. 607, 608.

(٣١) أن السبب فى عدم رضا المسئولين هو أن المعلم الاصلى خشى أن ينتهى به الامر الى الخروج من المدرسة فأخذ يدس الدسائس لبستالوتزى . فأشاع بين الأهالى أن بستالوتزى لم يعلّم الاطفال التعاليم الدينية ، وأنه يضيع وقت الأطفال بمحادثات والعاب ، فقام الناس وطالبوا بتخليص أولادهم من يد هذا الرجل ، وقالوا : واذا كان الاعيان يريدون أن يجربوا طريقة جديدة فليجربوها على أولادهم فاضطرت الحكومة للنزول على هذه الرغبات وحولت بستالوتزى الى المدرسة الثانية.

(32) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P 121

(33) ***Ibid*****,** P. 122

(34) ***Ibid*****,** P. 124.

(35) Graves, P. F., ***Op. Cit.***, P. 134

(36) Monroe, Paul, ***Op. Cit.***, P. 607.

(37) Silber, Kate, ***Op. Cit.***, P. 126.

(38) ***Ibid***, P. 127.

(39) ***Ibid***, P. 127.

(٤٠) كانت الأوضاع السياسية فى سويسرا فى أوائل القرن التاسع عشر غير مستقرة ويشوبها الاضطراب وكنت حكومة جمهورية هلفسيا Helevtion Government التى تكونت بعد غزو الفرنسيين لسويسرا قد اخفقت فى الوصول الى أهدافها وأدى هذه الى مرارة الشعور التى أصابت الطبقة الارستقراطية ، لقد حكم الفرنسيون سويسرا واستولوا على أموالهم ، وساءت الزراعة فيها وأدى هذا الى أن اتهمت الحكومة بتقصيرها فى واجباتها فانتقل الحكم من أيدى الثوار المتعاطفين مع فرنسا الى حكومة سويسرا وعادت الطبقة الارستقراطية تضغط على الحكومة فتدخلت فرنسا ووضعت لسويسرا دستورا يتفق مع أغراضها هى (أى فرنسا) وهكذا عاد بستالوتزى الى التدخل فى الشئون السياسية للبلاد مرة أخرى ، الا أنه فى هذه المرة كان قد اشتهر كشخصية لها كيانها ، لذا كان لرأيه السياسى اعتباره ، وكان ذلك بعد نجاح تجربته فى «بروجدورف» ، لقد كان الخلاف شديدا بين الارستقراطية الرجعيه فى سويسرا - فى ذلك الوقت - تلك التى اتهمت بستالوتزى بالتعاطف مع الفرنسيين وبين الثوار الديمقراطيين الذين أيدوا الحكومة الجمهورية ، ولقد ايد الجمهوريون واصدقاء الديمقراطية بستالوتزى وآراءة وانتخبوه ضمن الوفد الذى تقرر ذهابة الى فرنسا لنقل رأى السويسريين فى القوانين الدستورية القائمة عندهم وذلك عندما يتقابلون مع نابليون بونابرت نفسة Napoleon الا أن نابليون لم يتشاور مع الوفد عند وصوله الى باريس فى نوفمبر عام ١٨٠٢م وذلك لأن نابليون كان يعرف أن السويسريين سيطلبون حكومة موحدة بدلاً من النظام القائم على تقسيم سويسرا الى مقاطعات Cantons وكانت فرنسا تفضل بقاء سويسرا مقسمة ، لذلك اقترح نابليون حلا وسطا وهو اقامة حكومة فيدرالية وهذه عندما قامت مكنت الطبقة الارستقراطية من التسلط على الحكم

(41) Silber, Kate, Op. Cit., P.P 155 162

(٤٢) **فلنبرج** : كان صديقا لابن بستالوتزى فى الصغر

(43) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 162.

(44) ***Ibid***, P.P. 164, 165.

(45) Graves, P. F., *Op. Cit.*, P. 138.

(٤٦) تنقسم سويسرا الى ثلاث مناطق ، تتكلم واحدة اللغة الفرنسية ، والثانية الألمانية والثالثة الايطالية .

(٤٧) **كروزى** : كان معلما شابا عمل أثناء الحرب بين فرنسا وسويسرا على جمع عدد من الأطفال اليتامى الذين شردتهم الحرب والمجاعة فى القرية ابنزل Appenzell بتوجيه من فيشر Fisher صديق بستالوتزى وأدخلهم معهم بستالوتزى فى برجدورف ، واشترك معه فى تنفيذ مشروعاته.

(48) Graves, P. F., *Op. Cit.*, P. 144.

(49) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P.P. 250 - 257.

(50) Monroe, Paul, *Op. Cit.*, P. 602.

(51) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 180.

(52) ***Ibid***, P.P. 173 - 175.

(53) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P.P. 197 - 203.

(54) Raymont, M.A.T., *Op. Cit.*, P.P. 140 - 141.

(55) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 204.

(56) ***Ibid***, P. 190.

(57) ***Ibid***, P 190

(58) ***Ibid***, P 175

(59) Monroe, Paul, *Op. Cit.*, P 603.

(٦٠) كان يستخدم كلمة فن ويعنى بها مايصنعه الانسان أى عكس الطبيعه .

(61) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P.P. 32 - 37.

(٦٢) أنظر ساطع الحصرى : مرجع سابق ، ص ١٩٠ .

(63) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 38.

(٦٤) أن هذا الزوج كان بسيطاً للغاية يعيش فى هدؤ وسعادة مع زوجته «جرترود» وأولادهما ، لكن كان فى القرية مسئول طماع شرير لا يهتم بشئ غير ادخار المال فقتح حانه يصطاد بها البسطاء يشوقهم الى شرب الخمر والسكر ويكبلهم بالديون وقد وقع «ليونارد» فى فخ هذا الشرير فأخذ ينفق كل ما يكسبة من عملة وكان عامل بناء - ويستدين وأوقع عائلته فى شقاء وارتباك ، أما زوجته «جرترود» فكانت مثال التضحية ، لقد صبرت وحاولت اصلاح احوال زوجها بكل قواه ، الا انها فهمت أن لا سبيل لاصلاح زوجها طالما هذه الحانه موجودة ، فذهبت الى حاكم القرية وقصت علية قصتها واستجدت به فتألم الحاكم وعزل هذا المسئوال ، وأوجد عملا للعمال العاطلين فتحول كل شئ فى القرية وعادت البيوت الى السكينه والسلام .

(65) Curtis, and Boulfwood: *A short History of Education Ideas*, University Tutorial, London, 1963, P. 324.

(66) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 45.

(67) Pestalozzi, H. J., *Leonard & gertrude, Trans, Anonyn*, London, 1825, Ch. III & IV.

(68) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 45.

(69) Monroe, Paul, *Op. Cit.*, P. 604.

(70) Graves, P. F., *Op. Cit.*, P. 126

(71) Monroe, Paul, *Op. Cit* , P 605

(72) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P.P. 133 - 134.

(73) Pestalozzi, H. J., *Op. Cit.*, Letter 4. P P. 72 - 80.

(74) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 138.

(75) Good. H. G. *Op. Cit.*, P. 140.

(76) Pestalozzi, H. J., *Op. Cit.*, P. 99.

(٧٧) هذا الرأى قالة جون أموس كومينوس (١٥٩٢ - ١٦٧٠م) فى كتابه المرشد العظيم.

(٧٨) هذا المبدأ أيضاً نادى بة «روسو» فى كتابه Emile.

(79) Pestalozzi, H. J., *Op. Cit.*, Letters 5, 6, 7, P.P 144 - 180.

(80) *Ibid*, Letter 7, P. P. 90 - 93.

(81) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 143.

(٨٢) زار أحد التجار المشهورين مدرسة برجدروف قليل الثقة بيستالوتزى وطرائقة فرأى ما أدهشة فى سرعه التلاميذ فى حل الحساب العقلى ، فكتب يقول «لقد أدهشنى من هؤلاء التلاميذ أن رأيتهم يعالجون الكسور المعقدة يحلون أصعب التمرينات فيها بسهولة غريبة حتى كأنها عمل لا يعالجون الكسور المعقدة ويحلون أصعب التمرينات فيها بسهولة غريبة حتى كأنها عمل لا يحتاج الى تفكير وأعطيتهم بعض المسائل لاأستطيع حلها بنفس إلا بعد جهد وعناء ووقت فحلوها بهدوء من غير أن يستعينوا فيها بقلم لم اعطونى نتائجها فى لحظات قليلة».

(٨٣) أنظر مصطفى أمين : مرجع سابق ، ص ٣١١.

(84 + 85) Pestalozzi, H. J., *Op. Cit.*, Letter 12, P.P. 177 - 180.

(86) Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 146.

(87) Pestalozzi, H. J., *Op. Cit.*, Letter, 13 - 14 P.P. 181 - 197.

(88) *Ibid*, P.P. 204 - 205.

(٨٩) فاخر عاقل : مرجع سابق ، ص ١٧٦.

(90) Pestalozzi, H J , *Op Cit.*, P 79

الفصل الخامس

فريدريك فروبل

ارائه فى تربية الطفل

- حياته .
- **أهم أعماله .**
- كتاب تربية الانسان .
- مبادئ تربية الانسان .
- منهج الدراسة عند فروبل .
- الهدايا والاشغال .



FRIEDRICH WILHELM AUGUST FROEBEL (1782–18[illegible])

حيـــاته

ولد «فردريك فروبل» Friedrich Wilhem Froebel ١٧٨٢ - ١٨٦١م في قرية «أوبرويسباخ Oberweissbach» [1] وكأن أبوه كبير رعاه الكنيسة اللوثرية . وكانت أمة قد ماتت وعمرة سنه ونصف ، ولما كان أبوه يشرف على ابراشية واسعه ، فقد شغلة عملة الكثير وقتا طويلاً لم يترك له التفرغ الكافي لشئون أسرته ولا حتى لمتابعه شئون وحاجات أطفالة ، لذلك ترك «فروبل» الصغير للخدم الذين أهملوه وتركوة بدورهم معظم الوقت - لأخواته الأطفال - ولقد تسبب هذا فى أن لم يتعرف «فروبل» بما فية الكفاية على أبية الذى كان يتسم طبعه بالصرامة والشدة والذى لم يتمكن من فهم أبنه الصغير الحالم ذى المشاعر المرهفة الذى أهملة الجميع [2] .

ولما بلغ «فروبل» الرابعه من عمرة تزوج أبوه من أمرأة عاملته معاملة طيبه أول الامر ، لكنها لما رزقت بمولود قست علية وأهملته ومرة أخرى ترك للخدم ، ذلك فلا عجب أن نجد «فروبل» يتخذ من حديقة المنزل والغابات المجاورة ملجأ يفر إليه ويقضى وقته فية ، لذلك ومنذ حداثته أصبح مولعا بالطبيعه وما فيها من جمال وطيور وأزهار وحيوانات صغيرة ، ولقد حاول أبوه أن يعلمة القراءه وأفلح فى ذلك بصعوبة ، لكنه لم يرسل «فروبل» الى مدرسة للأولاد ألا بعد أن بلغ العاشرة من عمره ، وقد كان ابوه على خلاف مع ناظر المدرسة ، لذا أرسل أبنه الى مدرسة للبنات بالقرية حيث حفظ نصوصاً من الانجيل عن ظهر قلب .

وفى عام ١٧٩٢م عندما بلغ العاشرة من عمرة زارهم خال «لفروبل» يدعى «هوفمان» Hoffman كان قد فقد زوجته وابنه لذلك طلب أن يأخذ «فروبل» الصغير ويتعهدة بالتربية والتعليم وهكذا انتقل [3] «فروبل» الى بيت خاله فى مدينه صغيرة بالقرب من قريته التى ولد بها ، وكان حالة اساسا طيباً

وقورا وحازما فى نفس الوقت أمضى معه «فروبل» حوالى خمس سنوات اعتبرها فيما بعد أسعد سنوات حياته . وأدخلة خالة مدرسة الكنيسة فى مدينه «ستأدت ألم» Stadt-ilm لكنه بالرغم من وجود الصبية بالمدرسة ، فإنه لم يأتلف معهم الا بعد وقت كما أن تأخرة فى المدرسة وعدم ممارسته للعب كانا سبباً فى أنه لم يصل الى المستوى المرغوب فية، ولما عاد الى بيت أبية وهو فى الرابعه عشرة من عمرة لم يكن قد تعلم كثيراً أو وصل الى مستوى يؤهلة لدراسة عليا ، ويذكر «فروبل» أن ما تعلمة فى المدرسة فى فترة اقامته مع خاله لم يشعره بأنه تعلم تعليما جيداً فيما عدا بعض الرياضيات ويقول «فروبل» فى سيرة حياته Outobiography أن أحسن ما تعلمته فى المدرسة هو القراءة والكتابة والحساب والدين ، أما الجغرافيا الطبيعية فقد قال عنمها «كنا نردد ماتعلمناه كالببغاء نتكلم كثيراً ولا نعرف شيئاً وذلك لأن تعليم الجغرافيـ لم يكن له أى معنى لنا ، ولو أننا فى نفس الوقت كنا نقدر على تسمية أى نقطة أو بقعه ملونه على الخريطة «ويقول فى مكان آخر : أن مدرسا خاصا علمه جغرافيا انجلترا ولكنه لم يجد أى صله بين تلك البلاد وبين البقعه التى كان يعيش فيها ، أما الهجاء Spelling فيقول أنه لم يكن يتصل بأى علم من العلوم بل كان معلقاً فى الهواء كما أن ما تعلمة من الموسيقى والعزف لم يكن ذا قيمة (٤).

ولما عاد «فروبل» الى بيت أبيه وهو فى الرابعه عشرة من العمر لم يكن قد حصل من العلوم ما كان منتظراً فيما عدا بعض الرياضيات ، وهو العلم الذى كان يفضلة واكتسب فيه فيـما بعد معرفة جيده ، وكان الوقت قد حان ليختار دراسته بعد ذلك ، إلا أن أباه لم يكن قادراً - مادياً - على ارسالة الى الجامعه كأخوته ، وقد تنازل «فروبل» عن هذا الحق وقبل أن يبدأ فى العمل.

وفى عام ١٧٩٧م عين مساعداً لمتخصص فى الغابات فى «الورنجيا»

Thuringia وأكتسب شهره طيبة على قدرته على مسح الأراضى وتقييم سعر الأشياء وعلى ذلك فقد فكر «فروبل» فى أن يدرس الهندسة ومسح الأراضى، فاذا درس أيضاً الفلاحة لسوف يصبح متخصصاً له شأن فى الزراعه التى كانت مطلوبة فى أوروبا كمهنة ذات شأن فى تلك الاوقات ، الا أن أمل «فروبل» لم يتحقق اذ أن المشرف على الغابات كان مشغولاً لدرجة أنه لم يعر «فروبل» أهتماماً كثيراً ، وبالرغم من كونه ممتازاً فى كل العلوم التى كان «فروبل» يأمل فى الحصول عليها فأنه لم تكن لديهٔ القدرة على نقل ما يعرفة للآخرين وذلك ربما يرجع – كما قال «فروبل» الى كونه قد تعلم ما يعرف عن طريق الخبرة والممارسة لا عن طريق التعليم فى المدارس أى أن معرفته كانت تجريبية Impirical وليست عملية Scientific (٥). وقد بقى «فروبل» فى وظيفته بالغابات لمدة عامين تميزت خلالها أربعة أمور فى حياة «فروبل».

١– الحياة المستقرة العملية السعيدة.

٢– الحياه التى أمضاها فى رحاب الطبيعه الجملية وبخاصة وسط الاشجار.

٣– دراسة بعض العلوم التى أحبها مثل الرياضيات واللغات وقراءة علم النبات من كتب كان يحصل عليها من جار له يمتلك مكتبة كبيرة.

٤– انغماسه فى دراسة علم النبات الذى أحبه حباً عظيماً وعميقاً.

ويقول «فروبل» عن هذه الفتره من حياته أن حياته الدينيه تغير مسارها التى تحولت الى اتصال دينى بالطبيعه وعن طريقها بالله ، وأنه خلال النصف السنه الاخيرة كان يعيش بين النباتات التى لم يفارقها ، وكل ما صنعه خلال تلك الفترة هو محاولته رسم خريطة للغابة ، أما بقية وقته فقد قضاه وحيداً . . رقاً فى أفكاره.

وشيئاً فشيئاً بدأت فكرة الوحدة Oneness تلك التى يميزها الاتصال المستمر بين مكونات الطبيعه بدأت تسيطر على تأملاته ، وفى تلك الفترة أيضاً بدأت فكرته عن عدم لياقة وسائل التعليم التى كانت سائدة فى عصرة فى المدارس ، وبدأ يرى أن تلك الوسائل لا يمكن أن تصل إلى شئ ذى قيمة فى التعليم.

وأنتهت فتره خدمته فى الغابات عام ١٧٩٩م وعاد الى منزل أبية وكان فى ذلك الوقت متعطشاً الى الدراسة ، وله رغبه قوية فى دراسة الرياضيات والعلوم الطبيعيه ولم يبق فى بيت أبية الا بضعه أسابيع ثم توجة الى جامعة «يينا» Jena حاملاً بعض النقود الى أخية الذى كان طالباً هناك ، وسرعان ما التحق هو بالجامعه للدراسة بعد أن ورث بعض المال الذى كان يخص أمه . أما العلوم التى درسها فكانت الرياضة التطبيقية والحساب والجبر والهندسة وعلم المعادن وعلم النبات والتاريخ الطبيعى والفيزياء والكيمياء والمحاسبة وزراعه أشجار الغابة والاشراف على الغابات وفن العمارة وبناء المنازل ومسح الاراضى ، كما أستمر فى رسم الخرائط المحلية (٦).

ومن هذا الخليط من العلوم يمكن القول بأن «فروبل» لم يتخصص فى دراسة بعمق ، الامر الذى كان يجعلة يشعر بأنه لم يستفد كثيراً من دراسته، كذلك فقد كان يعيش بمعزل عن الناس يمضى معظم وقته فى التفكير فى الطبيعه وبخاصة فكرته عن الوحدة المميزة للطبيعه ككل بالرغم من اختلاف مكوناتها ، ثم عاد الى بيت أبية مرة أخرى بعد عام ونصف من الدراسة بالجامعة ، ألا أن مدة بقائه فى بيت أبيه لم تطل ، اذ ذهب الى هيلدبرجهوزن Hildburghausen لدراسة الزراعه فى مزرعة أحد أقارب أبيه، الا أنه أرسل فى طلبة للعودة للبيت لمرض أبيه المفاجئ فعاد وتصافى معه قبل موته عام ١٨٠٢م.

ثم عاد للعمل فى مجال الغابات فأصبح كاتبا فى مصلحة تشرف على غابات ولاية «بامبرج» Bamberg وكانت فرصة طيبه أن خالط طبقة من الناس المثقفين واستمر ينتقل من عمل الى آخر فى مجال الغابات حتى عين سكرتيراً ومحاسباً فى ضيعه فى «بيروث» Baireuth ثم بعدها الى «مكلنبرج» Mecklenberg فى وظيفة مماثلة ، وبموت خالة «هوفان» عام ١٨٠٥ فيرث «فروبل» بعض المال ويقرر الذهاب الى «فرانكفورت» ليجرب حظة فى فن العمارة هناك ، وهناك تعرف على دكتور «جرونر» Dr. Gruner وكان ناظراً لمدرسة نموذجية ، فقرر الناظر أن «فروبل» يصلح أن يكون معلماً ونصحة بالتخلى عن فن العمارة لأنه ليس مهيأ له ، كما عرض وظيفة مدرس فى المدرسة النموذجية التى يديرها (٧).

وقبل «فروبل» الوظيفة وأصبح مدرساً للحساب والرسم والجغرافيا الطبيعية واللغه الالمانية.

ويقول «فروبل» أنه قام بتعليم صبية تتراوح أعمارهم بين التاسعه والحادية عشرة، كما يقول أنه بعد أول درس شعر بأنه وجد ضالته فى مهنه التدريس وشعر بسعادة [illegible] بأنها . «مثل السعادة التى تشعر بها السمكة فى الماء والطير فى الهواء (٨).

ومنذ الوهلة الأولى شعر «فروبل» بأن الطريقة السليمة فى التدريس يجب أن نتمشى مع مرحلة النمو العقلى ، بالاضافة الى طبيعه المادة التى تدرس ولما رأى ناظر المدرسة اهتمام «فروبل» بعملة وحرصة على بنائة لفكر تربوى معين أعطاه بعض مؤلفات «بستالوتزى» ليقرأها ، الامر الذى جعل «فروبل» يتوق للتعرف على ذلك المربى العظيم والمصلح الاجتماعى الذى كان يرى أن التربية يجب أن تتمشى وفق طبيعة الانسان.

وبمجرد بداية عطلة المدرسة فى الصيف ذهب «فروبل» الى معهد افردون

وأمضى فى المعهد أسبوعين ، وقد قال «فروبل» أن «بستالوتزى» لم يعلمة شيئاً بطريق مباشر ، بل كان ينصح كل من يسألة عن طرقة فى التعليم أن يتعلم من رؤيته لما يحدث ومن سماعه لما يقال ومن مشاهداته للطريقه المتبعه فى التعليم فى المعهد.

وعندما عقد امتحان للتلاميذ بالمدرسة النموذجية التى كان يعمل بها حصل تلاميذ «فروبل» على أعلى الدرجات ، الا أن «فروبل» بعد عامين من العمل فى المدرسة النموذجية أراد أن يترك التدريس بالمدرسة لكى يعد نفسة اعدادا صحيحاً ليكون معلما أفضل ، لذلك أستقال من عملة ، الا أنه وافق على أن يكون مسئولا عن تعليم ثلاثة أولاد أخوه رجته أمهم السيدة «هولزهوزن» Frau Von Holzhavsen أن يتولاهم بالتعليم بعد أن هبط مستواهم عندما ترك فروبل المدرسة وكان يعطيهم دروساً خاصة قبل ذلك أيضاً.

وبدأ «فروبل» عملة مع الاخوة الثلاثة ١٨٠٧م وطلب أن يعيشوا معه تحت رعايته فى بيت فى الريف (٩). وأخذ «فروبل» يدون ملاحظاته عن سلوك تلاميذة وتقدمهم فى الدراسة التى كانت ذاتية الى حد كبير ، فقد أطلقهم فى الحديقة يزرعون ويجمعون المعلومات عن الطبيعه عن طريق الملاحظة واستخدام حواسهم وعضلاتهم . الا أنه بعد فترة وجد أن الحياه فى الريف منعزلة عن مجريات الامور فى المجتمع لذلك عدل عن فكرة الانعزال الريفى هذه وطلب من والدة الاطفال أن تسمح له بأصطحابهم الى معهد «بستالوتزى» «بافردن».

وذهب «فروبل» بتلاميذة الى المعهد فى أواخر عام ١٨٠٨م وعاشوا عامين فى ايفردن على صلة مستمرة بالمعهد وأن لم يعيشوا داخلة ، وبالرغم من أن «فروبل» أنتقد كتاب «بستالوتزى» المسمى كتاب للأمهات Book

For Mothers ألا أن «بستالوتزى» شخصياً أثر فى «فروبل» تأثيراً كبيراً ، اذ يقول «فروبل» أن «بستالوتزى» كان يوقد جذوة النفس حتى يترق الانسان الى حياه أعلى وأفضل ولو أن «بستالوتزى» كان غير قادر على تحديد الطريق تماما للوصول الى تلك الحياه.

ولقد أنتقد «فروبل» الطريقة غير المنظمة التى كان يسير عليها معهد «ايفردن» فلم تكن هناك خطة محكمة للنظام بالمعهد ، ولا كان هناك اتفاق بين العاملين به.

ولكن هناك وضرح كاف للطريقة المتبعه فى التعلم ، ألا أن أقامة «فروبل» فى «ايفردن» كانت بلا شك ذات فائدة عظيمة له ، وهو يذكر العامين اللذين امضاهما هناك بأنهما كانا وقتا عظيما .

ومن أهم ملاحظات «فروبل» خلال تلك الفترة مشاهداته (١٠) للأطفال وهم يلعبون فى الهواء الطلق اذ لاحظ أثر اللعب وقدرته على تقوية الاطفال جسمياً وانعاش عقولهم وأحياء ذكائهم واعتبر اللعب مفيدا لكل من الجسم والعقل كما كان يرى أن اصطحاب الاولاد فى رحلات مشياً على الاقدام تلك التى كان يقودها «بستالوتزى» نفسة كانت ذات قيمة تربوية كبيرة، اذا كانت تجعل الصغار ينطلقون فى الطبيعه ويحصلون على معلومات هامه من ملاحظاتهم الشخصية وهم فى رحلة المشى.

وفى عام ١٨١٠م عاد «فروبل» إلى «فرانكفورت» Frankfurt هو وتلاميذة ثم انهى عملة معهم والتحق بجامعه «جوتنجن» Gottingen عام ١٨١١م وذلك بهدف اعداد نفسة ليصبح مصلحا تربوياً ، ذلك العمل الذى قطع على نفسة عهدا أن يتجزة وكان يشعر أنه فى حاجة الى تعلم اللغات ، فبدأ يدرسها جدياً كمادرس فيما بعد الفيزياء والكيمياء وعلم المعادن والتاريخ الطبيعى ، غير أنه انتقل عام ١٨١٢م الى جامعه «برلين» وذلك للانتفاع

بمحاضرات البروفيسور «فيس» Weiss الذى ذاع صيته من أجل المحاضرات القيمة التى كان يلقيها فى كل من التاريخ الطبيعى وعلم المعادن ، وكان «فروبل» - كما ذكر- يعد نفسة ليكون مربياً ومصلحا تربويا ، وفى نفس الوقت كان يقوم بالتدريس فى مدرسة للأولاد تتبع نظام «بستالوتزى» وكان يلاحظ سلوك تلاميذه ويدون ملاحظاته (١١).

ولما هزم نابليون فى روسيا عزمت بروسيا وبعض الولايات الالمانية الاخرى على التخلص من نير الطاغية نابليون، وشعر الالمان بضرورة التمسك بقوميتهم وذلك بتجمعهم ضد نابليون وحشدت جيوش الولايات الالمانية للكفاح المسلح، وكان «فروبل» من الذين تطوعوا للقتال بحماس شديد اذ كان محباً لوطنه ولقوميته ، وهو وأن لم يحارب فعلاً الا أن الفترة التى قضاها فى خدمة الجيش اكسبته صديقين حميمين أصبحا فيما بعد زملاء له فى العمل التربوى وكان «وليام ميدندورف» William Middendorf. و«هنرى لانجتال» Henry Langthal معجبين به وبأنكاره لذلك تأكدت صداقتهما له.

وأنتهت الحرب وجاء السلام عام ١٨١٤م حيث عاد الى برلين وحصل على وظيفة مساعد للبروفسور "Weiss" مدير المتحف الملكى ببرلين ، وقد ناسب العمل مزاج «فروبل» اذ كان لدية وقت كاف لمتابعه دراسته فى الجامعة كما منحة وقتاً كافياً للتفكير فى مشروعاته التربوية ، ومن أجل تنفيذ تلك المشروعات فقد استقال من عملة بعد عامين ورحل عن برلين (١٢).

وفى نوفمبر عام ١٨١٦م افتتح «فروبل» فى «جريشايم» Griesheim مدرسته التى أسماها المعهد التربوى الدولى الالمانى Universal German Educational Institute وكان أول تلاميذ المدرسة خمسة من أولاد أخوة «فروبل» وأرسل «فروبل» فى طلب صديقية «ميدندورف» و «لانجتال» ليعاوناه فى وضع خططة التربوية فحضرا إليه واحدا بعد الاخر ، وفى عام ١٨١٧م نقل «فروبل» معهده الى قرية كيلها و Kailhau (١٣).

وتزوج «فروبل» من «هنريتا هوفمايستر» Henrieta Hoffmeister وكانت تكبرة سناً لكنها تؤمن بالتربية وتحب الطبيعه والطفولة وكانت امرأة معطاه مثقفه وبعيدة كل البعد عن الانانية ، وقد استمر «فروبل» في العمل الجاد في مدرسته ، فزاد عدد تلاميذها حتى أصبح ٥٦ عام ١٨٢٦م، وكان أثناء ذلك يحاول جاهدا جذب انتباه مساعدية الذين زاد عددهم ، نحو آرائة فى التربية وكان قد نشر كتابة المعروف «تربية الانسان» Education of Man عام ١٨٢٦م لكنه لكونه قد طبعه في قرية صغيرة هى «كيلهاو» فلم يصل المؤلف الا الى عدد قليل من الناس المثقفين الامر الذى جعلة يخسر ماديا (١٤).

وكانت الاحوال السياسية فى ألمانيا فى تلك الاوقات مضطربة الى حد ما، فقد تكونت جميعات وطنية من المحاربين القدامى ومن طلبة بعض الجامعات مطالبين بوحدة المانيا ، وبالمزيد من الديمقراطية ، وتبنى هذه الحركات الدوق «ساكس ويمر» "Duke of "Saxe Weimer صاحب الرأى الحر وقد انتشرت هذه الحركات الديمقراطية فى أماكن مختلفة من الولايات الالمانية (١٥) الا أن «ميترنك» Mettemich رئيس وزراء النمسا فى ذلك الوقت أوحى الى الملك «فردريك الثالث» بأن هذه الحركات التقدمية لابد أن توقف عند حد ، لذلك اتخذت اجراءات مشددة فى فيينا وبرلين ضد كل الثائرين فعزلوا اساتذة الجامعات وزجوا بالطلبة فى السجون وحلوا الجمعيات الوطنية.

ولما كانت منطقة «كيلهاو "Kailhau" حيث معهد «فروبل» من المناطق التى اتضحت فيها الاتجاهات الثورية ولو أن تلك الاتجاهات التقدمية فيها كانت تخص التربية فقد أرسل مفتشا خاصا لفحص معهد «فروبل» بقرية «كيلهاو» وكتابة تقرير على ما شاهده فيه، وقد زار هذا المفتش المعهد مرتين وكتب تقريرا امتدح فيه المعهد امتداحا كبيراً لما شاهده فيه من روح التعاون والمحبة التى تربط بين المعلمين والمتعلمين فيه، كما امتدح طرق التعليم المتبعه والمبنية

على النشاط الذاتي والخبرة المباشرة والمشاهده الشخصية لموضوعات الدراسة وتنظيم اوقات فراغ التلاميذ كما ذكر أن الهدف من التربية فى ذلك المعهد هو تربية الانسان وكانت كل هذه الامور التى ذكرها التقرير غير موجودة فى المعاهد التعليم الاخرى . جعل تلاميذ معهد «كيلهاو» يتفوقون على غيرهم فى المدارس التقليدية .

وكان لهذا التقرير وقع حسن لدى أولى الامر ، الا أن المتشككين منهم كانوا يعتبرون المعهد مركزا ثوريا ، وزاد الطين بله أن أحد زملاء «فروبل» من المعلمين يسمى «هرتزج» Hertzug هو وبعض ابناء اخوه «فروبل» اختلفوا مع «فروبل» وظلوا يشيعون عنه الافتراءات مما تسبب فى الاساءة الى سمعه المعهد فتسرب من التلاميذ حتى وصل عددهم عام ١٨٢٩م الى خمسة تلاميذ فقط .

وكان «فروبل» هو وزميلة «ميدندورف» قد قاما بزيارة جامعة «جوتنجن» لمقابلة الفيلسوف «كراوس» Krause الذى كان مهتماً بمؤلفات «كومنيوس» Comenius فاطلع «فروبل» عليها وبخاصة مؤلفه الخاص بتربية الاطفال فى السنوات الست الاولى من حياتهم ، وهكذا يتنبه «فروبل» الى أهمية ميدان التربية الذى ظهرت فية مواهبه وأحرز فية نصرا كبيرا (١٦) . وعندما عاد «فروبل» الى «كيلهاو» وكان متأثراً بزيارته للبروفسور «كروس» اتصل بدوق «مينجن» Meiningen وأطلعه على ما تقدم به من اصلاحات فى التربية فطلب الية الدوق أن يقدم له مشروعاته التربوية . فقدم للدوق خطة كاملة لمعهد «تربوى» يتعلم فية الاطفال بجانب التعليم النظرى - حرفا مثل الغزل والنسيج والنجارة وغيرها ، وكان «فروبل» لا ينظر الى الاطفال على أنهم مستقبلين للمعلومات فقط ، بل اعتبرهم مخلوفات قادرةعلى العطاء والابتكار، وكان يرغب فى أن يجد الاساليب التى يتمكن بواسطتها من

استثارة شوق الصغار وجعلهم يهتمون بالنواحى العملية النافعه فى التعليم ، وأعتقد ان العمل اليدوى واستخدام الحواس هما الوسيلة لذلك [١٧] . وبالرغم من أن مشروع المعهد كاد يتحقق ، الا أنه كانت هناك مشاعر غيرة وحقد على «فروبل» من قبل بعض الافراد ، مما جعل الدوق يتشكك فى امكانية اتمام مشروع المعهد .

لذلك عندما شعر «فروبل» بتردد الدوق أنهى معه المفاوضات حول المشروع ثم سافر الى فرانكفورت عام ١٨٣١م.

وقد حاول «فروبل» بعد ذلك افتتاح معهد فى قرية «ويليسو» Willisau الا أن المعهد لم يدم طويلاً لاسباب كثيرة منها عدم مناسبة المبنى وعدم تعاون سكان القرية ، وهكذا بدأ «فروبل» يشعر بعدم الثقة فى نفسة ، ففكر فى الذهاب الى فرانكفورت مرة أخرى ، وهناك تقابل مع الموسيقار الشهير «شنيدر» Schnyder صاحب المذهب الطبيعى وتعرف الموسيقار على مشروعات «فروبل» التربوية فعرض علية أن يفتح له معهدا فى ضيعته الخاصة بالقرب من «لوسرن» Lucerne فى سويسرا ، وبعد أن بدأ بتنفيذ انشاء المعهد بدأت معارضة رجال الدين للمشروع معارضة شديدة أدت الى أنه لم يتقدم أى تلميذ للالتحاق بالمعهد عند افتتاحة لكن «فروبل» افتتح مدرسة فى قصر الموسيقار لم يلتحق بها الا اطفال قليلون من أبناء الريفيين [١٨]

ولم يبق «فروبل» طويلاً فى سويسرا فعاد الى قرية «كيلهاو» مرة أخرى عام ١٨٣٢ وسرعان مادعا الى افتتاح ملجأ للايتام فى «برجدورف» وبدأ فى القاء سلسلة من المحاضرات للمدرسين الشبان هناك، وكانت محاضراته ناجحة واستقر فى «برجدورف» بناء على دعوة الحكومة السويسرية له بأن يتولى ادارة معهد الايتام هناك فانتقل هو واسرته للاقامة فى «برجدورف» ليتتلمذ على «بستالوتزى» ، نجد «فروبل» يقوم بتجارب تربوية فى نفس البلدة.

ولقد كان عملة فى «برجدورف» سببا فى تقريرة أن تربية الاطفال فى المرحلة الاولى، لا بد أن ترسو على قاعده سليمة من التربية فى مرحلة ما قبل المدرسة، وقد راودته فكرة عمل برنامج لتدريب الامهات على تربية أطفالهن فى سنواتهم المبكرة كما راودته فكرة الهجرة الى الولايات المتحدة لتنفيذ مشروعاتة وتجريبها هناك ، لكنه لم يفعل، وأخيراً عاد الى برلين ومنها الى «كيلهاو» مرة أخرى ، وكان ذلك عام ١٨٣٧ وكانت فكرة افتتاح معهد للاطفال الصغار Institution For The Fostering of Little Children أو مؤسسة تربية الاطفال الصغار وعندما نفذ فكرته هذه فى قرية «بلانكنبرج» Blankan Berg بالقرب من «كيلهاو» وجد اقبالا كبيراً عليها كما بدأ الاهتمام بها واضحا وجاءت احدى الاميرات الالمانيات لزيارة المعهد ومشاهدة التجربة فيه.

وفى بداية عام ١٨٣٩ ألقى «فروبل» خطابا فى مدينه «درسدن» Dres-den حضرته ملكة سكسونيا Queen of Saxony وبعد شهر ألقى خطاباً آخر فى «ليبزج» وفى تلك الفترة من بداية نجاحة فى مشروعه الخاص بتربية الاطفال ماتت زوجته التى كانت معتلة الصحة لوقت طويل (١٩) . وقد قدم عدد من المدرسين الشبان الى «فروبل» ليتعلموا طرقة فى تربية الاطفال ، وقبل عام ١٨٣٩ كان افتتح معهدين للاطفال فى فرانكفورت يقوم بالتعليم فيها مدرسون تدربوا على يديه.

وكان «فروبل» يريد اسماً جديداً لمعاهد الاطفال التى افتتحها ويوم أن كان فى رحلة على الاقدام مع زميلية وهم يعبرون جسراً على النهر توقف «فروبل» فجأه وصاح «لقد وجدتها» Eureka (٢٠) وعندما سئل عما وجد قال أنه وجد الاسم الذى ينشدة لمعاهد الاطفال، وكان هذا الاسم هو «بستان الاطفال» أو «روضة الاطفال» Kindergarten وقد صمم فروبل على جمل

«روضة الاطفال» فى «بلانكنبرج» معهدا نموذجيا وأن يلحق بها معهدا لاعداد المعلمين والمعلمات لتعليم الاطفال الصغار الذين هم تحت سن السابعه.

وفى ما يوم عام ١٨٤٠ بدأ حملة لجمع التبرعات واغتنم فرصة حدوث العيد الماسى Hundredth Anniversary لاختراع الطباعه وأخذ فى نشر الدعوه لمعهد «بلانكنبرج» فى المناطق المحيطية بالقرية ونجح فعلاً فى اقناع بلدية «بانكنبرج» فى أن تسمح له بمبنى ينقل إليه المعهد، الا أن ما جمع من مال لم يكن كافيا وكاد ادة بدأ المعهد ولم يكن هناك من المال ما يسد نفقاته واضطر «فروبل» عام ١٨٤٤ الى التخلى عنه وقرر بعد ذلك أن يسافر الى أنحاء المانيا للتعريف والدعاية بمبادئه أخذ معه صديق العمر «ميدندورف» Middendarf الا أنه قبل أن يترك «بلانكنبرج» نشر مؤلفا آخر اعتبر فيما بعد اكثر مؤلفاته قبولا وذلك هو مؤلفة المعروف اغانى للامهات ولاطفال الحضانه Muther Und Koselieder وهى عبارة عن مؤلف يحوى صورا وأغانى للامهات وأناشيد للاطفال وبدأ رحلتة فى أرجاء المانيا ، وأثناء زيارته لمدينه «درسدن» Dresedn زار مدرسة للاطفال التى اسسها «أدولف فرانكنبرج» Adolph Frankenberg الا أن رحلاته هذه لم تأت بثمرة وعلية فقد بدأ رحلة أخرى علم ١٨٤٦م لم يجن من ورائهما فائدة أيضاً ، ولكونه لم يؤثر على الرجال والمربين بآرا ئه فى تربية الاطفال فقد أخذ يتجة نحو النساء والامهات والمدرسات وبدأ يعطى سلسلة من المحاضرات للنساء ابتداء من عام ١٨٤٦م حتى عام ١٨٤٨م وكان ذلك فى قرية «كيلهاو» وكان من نتائج هذه المحاضرات أن أصبح له تابعات لمذهبه تزوج احداهن فيما بعد هى «لويزليفين» Louise Levin (٢١).

وفى عام ١٨٤٩م بعد أن القى سلسلة من المحاضرات على مجموعة من

المعلمين فى «درسيدن» ثم عاد الى «كيلهار» لكنه قرر أن يقيم فى مدينه «ليبنشتين» Liebenstein بدوقية «ساكس منجن» Sax Meningen لكى يدرب فيها مدرسات لرياض الاطفال بمساعده «الويزليفين» وهناك تقابل مع أكثر السيدات تفهمها لمذهبه التربوى وتحمساً له وهى البارونه «برتوفون مارنهولتز برلاو» Marenholtz Bulow Berther Von والتى يمكن أن يقال أنها أهم من شجع انشاء رياض الاطفال الفروبلية.

وقرب نهاية عام ١٨٤٩ وجهت الية الدعوه من الاتحاد النسائى فى «هامبورج» لالقاء محاضرات عن تعليم المرأة ، وفى «هامبورج» تقابل مع ابن أخ له كان تقدمياً فى أفكاره وكان الاتحاد النسائى قد دعاه أيضاً لالقاء المحاضرات وكانت ثورية طالب فيها بمساواه المرأة بالرجل وبتحرير المرأة ، وقد اعتبرته السلطات ثورياً ولكن لسؤ الحظ اختلط الامر على المسئولين فنسبت التهمه الى «فروبل» لذلك فى عام ١٨٥٠ عاد الى «ليبنشتين» Liebenstein وانتقل بعدها إلى «مارينتيال» Marienthal وهى مدينه قريبة وذلك لأن البارونه «مارنهولتنز بولار» كانت قد توسطت له فحصل على مكان افتتح معهداً لاعداد المعلمات ، وفى نفس العام أسس مجلة اسبوعيه تربوية Weekly Journal of Education (٢٢).

ولم تدم سعادته طويلاً اذ أن الحكومة فى برلين اصدرت أمراً اصدرة وزير التعليم «فرن رومور» Von raumer يحرم افتتاح أى روضه اطفال فى مقاطعات بروسيا بحجة أن رياض الاطفال تتسبب فى تنشئه أطفال ملحدين ، وكان ذلك بسبب الخلط بين أسم «فروبل» وأسم ابن أخية الذى أتهم بالثورية والالحاد ، وهكذا بقى الامر نافذا حتى عام ١٨٦٠م

ولقد كان الحزن يملأ «فروبل» لهذا الخلط فقد كان هو من أكثر المتمسكين بالدين والمؤمنين بالخالق ، الا أن نشاطة فى رياض الاطفال بقى

فى المقاطعات الاخرى بألمانيا ، ولقد تابع عمله جهد فى «مارينال» فى معهد اعداد المعلمات الا أن اضطهاد الحكومة له كان قد أثر على صحته، فبعد فترة مرض ولزم الفراش وتوفى عام ١٨٦١م وهو رجل حزين خاب فأله (٢٣).

أهم أعمالة :

يتضح من كتابات «فروبل» كلها أولاً : حبة العميق المتفانى للطفولة و ثانياً : مثاليته التى تتجلى بين الحين والاخر فى فكرته عن الوحدة الالهيه، هاتان الظاهرتان فى كتاباته سيطرتا على فكره التربوى، ولقد كانت هاتان الفكرتان السبب فى انجذاب الناس إلى كتابته وطرقه فى تربية الأطفال، فقد تكونت مجموعة كبيرة من المعجبين بأفكاره التى اعتنقوها ومشوا فى طريقه فى أنحاء كثيرة من العالم. وقد يكون حبه العميق للطفولة نتيجة من نتائج معاناته فى الحياة وهو طفل تعرضه للإهمال وسوء المعاملة، وهو يقر بذلك فى سيرة حياته، أما مصدر مثاليته وإيمانه بالوحدة الإلهية فإنه يمكن أن يكون قد استمد من الفلسفات المثالية التى استقى منها الفلاسفة الألمان الذين تأثر بهم «فروبل» مثل « شيللر» Schiller، و «شيلنج» Schelling، «وجوته» Goethe الذين كانوا وغيرهم من المفكرين الذين تطلعوا إلى وطن ألمانى موحد وظهرت أفكارهم فى فلسفاتهم المثالية وفى أشعارهم وهم يعانون من عدم بلوغهم ما كانوا يصبون إليه. كما أن الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر وما تضمنته من فكر مثالى، كان له بالغ الأثر فى أنحاء أوروبا جعل الحرية أملاً يطمح إلى بلوغه الجميع، وتتضح هذه التطلعات فى كتابات الفيلسوف «كانت» Kant «وفخته» Fichte و «هجل» Hegel وغيرهم. ويمكن القول بأن «فروبل» تأثر بكل هؤلاء وكانت دراسته للفلسفة غير منظمة فى الجامعة، لكنه كان يستمع للفلاسفة عندما كان يدرس فى

جامعات يينا Jena وبرلين Berlin جوتنجن Gottingen دراسة متقطعة ولكنه يمكن تسمية دراسته للفلسفة دراسة ذاتية عن طريق القراءة والاستماع.

أما إتصاله بالطبيعة فقد كان أمراً لأزمة طوال حياته منذ طفولته وحتى كهولته، ولقد كتب «فروبل» العديد من المقالات والمؤلفات يعتبر أهمها مؤلفه المعروف «تربية الإنسان» Education of Man ويليه الأهمية مؤلفه أغانى الأمهات وأناشيد الحضانة، هذا وتعتبر رسائله العديدة التى كان يبعث بها إلى معارفه وأصدقائه والمهتمين بشئون تربية الاطفال تعتبر هذه الوسائل مصدرا آخر للاستدلال منه على آراء «فروبل» فى التربية وقد جمعت معظم تلك الرسائل ونشرت وبعض هذه الرسائل هام وبعضها قليل الاهمية ولكن معظمها يدور حول افكارة التى عرضها فى مؤلفية «تربية الانسان» و «أغانى للأمهات وأناشيد للحضانه»[٢٤].

تربية الانسان Education of Man :

نشر «فروبل» هذا المؤلف وهو فى «كيلهاو» Kailhau عام ١٨٢٦ والمؤلف معقد الاسلوب غير واضح المعانى وضوحا كافيا فى غالبيته ويدور المؤلف حول رأى «فروبل» فى معنى التربية وكيفية نظرته هو وزملاؤه اليهاوهم يفكرون سوياً أثناء وجودهم فى معهد «كيلهاو» ويتكون المؤلف من سنه فصول Chapters ومائة وخمسة أقسام Sections .

أما عنوان الفصول فهو :

١ - الاساس المبنى علية كل شئ Ground Work of the Whole

٢ - الانسان فى فترة طفولته المبكرة Man In The Period of His Earliest Childhood.

٣ - علومة الانسان The Boyhood of Man

٤ - الانسان كعالم أو متعلم Man As A Scholar or Pupil

٥- أهم مجموعات علوم التعليم The Chief Subjects Of Instruction

٦- الصلة بين المدرسة والاسرة وأثر هذا على العلوم التى تعلم

Connection Between The School and The Family and The Subjects of Instruction it Implies.

وقد قسم «فروبل» الفصول السته هذه الى (١٠٥) مائة قسم وخمسة أقسام.

يبدأ «فروبل» مؤلفه هذا بتوضيح تصورة للعلم ولحياه الانسان فى هذا العالم ثم يستأنف كتاباته بتوضيح بعض مبادئة الرئيسية فى التربية محاولاً تأكيد صحتها بناء على تفسيرة لطبيعه الانسان أى أنه يحاول أثبات صحة مبادئة مستنداً على علم النفس وهو فى هذا يتابع تطور نمو الانسان من الطفولة الى الغلومة الى الشباب وأخيراً يتعرض بالتوضيح لتدريس أهم المنهج المدرسى، الا أن وصفة لطرق التعليم فى هذا المؤلف عندما نشر عام ١٨٢٦م لم تكن بالوضوح الكافى وقد أخذ فى توضحيها بجلاً فى وقت لاحق من نشر المؤلف

ولم يحاول «فروبل» اثبات مبادئة الخاصة للكون أو حتى يوضحها بما فية الكفاية ، ولم يحاول اثبات نظريته فى التطور فقد رآها لا تحتاج الى برهان أو دليل لأنها واضحة وسهلة الفهم ، وأنه يمكن تصديقها دون برهان.

يقول «فروبل» فى مطلع مؤلفه «تربية الانسان»

«أن هناك قانون ابدى يكمن ويسيطر على جميع الاشياء أن كل أنسان ذى عقل منكر لابد أن يكون مشبعاً بهذه الفكرة وأنه لا يمكن أن يكون هناك سواها».

ويستطرد «فروبل» فى ايضاح ما يسمية بالقانون الابدى "The Eternal

"Law" المسيطر فيوضح أنة يرتكز بالضرورة على وحدة الهيه تتخلل الاشياء وهى وحدة حية نشيطة يشعر بها الانسان عن طريق التفكير والايمان ولا تخفى علية ابدا ، أما هذه الوحدة المقدسة فهى الا له ذاته الذى تصدر منه وعنه وحدة جميع الاشياء (٢٥).

وتتضح من كتابة «فروبل» فى الاقسام الاولى على الاخص من هذا المؤلف أن كل شئ بالنسبة «لفروبل» ممكن أن يصبح رمزاً يقصد به التعرف على الاله ، وعلى ذلك ففى القسم رقم ٦٩ من المؤلف يتضح أن «فروبل» يرى «الكرة» تمثل الوحدة فى الاشياء المختلفة ، اذ يقول «بما أن القوة Force تولد نفسها وتتمشى فى جميع الاتجاهات بالتساوى وبحرية دون عوائق ، فإن ظاهرها المرئى ونتيجتها المادية هى الكرة» (٢٦).

وفى الأقسام من ٧٠ إلى ٧٢ من المؤلف يتخيل «فروبل» قوى موجهة نحو تنظيم دقائق المادة لتكون أوجه البلورات ويرى فى هذا قدرة إلهية مدهشة. وفى القسم ٧٣ يرى الرقمين ٣ ، ٥ رمزين لهما صلة بالنباتات والأزهار - صلة روحانية وتصل أفكاره فى بعض الأحيان إلى درجة تقرب من الخرافات. ويمكن إعطاء أمثلة كثيرة على هذا النوع من الرموز، توضح أن التجاء «فروبل» لاستخدام الرموز فى كتابة كثيراً ليس له ارتباط بمبادئه. وأن الأسانيد التى يستند إليها كثير منها لايفهم ويصعب تحديد معناه.

وهناك صعوبات أخرى فى مؤلفه واحدة منها تتصل بنظريته فى التطور Theory of Development كما يسميها. أن «فروبل» قد حاول أن يضع نظريته فى تطور الإنسان تحت التنفيذ فى قسم ٥٢ أى أنه حول النظرية النفسية التى أستند فى تفسيره لنمو الإنسان إلى تجربة فعلية، لقد كان رأيه أولا أن النمو أو التطور Development فى الإنسان عندما ينظر إليه من منظور التربية، لايعنى زيادة فى الكم، ولكن زيادة فى تعقيد البناء وزيادة فى القوة

والمهـارة فى الأداء. أى أن الشئ يكون قد نما وتطور عندما تكتمل من أداء عمله الطبيعى أداء كاملا. فمثلا يكتمل نمو العقل عندما تكتمل قوته ومهارته وتنوع أساليبه فى استخدامه للمعرفة وفى توظيف المعرفة لكى تخدم أغراضها الطبيعية.

أما الكيفية التى تتم بواسطتها عملية النمو – نمو الانسان من نطقة الى مخلوق كامل فإن «فروبل» يرجعها الى الاستخدام الوظيفى للاعضاء المختلفة لجسم الكائن فهو يرى أن أهمال أى عضو أو جزء من أجزاء جسم الكائن يؤدى الى اضمحلال العضو والجزء وفى بعض الاحيان قد يؤدى الى اختفاء هذا العضو ، ولا يحدث هذا الاضمحلال فى الفرد فقط ، بل تتوارثه الاجيال بعده مكونه بذلك الظاهره التى تسمى ظاهره التوارث «هكذا فأن استعمال عضو الكائن أو عدم استعماله يؤديان اما الى تقويته وأكتسابه الكمال فى الاداء وأما الى ضموره أو أختفاءه».

ويرى «فروبل» أنه أذا أردنا أن تنمى يد الانسان فلابد من استخدام اليد واذا اردنا تنمية حواسة فلابد من أستخدامها وتدريبها واذا أردنا أن ننمى الانسان الكامل فليدرب الانسان بكل اعضائة وحواسة [٢٧]. وكان يرى أن التدريب ذا الفائدة هو الذى يحدث فى الوقت المناسب الذى يتفق مع الطبيعه ومستوى نمو الانسان.

أن كل أعضاء الكائن ينبغى أن نستثار للنشاط فمثلا ، اذا أردنا أن ننمى الزرعه فعلينا أن نمدها بكل ما يساعد اعضاءها على النشاط فتنشط ذاتيا وتنمو .

وعقل الانسان له ثلاث أنواع من الانشطة هى المعرفة، والشعور، والإدارة، والانشطة التى تنمى العقل ينبغى أن تتفق وهذه الانواع الثلاثة مع تمشيها مع مرحلة نمو العقل وكلما تكاملت النواحى الثلاث من الانشطة فأن العمل

نفسة ينشط بذاته تدريجياً ويوجة نفسه، الامر الذى يؤدى الى نموه ونضجة.

هذه هى أهم أفكار «فروبل» التى ضمنها مؤلفة «تربية الانسان» والتى يسميها هو «القانون الكونى» Universal Law والتى يبنى عليها أساليبة فى التعليم تلك الاساليب المبينه على فكرة التربوى بناء دقيقا ومحكماً لذلك كانت مبادؤه هذه هى التى توجة المعلم باستمرار وهو يؤدى عملة بالمدارس المسماه «رياض الاطفال» والتى أنشأها «فروبل» ومن المبادئ الاخرى الهامه «لفروبل» فى مؤلفة تربية الانسان هو المبدأ القائل بأن الوصول الى الحكمة هو أرقى هدف للانسان To be Wise is The Highest Aim of Man (٢٨). وذلك لكى يعلم الانسان نفسة بنفسة كما يعلم الآخرين ، كما يقول «أن التربية ينبغى أن تقود الانسان للوضوح الخاص به وللسلام مع الطبيعه وللوحدة مع الالة (٢٩).

أما ما يخص حواس الانسان وصلتها بما يتعرف علية الطفل فى طفولته الاولى فإنه يقول أن الطفل يرى العالم الخارجى كخضم من الاشياء الممتزجة غير الواضحة الاشكال ، وكما هو الحال فى المرئيات ، فأن الطفل فى طفولته الاولى تصلة من الوالدين كلمات متداخلة بعضها فى البعض الاخر وتدريجياً التعرف على الكلمات وربط بعضها بالبعض الاخر وربطها بالاشياء المرئية التى تبدأ فى أن تأخذ اشكالاً متفصلة لها كيانها الخاص بها ، وعندما يصل الى هذا الحد يكون الطفل قد وصل الى معرفة نفسة كفرد له كينونته المنفصلة التى تختلف عن جميع الاشياء الاخرى (٣٠). كذلك يقول أن كل طفل منذ ولادته وحتى وفاته يكون نموه العقلى هذا نموا طبيعياً ويحتل تاريخ خلق الدنيا كما تحكى للطفل من الكتب مكانا هامه وذلك لتكوين وحدة الطفل داخلياً وخارجياً أى من العقل والمادة ، فإن الاشياء الخارجية جعلت لها الحواس التى تستقبل الانطباعات عنها وهذا ما يسمية «فروبل» احساسات أو

نشاطا ذاتيا يهدف إلى ادخال المعلومات فى العقل من العالم الخارجى وهناك مبدأ آخر يخص حواس الانسان يناقشة فى القسم ٢٦ من مؤلفة فيقول أن الحواس توصل للانسان حالة الشئ الخارجى كما هى سواء أكانت من السوائل أم الجوامد أم الغازات كما أنها توصل الية - أى للانسان - معرفة ما اذا كان الشئ متحركاً أو ساكنا .

وهناك مبدأ أخر «لفروبل» يرتبط بالحواس وهو ما يسمية «قانون التناقض» Law of Contrast فيقول أن الاشياء تكون أكثر وضوحاً لو أرتبطت بما يناقضها وهذا فيما يخص الحصول على المعرفة ؛ فمثلاً لو ارتبط اللون الابيض باللون الاسود تكون المعرفة اكثر ثبوتاً لأن هناك تناقض Contrast ومع هذا فهناك ارتباط Connection ويرى «فروبل» أن حاسة السمع تكون أول حاسة تنمو لدى الطفل (٣١) . وتتبعها حاسة النظر التى تساعدها حاسة السمع ، ونمو هاتين الحاستين يساعد الوالدين والمسئولين عن تربية الطفل على ربط الاشياء بمسمياتها أى وصل الكلمات بمرادفاتها من الرموز Words and Symbols فتصبح هناك وحدة بين ما يرى الطفل وما يعرفة .

وبنمو حواس الطفل تكون أعضاء جسمة وأطرافة آخذة فى النمو أيضاً ، فالاشياء فى العالم حولة تكون ساكنه أو متحركة والطفل يحاول الامساك بها أولاً بمد ذراعية ثم بمرور الوقت بمحاولة التحرك نحوها للامساك بها ، ومع نمو حواس الطفل تنمو أيضاً أعضاء جسمة نموا متناسقاً مصاحباً لنمو الحواس، ويبدأ فى استخدام اعضائة وأطرافه فيتعلم الجلوس والوقوف أو المشى والجرى ويعتبر الوقوف أهم مرحلة فى نمو الجسم اذ يعلم الطفل كيف يحفظ توازنه، وفى هذا الوقوف يهتم الطفل باستخدام اعضاء جسمة وحواسة ويدرب نفسة على هذا الاستخدام، وهذه هى مرحلة بداية اللعب الذى يكون الطفل فى حاجة اليه ولو على غير علم منه، فيحرك الطفل يدية ورجلية

وأعضاء وجهه وجسمة ، وعندما يحدث هذا تكون مرحلة الطفولة - طفولة الانسان قد بدأت (٣٢).

ويعتبر اللعب Play أهم ظاهره فى نمو الانسان فى مرحلة الطفولة لانه النشاط الذاتى التلقائى الذى يمثل الدوافع الداخلية للانسان ويعتبر «فروبل» اللعب أكثر انشطة الانسان روحانية فى مرحلة الطفولة ، كما أنه يمثل طبيعه الانسان عموماً لذلك فهو يمنح الانسان السعادة والحرية والرضاء والراحة الداخلية والخارجية Inner and Outer Rest ويعتبر «فروبل» أيضاً أن اللعب الذى يؤكد فية الطفل نشاطة الذاتى ويستمر فيه حتى يحل به التعب يعتبران هذا اللعب يجعل من الطفل انسانا متفانياً فى خدمة المجتمع وفى الاعتماد على نفسة (٣٣). ويرى «فروبل» أن اللعب فى الطفولة هو بمثابة استعداد للحياه المقبله وذلك لأن الحياه حياه الرجل (٣٤)- تتكون رواسبها أثناء سنوات الطفولة ، وشخصية الانسان سواء كانت لطيفة أو عنيفة - هادئة أو مضطربة - نشطة أم كسولة، مسالمة أم معادية ... الخ انما ترجع الى عهد الطفولة وأن علاقة الطفل بأبوية وأسرته والمجتمع عامه والبشرية والاله تؤثر فى تكوينه كرجل وكانسان.

ومن المبادئ التى جاء بها فى كتابة تربية الانسان مبدأ الاستمرارية فى التربية Continuity in Education يقول «فروبل» أن نمو الانسان يترتب على التمرينات التى يدرب عليها وقت الحاجة لها والتى تتمشى مع طبيعه الانسان ومع قدرته فى المرحلة المعينه من النمو أى أن لكل مرحلة من النمو قدرات خاصة تتناسب مع التدريبات التى يدرب عليها ، وأن هذه القدرات مستمرة فى النمو فهى تنمو الى مستويات اعلى وفى نواح واتجاهات مختلفة ، وأن التدريبات ينبغى أن تتمشى مع هذا النمو فلا تسبقة ولا تتخلف عنه وأن كل خطوة من خطوات النمو هذه متصلة بما قبلها وبما بعدها أى أن هناك

استمرار دون انقطاع وأن هذا الاستمرار فى النمو والاستمرار فى تصعيد التمرينات الى مستويات اعلى واكثر تنوعاً - هذا الاستمرار هو ما يسمية «فروبل» اتصال Connectedness ويتصل هذا المبدأ برأى «فروبل» أن هناك أتصال بين أنواع المعرفة، اذ أن المعرفة تأتى للطفل كوحدة ، وفيما بعد تجزأ فى المدرسة الى علوم مختلفة.

وتنمو المعرفة عندما تصل اليها الحقائق الجديدة بطريقة سليمة وذلك عندما تنظم المعلومات تنظيماً يوضح الصلة بين المعرفة القديمة والمعلومات الجديدة وعلى ذلك. فأن مهمه المعلم تتلخص فى توضيح المعلومات وربط بعضها بالبعض الاخر حتى يكون هناك استمرار وتتم عملية الاتصال Con-nectedness بين اجزاء المعرفة لدى الانسان (٣٥).

وتقود فكرة الاستمرارية فى التربية الى مشكلة مرحلة الانتقال من الطفولة الى الغلومة التى رآها «فروبل» تقع فى الفتره ما بين سن السادسة والثامنه أو حتى التاسعه من عمر الطفل (٣٦). ويرى أن مرحلة الطفولة فى غالبيتها هى مرحلة نمو يتعرف الطفل أثنائها على نفسه وعلى قدراته وتعبر عما فى ذاته باللعب والنشاط ، وأما مرحلة الغلومة فهى فى غالبيتها مرحلة تعلم بمعنى أنها مرحلة استيعاب وتكون المدرسة هى البيئة التى يتم فيها معظم هذا الاستيعاب.

ففى رسالة للسيدة «برثمان» Bothman كتبها عام ١٨٥٢م يقول «أن ما يهمنا فى روضة الاطفال هو الملاحظة المباشرة التى يستخدم فيها الطفل ذكاءة أو بصيرية Intuition أى يتعلم عن طريق العمل المباشر وربطة بالكلمات ، أما للتعلم عن طريق الانطباع الحسى واعادة الانطباع Perception & Repere-ception أو كما يسميها التعلم الخاص بالمعرفة Congnition فأنه ياتى فى مرحلة لاحقة بمرحلة روضة الاطفال ويقول أن هذا الفرق بين نوعى التعلم فى روضة الاطفال والمدرسة التى يتعلم الغلمان ويمثل الانتقال من مرحلة

الطفولة الى مرحلة الغلومة أى الانتقال من مرحلة التعليم بالملاحظة والتعرف الحسى الى التعلم والتعرف العقلى الذى يمكنه فيما بعد من التجريب.

كما يرى «فروبل» أن نمو الطفل وتفتح قدراته هى مركز العملية التربوية فى مرحلة الطفولة فى روضة الاطفال ، أما فى المدرسة وهو صبى فأن الاهمية تنتقل الى موضوعات الدرس التى تصبح مركزا للاهتمام ويأتى الصبى فى مرتبة ثانية لها (٣٧).

تعاون الاسرة والمدرسة :

يتناول «فروبل» هذه الناحية فى مؤلفه «تربية الانسان» فيقول أن مرحلة نمو الطفل هى التى تحدد النواحى التى تشترك الاسرة والمدرسة معاً فى عملها تجاه تربية الطفل وعلى ذلك فأن حاجات الطفل هى التى تحدد عمل المدرسة وبخاصة بعد مرحلة روضة الاطفال أى عندما يصبح الطفل غلاما ، ويعتبر أن التعرف على حاجات الغلمان لا يمكن الوصول اليه الا عن طريق ملاحظتهم (٣٨).

ومن الملاحظة يتضح أن العالم بالنسبة للصبى يمثل ناحيتين لا تفترقان ، الاولى حاجاته كانسان والثانية حاجاته الروحانية التى يشعر بها داخليا ، وهاتان الناحيتن تتصلان عن طريق اللغه وهكذا فأن الطبيعه ودراستها ثم اللغه ودراستها يمكنان الصبى من أن يتعرف أولاً على نفسة وبكل ما يتصل به أى بطبيعه الانسان وثانياً على الخالق الذى يشعر بأنه فى داخلة وفى داخل كل شئ آخر وثالثاً على الطبيعه والعالم الخارجى كلة كما خلقة ونظمة الخالق.

لذا فإن التعليم ينبغى أن يتخذ الآتى فى الاعتبار :

١ - أحياء النواحى الدينية وتربيتها فى الطفل أو الصبى ، وأحياء شعورة بأنه يعيش فى كنف خالقة ، اذ أن هذا يؤكد له هناك وحدة بين

جميع الاشياء مهما اختلفت ، وهذا يتم بتعليم الدين لتقوية هذه النواحي الدينية.

٢- تربية جسم الطفل أو الصبي عن طريق التمرينات المتدرجة وذلك حتى يصبح الجسم سليماً ، هذا بالاضافة الى تشجيع اللعب ما يسمية «فروبل» التعبير الجسماني الحر المتنوع.

٣- دراسة الطبيعه والعالم الخارجي ابتداء بالقريب من الطفل في بيئة مباشرة وتدرجاً بالتعرف على الا بعد ، ،ويمكن استخدام بعض الاغاني عن الطبيعة في تعليم الطفل عنها .

٤- تعليم اللغه ويكون - أولاً - على هيئة تدريبات مبنية على مشاهده الطبيعه ووصف مايشاهد ثم الانتقال الى الشئون العقلية للتعبير عن التفكير - ثانياً - استخدام القصص والحكايات التي تمزج بين الخيال والحقيقة.

٥- أ - تدريبات يدوية باستخدام خامات مختلفة كالورق الملصوق والورق المقوى والمكعبات وأشغال القش واستخدام المعاجين في تشكيل الاجسام مثل الصلصال.

ب- تدريبات رسم الخطوط الافقية والمسطحات ثم الخطوط الرأسية التي تصنع مع الافقية اشكالاً ذات أجسام (ثلاث أبعاد) .

جـ- تدريب الحواس بملاحظة الالوان في تشابهها واختلافها مع العناية بأخذ الشكل والملمس في الاعتبار وتستخدم الالوان في رسم الاشكال الهندسية المختلفة الالوان والاشكال.

٦- العناية بتكليف الصغار تأدية بعض الواجبات المنزلية مثل شراء بعض الحاجيات، أو القيام ببعض أعمال المنزل، أذ أن مثل هذه الاعمال تعاون على بناء شخصياتهم بناء سليماً [٣٩] .

أغانى للأمهات وللحضانه Songs For Mother and For Nur-:sery

أن مؤلف «فروبل» المسمى أغانى للأمهات وللحضانه «كتب بعد تجربة ثلاث سنوات من التعليم فى رياض الاطفال التى أنشأت فى كل من مدن «بلانكنبرج» B...nberg و «ردلشتات» Rudolstadt «رجيرا» Gera كما كانت تجارية السابقه وراء افكارة فى هذا المؤلف (٤٠).

ففى عام ١٨٤٠م افتتحت أول روضة اطفال فى مدينه «بلانكنبرج» وبعد ثلاث سنوات جمع «فروبل» مجموعه من اغانى الطفولة أضيفت اليها اغانى اخرى فأصبحت محتويات المؤلف المذكور مع بعض الاضافات الاخرى كالصور وغيرها التى تهم الامهات وتفيدهم فى تربية أطفالهن وتدل الرسائل التى بعث بها «فروبل» الى اصدقائة خلال السنوات الثلاث هذه على مدى الجهد والعناية التى بذلها فى جميع تلك الاغانى واستطلاع رأى بعض الامهات فيها.

ولقد كان رأى «فروبل» واضحاً فى الرسالة التى بعث بها الى قريب له عام ١٨٤١م فى الغرض من هذه الاغانى حيث قال فى رسالته أن غرضة هو مساعدة الطفل على استعمال أعضاء جسمة وأطرافه وحراسة كما يساعد عدد الامهات أو من يقوم مقامهن على الشعور بواجبهن تجاه أطفالهن ، ولرفع مستوى هدا الواجب وتلك المسئولية تجاه الاطفال كما يقول اختار عدداً من الاغانى الصغيره والالعاب كما كانت تغن له من خلال حياته الشخصية (٤١)

أن اهتمام «فروبل» بالاغانى المصحوبة بالالعاب للاطفال والتى يشملها مؤلفة توضح أنه جعلها مادة المحاضرات التى كان يلقيها حول نظرياته فى رياض الاطفال وكانت المحاضرات تلقى على مدرسات أثناء اعدادهن للتعليم

فى رياض الاطفال ، وهو يقول أن آراءه فى تعليم الاطفال وفق نظرياته يكمن فى مؤلفة أغانى للامهات وللحضانه «أذ اعتبر نقطة البداية لنظام طبيعى للتربية (تربية الطفل) خلال السنوات الاولى من حياته [٤٢]. ويعطى «فروبل» مثلا من اغنياته وألعابة فى هذا العدد وهو لعبه «مؤشر الجو» Weathercook [٤٣]. ويضيف «فروبل» طريقة اللعبه مبيناً تفاصيلها فى صور فى الكتاب ويقول : أن اللعبه عبارة عن تجميع للاطفال فى فناء المدرسة بحيث يحمل بعضهم اعلاما صغيره من القماش أو مناديل يحركها الهواء وهم ينظرون جميعاً الى راحة يد تمثل «مؤشر الجو» وتحت الصورة توجد عبارة مهداه للأم وتحت العباره غنوه يمكن للأم أن تغنيها للطفل هكذا :

اذا كان طفلك سوف يفهم If Your Child's To Understand

الاشياء التى يعملها الآخرون Things The Other People do

فاجعلى يده الصغيرة .You Must Let His Tiny Hand

تقلد ما يقومون به Garry Out The Same Things Too

وهذا هو السبب This is The Reason Why

فى أنه لا يسكن عن تقليد Never Still, Baby Will

.كل ما حوله Imitate Whatever is By

وهذا الشعر هوتوجية للأم يدلها على ماتفعلة أما الاغنية التى يغنيها الطفل فهى :

مثل الديك (مؤشر الجو) فى أعلى المنزل As The Cock Up On The Tower

الذى يتحرك فى الرياح والزوابع والمطر Turns In Wind and Storm

يمكن الطفل أن يثنى and Shower Baby Can Bend His Hand

يدة ويتعلم and Learn

كيف يسعد من كل حركة يعملها To Get New Joy at Every Turn

ويضيف كيفية ممارسة هذه اللعبه ، فالام تجعل طفلها يمد يدة والراحة مفتوحة ويحركها كما يتحرك «مؤشر الجو» وتغنى الام مع طفلها الاغنية الخاصة به فتكون بهذا قد اعطته دروساً فى الملاحظة وفى اللغه مع أعطائة تدريباً جسمانياً مناسباً لسنه (٤٤).

كذلك فأن الطفل فى هذه اللعبه يشعر بالرياح على يدة ويرى آثارها على الاشياء التى تهب عليه ، فهو يستخدم حواسة فى التعرف على أشياء مختلفة قد يكون تعرفاً أولياً على الرياح والهواء ، كما يشعر بأن هناك قوة تحرك الهواء والرياح ، وهكذا فأنه من خلال مثل هذه الالعاب تنمو مدارك الطفل ومن الاشياء الصغيرة التى يتعلمها تنمو المعارف الكبيرة وتتفتح أمامة.

أن مؤلف أغانى للأمهات وللحضانه موجة أصلاً كما أراده «فروبل» الى الامهات ، لكن لما كانت روضة الاطفال فى نظرة امتدادا للاسرة فأن نفس الاساليب والالعاب الموضوفه فى المؤلف يمكن اتباعها فى تعليم الطفل فى روضة الاطفال.

وتدور معظم الالعاب والاغانى حول الحياه اليومية وما فيها من أنشطة وأحداث فمثلاً هناك أغانى والعاب تخص قص الحشائش فى الحديقة والنجار وعملة وصاحب المتجر والقطة وصغارها وبائع الجرائد وبائعه الخضروات ... الخ أى الاشياء والخدمات والانشطة الخاصة بأحداث كل يوم (٤٥) ، ويهدف «فروبل» أيضاً الى هدف روحانى يمكن الوصول الية بالطفل عن طريق تلك الاغانى والالعاب ، فهو يرى أن الدين يتمثل فى أن تنفذ اراداته فى الحياه التى

أعطاها الله للانسان ومن أجل هذا فأن جميع قدرات الانسان ينبغى أن تنمى القدرات الجسمية والعقلية والروحية ، وأن يتعرف الانسان على طبيعته وعلى قوانين الحياه وأن يلتزم بتلك القوانين.

كذلك فأن هناك هدف أخلاقى يبغية من وراء تلك الالعاب والاغانى وذلك بايقاظ الطفل عن طريق الغناء والعب، ايقاظ وجدانه وعقلة عن طريق حواسة وأعضاء جسمة، فباللعب والغناء يمكنه التغلب على رغباته ويؤجل ظهور غرائزة الدنيا Lower Appetites أن تنمية شعورة بالجمال وبخاصة جمال الطبيعه مه حوية بالاغانى والموسيقى والالعاب لها أثر تهذيبى كبير(٤٦).

منهـــاج الدراســـة :

أن منهاج الدراسة الذى يقترحة «فروبل» لأطفال الروضة يتلخص فى الرسم والتلوين وثنى الورق وقصة ولصقة فى أشكال زخرفية ثم عمل نماذج مجسمة من الصلصال ثم الاشغال التى تستخدم فيها القش والحبال والخرز، وبالاضافة الى ذلك التمرينات التى يمكن للاطفال أن يتدربوا عليها باستخدام الهدايا المختلفة التى ندرب حواسهم من حيث التفريق بين الالوان والاسطح والملمس وغير ذلك وفى مؤلفة «تربية الانسان» يتضح أن دراسة مشاهد الطبيعه تمثل مركزاً مرموقاً فى منهاج الدراسة فى كل روضة الاطفال والمدرسة ويقصد بالمدرسة المرحلة التى تلى روضة الاطفال.

ففى الاقسام ٩١،٧٥ من مؤلفة «تربية الانسان» يصف «فروبل» كيف أن دراسة النباتات والحيوانات بأشكالها وطباعها وحياتها عامه تعتبر من أهم الانشطة فى روضة الاطفال لا يقصد بها جمع معلومات ودراسة منتظمة بل أن الغرض منها الناحية الجمالية والاخلاقية التى يجب أن تنمى فى الاطفال.

وفى مرحلة الانتقال من الروضة الى المدرسة يمكن أن تكون دراسة

الطبيعه على مستوى أعلى يزداد ارتفاعا فى المدرسة وتكون الدراسة أجدى اذا اشترك المعلم والتلميذ معا فى التعرف على قوانين الطبيعه وأوصاف النبات والحيوان بطريقة أدق وفى القسم ٦٤ من مؤلف «تربية الانسان» يقول أنه ينبغى أن يمضى الغلمان كل وقتهم فى الغابات والحقول حتى يشعروا بجمال الطبيعه وتتأثر قلوبهم بهذا الجمال ، فواجبنا هو مساعدتهم على أن تتفتح أعينهم ويستثار أهتمامهم فى دراسة كل مظاهر الطبيعه من أحياء وجماد ، ومن الطبيعى أن تكون دراسة الكائنات الحية من نبات وحيوان فى بيئتهم هى ما يبدأون به ، لكن لا يمنع هذا من دراسة الكائنات الاخرى غير الموجودة فى بيئتهم ، فأن ذلك يوسع مداركهم ، أن التلاميذ فى المدرسة ينبغى أن يساعدوا فى دراستهم وأهم عامل من هذه المساعده هو المعلم المتحمس الذى يشعر معهم وكأنهم مثلهم يكشف الجديد ، وليس هناك من داع أن يكون المعلم عالما على مستوى رفيع بل الاهم أن يكون متجاوبا مع الغلمان يمكنه أن يصل الى مستواهم فى النشاط والحماس.

ويرتفع مستوى دراسة الطبيعه شيئاً فشيئاً حتى يصبح ما نسمية الان بدراسة العلوم The Sciences ، فيدرس التلميذ الحيوان والنبات وقوانين الطبيعه متدرجا فى هذه الدراسة تدرجا طبيعياً ، ثم يأتى تعلم الرسم – رسم ورق الشجر والازهار وغيرها – وتتفرع من دراسة العلوم أيضا دراسة اللغه كتابة وقراءه ، وقصصا مستوحاه من حياه النباتات والحيوانات ، ويتبع ذلك دراسة الادب ثم الجغرافيا الطبيعيه التى تأخذ فى الاعتبار توزيع الكائنات الحيه بما فيها الانسان على البيئات المختلفة ، ثم يلى ذلك دراسة التاريخ ، ويلية دراسة العلوم الطبيعيه وأثر الطبيعه على الحيوان والنبات وبخاصة حاجة تلك الكائنات للماء والهواء والضوء ، ويلى ذلك الهندسة الشكلية والقياس والعد أى الحساب والجبر ، وكل هذه العلوم يمكن ربطها بمميزات النبات والحيوان التى تدرس عن طريق الملاحظة ولابد من دراسة علم وظائف الاعضاء وعلم الصحة ،

ويعود «فروبل» فيكرر أن كل هذه العلوم تنبع من دراسة الطبيعه على وجة الخصوص ، وبالتالى فإنها أداه لتجميع معلمى العلوم المختلفة بالمدرسة (٤٧).

الهـدايــا والاشـغـــال :

أن فكرة «فـروبل» (٤٨) عن رياض الاطفـال التى ابتـعـهـا وأولاها عناية ورعايته تعتمد على ثلاث حقائق وهى :

١- نمو القوى العقلية والجسمية والنفسية.

٢- الحصول على المعرفة.

٣- الوصول الى المهارة فى العمل وبخاصة عند تطبيق المعرفة على العمل (٤٩).

فلقد رأى «فروبل» أن يوجة كل عناية الى تربية حواس الطفل التى هى ابواب العقل ، اذ تصل منها المعلومات وهى الوسيط بين الكون الى يعيش فية، فالهدايا التى أعدها «فروبل» للاطفال تدرب حواسهم على استقبال المعرفة وتناسب الصغار الذين هم من الثانية أو الثالثة من العمر ومنها ما هو مناسب لمن كانوا بين الثالثة والخامسة ومنها ما يفيد من هم أكبر سناً (٥٠).

فى رسالة للآنسة «هاو» Miss Howe كتبها «فروبل» من «كيلهاو» عام ١٨٤٧م يصف فيها نظامة فى التعليم ووسائلة ومخططة لكلية المعلمين يدون فيها مذهبة ، فيقول «ولكن مثل هذا المناخ الذى وضعته للتدريب والاشغال الخاصة بالاطفال التى تتمشى مع قوانين النمو وقوانين الحياه ، فإنه لابد من وجود الوسط الذى يساعد على التعبير ويكون فى صورة خامات تتناسب مع الاشغال والالعاب التى تتفق وطبيعه الطفل ، وعلى ذلك فلأجل التغلب على هذا فأنى قد صممت سلسلة من أدوات اللعب وخاماته وسميتها سلسلة كاملة من الهدايا للعب "A Complete Series Of Gifts For Play" . وتعتبر

هدايا «فروبل» التى سماها فيما بعد هدايا واشغال Gifts For Occupations جزاء فى طريقته فى التربية.

كان يرى أن الطفل الصغير يمكن أن يعطى كرة مصنوعه من الصوف ذات لون واحد من الالوان الاولية (أحمر - أخضر - أزرق - أصفر) وذلك ليلعب بها

وأن الطفل عندما يمسك بها وتقع منه ، ثم يتشبث بها ، أن هذه الحركات تقوى عنده حاسة اللمس والعضلات والمفاصل وتعطية السعادةالتى تنتج من اللعب والحركة وتكرار قذف الكرة واسترجاعها ، وفى نفس الوقت يمكن للأم أو للمعلمة أن تربط بين حركة الكرة فى اتجاه معين والكلمة المرادفه للاتجاه وذلك بقول الكلمة مع حركة الكرة مثل «يمين - شمال - أعلا - أسفل ... الخ» وهكذا يصبح الطفل قادراً على الملاحظة بالحواس وقادراً عل التعبير بالكلمات عما يلاحظة [٥١]

أما الهدايا التى يصفها «فروبل» والتى يقصد بها تدريب حواس الطفل المختلفة وعضلاته وتعليمة فهى :

الهدية الاولى :

تتطلب طبيعه الانسان أن تكون كل حركة من حركاته سواء أكانت جسمية أو عقلية ذات اتصال وارتباط بشئ من العالم الخارجى، فاذا انعدم هذا الشئ أو لم يوجد فأن الفرد يجد فى عالم الخيال والاوهام ما يعوضة عنه، ولا شك أن ارتباط الانسان بأشياء مادية محسوسة خير من تعلقة بالاوهام والخيالات [٥٢] . «والطفل فى مسيس الحاجة الى أشياء مادية حولة يعبر فيهاوبها عن أحساسة وأفكارها وأن يكون فيها مجال لنشاطه الجسمى والعقلى ويشترط فى هذة الاشياء المادية أن ترضى حاجات الطفل [٥٣]. فيجب اذن أن يكون أساس اختيار هذه الحاجات تتفق مع طبيعته [٥٤] .

أن أفضل شئ عند الطفل هو الكرة فالهدية الاولى تتكون من صندوق به سته كرات لينه من الصوف ذات الوان مختلفة ثلاثة منها تبين الالوان الثلاثة الاصلية وهى الاحمر والاصفر والازرق والثلاث الاخر تبين الالوان الفرعية، أو المركبة، وهى البرتقالى والاخضر والبنفسجى ويتعرف الطفل على واحدة منها لانها تشبة التى كان يلعب بها فى أول الامر قبل اعطائة صندوق الكرات.

وطريقة استعمال هذه اللعبه هى أن تؤخذ كرة زاهيه اللون كأن تكون صفراء أو حمراء وتعلق بخيط فى أعلى سرير الرضيع بحيث يسهل علية التمتع بالنظر اليها حتى يحيط نظرة بنوع شكلها ،ويلاحظ أنه بعد مضى يومين أو ثلاثة واعتيادة النظر اليها تقل رغبته فيها وعند ذلك تعطى له فى يدية وتنبة عواطفه بتحريكها أمامه ، وتصحب الام هذه الحركات بألفاظها ونغماتها، ورغم أن الطفل لم يصل الى الحد الذى يمكنه فهم هذه الالفاظ وتمييزها يظهر علية التأثير بسماع صوتها ونغماتها.

ويأخذ فى الابتسام والهتاف ... الخ (٥٥) يرى الطفل الكرة وهى ساكنه ولبساطة شكلها وسهولة تحركها ، فأن الطفل فى أول عهده بها يخيل الية انها من الاشياء الحية وعندما يكبر قليلاً يتخيل انها العصفورة والقط والكلب والديك وغير ذلك من الأشياء التى تجرى وتتحرك وكلما تقدم فى السن ازداد خيالها، وعندما يذهب الى روضة الاطفال يشترك وغيرة فى اللعب بالكرة ويمد زميلة بأفكارة حتى تتسع بذلك دائرة مخيلتهم وتدعم المعلمة هذا التخيل بأن تقص عليهم حكايات عن عصفور أو نحرة ومن الاشياء التى تشبة فى نظرهم الكرة التى معهم فيحرك كل كرته متنقلاً بها من جهه الى أخرى كما يفعل العصفور فى انتقالة من عش الى آخر وهكذا .

أما طريقة تثبيت تلك الالوان فى عقول الاطفال ومعرفة اسمائها هى أن

تسرع المعلمة اولاً فى تعليم أطفالها لونا واحدا كالأحمر مثلاً ، ومتى عرفوا أسمة سألتهم عن الاشياء الحمراء فى الحجرة بشرط أن يكون بها كثير من الاشياء أعد لهذا الغرض ، فيفرح الاطفال ويقومون من مقاعدهم للاشارة اليها ، ثم تتخذ المعلمة نفس الطريقة لباقى الالوان ، وبذلك يتمكن الاطفال من معرفة جميع الالوان التى يرونها (٥٦). والغرض من هذه الهدية هو تكرار الحركات الاولى التى كان يقوم بها بالكرة الواحدة ، وفى هذا تدريب أوثق لحواسة وبخاصة حاسة النظر لم المشاهده خصوصاً اذا كان هناك عدد من الاطفال كل منهم يلعب بالكور الخاصة بصندوقه ، كما أن الكور الكثيره توحى بالعاب مختلفة ويعتبر «فروبل» أن الكرة هى لعبه مفضله عند الانسان سواء كان ذلك داخل المبنى أو خارجة وسواء كان صغيراً أو رجلاً يافعاً (٥٧).

الهدية الثانية :

أكتسب الطفل من كثرة لعبه بالكرة وغيرها من الاشياء التى أعطيت له فى الاشهر الاولى من عمره ما آثار تفكيرة من المعرفة البسيطة وأهلة لقبول معلومات أرقى حتى اذا بلغ الشهر التاسع أو الحادى عشر ، ازدادت معارفة باعطائة أشياء ذات صفات جديدة لم تعط له من قبل علاوة على الصفات التى لوحظت فى اللعبة الاولى (٥٨). فقد دلت الشواهد على أن الطفل يحس باللذة والسرور عندما يجد لعبه جديد تشابة لعبته السابقة أو تختلف تماما عنها، والشئ الذى يشبة الكرة ويختلف عنها هو هذه الكرة الكبيرة فى أن استدارتها كاملة وأنها اثقل وزناً وأكثر اتزاناً فى حركتها وتحتاج الى بذل مجهود اكبر لركلها والى مهاره أكبر فى توجيهها ، هذه الصفات تجعل من اللعبه الثانية الكرة الكبيرة مرحلة تالية فى سلم نمو الطفل وهذا الاختيار يتفق مع طبيعه الطفل ومع قوانين الطبيعه ، اذا أنها تهيئ الوسائل الصادقة للنمو

والعدل لطبيعته ونموه ، فالكرة الكبيرة بحركاتها تدرب جسم الطفل وأطرافة ويراعى فى كل لعبه يلعبها الطفل أن الكلمات والالفاظ والاغانى التى تصاحب الهدية يجب أن تكون مناسبة مع سنه وادراكة بحيث تؤتى ثمارها وتسهل عملية التقدم نحو نمو متزن من كل النواحى، وكلمات الاغانى يمكن أن تكون الدعامه الاولى للعلاقة بين الهدية وحياه الطفل ، بل أن هذه الاصوات من شأنها أن تعمل على تنمية القدرة العامه للسمع وهى فى نفس الوقت عامل قوى فى تعلم اللغه القومية والقدرة على الكلام [٥٩].

والهدية الثانية تتكون من صندوق يحتوى على ثلاثة أجسام مصنوعه من الخشى الصلب هى كرة ومكعب واسطوانه ، ولوأنه أضاف فيما بعد قمعاً من الخشب فى ارتفاع الاسطوانه وعلى قاعده مماثلة فى المساحة ويعتبر القمع صله بين الاسطوانه والمكعب فيـة الدائرة والزاوية والسطح [٦٠]. ويقول «فروبل» أن الطفل يعطى الكرة أولاً فهو يعرف شكل الكرة من الهدية الاولى، لكنه يميز هذه بكبر الحجم والثقل والملمس المغاير ثم الصوت الذى تحدثة عند وقوعها على الارض كل هذا يلحظة الطفل بحواسة ثم يعطى المكعب فيجدة مختلفا فى الشكل عن الكرة فيتعرف على الاسطح والزوايا ويفرق بين حركة الكرة على الارض (الدحرجة) وبين حركة المكعب على الارض أيضاً (الانزلاق) وعندما يعطى الاسطوانه يتعرف على أوجة الشبة بينها وبين الكرة والمكعب، فهى تجمع بين الاستداره والسطح بين الدحرجة والانزلاق ، ويمثل القمع الدحرجة والانزلاق معاً بالرغم من كونه يشمل زاوية وهكذا فأن الطفل يمكن أن يساعد على تشبية الكرة بالبرتقاله مثلاً ، والمكعب بالصندوق الذى يحوى الملابس والاسطوانه بالشمعه ... الخ ويتعلم أيضاً عن طريق التمارين المختلفة بهذه الاجسام شيئاً عن الحجم والشكل والحركة والنسبية الخاصة بالحجم هذا بالاضافة الى المزيد من المعرفة باللون [٦١].

وطريقة استخدام الهدية الثانية هى

أولاً : توضع الكرة على (صحن صغير) ويحرك الصحن برفع جانبة وخفضة وباستمرار هذه الحركة تدور الكرة على نفسها وسط الصحن فيشتاق الطفل بعد رؤية هذه الحركة التى وقفها وحب استطلاعه الى أمساك الكرة وحسمها بيدة ليتم له فحصها وعند تناولة الكرة بقربها من فمه ويختبرها بلسانه الذى هو من أعضاء اللمس وبه يعرف حواص صفاتها كالملامسة والصلابة ، ولز يادة توضيح هذه الصفات الجديدة تعطى له كرة أخرى مختلفة الماده ، ومتى عرف الطفل الكرتين الخشبية والصوفيه وعرف صفاتهما كان ذلك ممهيداً لضبط معارفة الحديثة (٦٢)

ثانياً : يوضع المكعب أمام الطفل وتجلس أمه بحواره وتمسك بأصابعه وتجعله يتحسس سطح المكعب وهى فى نفس الوقت تترنم بكلمات لابد أن تشمل على الفاظ معينه كالشكل والسطح وبعد ذلك تجعل الطفل يدفع المكعب بأصبعه فلا يتحرك ؛ ويكرر المحاولة مرة ثانية وثالثة حتى يستطيع أن يحرك المكعب بقوة الدفعه ، وتترنم الام بالفاظ تنبئ أن قوة الدفعه هى التى حركت المكعب ، وفى هذه اللحظة يستطيع الطفل أن يلم ببعض الحقائق عن المكعب ، وجودة على سطح اكبر منه ، وزن المكعب يعارض الدفعه البسيطة ، المجهود الكبير يحرك المكعب الثقيل الوزن نسبياً ، ويمكن للطفل أن يلم ببعض الحقائق الاولية عن الثبات والحركة بمجهود قليل بأن يثبت المكعب على أحد زواياه ويضع اصبعه عل الحافة المقابله ، ولا شك أن أقل مجهودة سيحرك المكعب حركة دائرية سريعه سهلة ، كما أن توجية نظر الطفل الى شكل المكعب يمكن أن يتم بأن تخفى الام المكعب وتظهر على وجهها علامات الدهشة والتساؤل ، لم تظهره بعد ذلك ، ومن هذا يستنتج الطفل أن المكعب حيزا مكانيا خاصا به ، ولاعطاء الطفل فكرة عن

التفاصيل، فإنها تتضح اذا أظهرت الام سطحاً واحدا ويستحسن أن تقول واحد، ثم تظهر سطحين وتقول بنغمة غير النغمة السابقة اثنين وهكذا ، ومن الافضل أن ينقر الطفل بأصبعه على كل سطح حتى يعرف بذلك ان للمكعب ستة أوجه وبعد ذلك تستخدم الكرة الكبيرة والمكعب سوياً فى اللعب (٦٣). ويمكن تكرار هذه اللعبه باشياء اخرى مشابهه، وهذا التكرار يزيد الطفل انتابها الى الاشياء ويقرب فى ذهنه علاقة ورابطة بين جميع المخلوقات فى الصفات (٦٤).

ثالثاً : الاسطوانه هى وسط بين طرفين جمعت بين ميل الكرة للحركة وثبات المكعب فى موضوعه وبين استدارة الكرة وانبساط أوجة المكعب وتمرينات الاسطوانه فى تمرينات الكرة نفسها ويمكن مقارنتها بأشكال كثيره الاستعمال اليومى ، وبعد أن يعرف الطفل الاسطوانه معرفة تامة يمكن وضع الاشياء الثلاثة أمامه دفعه واحده يرى الرابطة بينهم ، وتزداد ملاحظاته ثم يبدأ بوضع بعضها فوق بعض كى تقوى فيه البحث والاختراع عن خير طريقة للتركيب وبذلك تتربى فية ملكة التفكير (٦٥).

والغرض من هذه الهدية أن يدرك الطفل عن طريق الرؤية كل هذا التباين حتى تتربى فيه ملكة ادراك الاشياء وفهمهما ، يعتاد تدقيق النظر عند التطلع الى المناظر الطبيعيه وكما يحوية هذا الكون من العجائب ، وفى هذه المرحلة من حياة الطفل تكون لدية الاصوات ذات أهمية عظيمة لضرورة تعود أعضاء السمع والكلام التى تأخذ فى التقدم كل يوم ، ومن ذلك نرى أهمية اقتران هذه اللعبة بالكلام بأن تحدث الام طفلها عن الشئ الذى بيدة موجهه اليه بعض الاسئلة مثل ماذا تفعل الكرة الخشبية؟ فيرد الطفل قائلاً أنها تتدحرج ، ثم تسأله ماذا تفعل الكرة الآن ، يرد أنها ترتفع أو تنخفض ، وقد يجيب الطفل الصغير على مثل هذه الاسئلة بالاشارات التى توضح للوالدة ما يقصدة ، وقد

تكون هذه الاشارات صحيحة أو مخلوطة بالخطأ فى التعبير ، وبما أن الغرض من ذلك تربية القوة الناطقة فيجب قيادة الطفل الى ما هو واضح صحيح ، والواجب ملاحظة المدركات أولاً (فوق - تحت .... الخ) وصحة التعبير عنها ثانياً ، ولذلك يجب المبالغه فى العناية بملاحظة هذه الاشارات الاولية التى تعين الطفل على التقدم فى اللغه والذكاء (٦٦).

ويؤكد فروبل «أن هذه العب قد ثبتت صلاحيتها بترتيبها ، وقد أثمر استخدامها ثمرات ما كانت تظهر لو لم تستخدم هذه الهدايا ، وبذلك اطمأن بعد طول بحث اذ وجد الوسائل الصحيحة للتربية فى الطفولة المبكرة (٦٧).

الهديــة الثالثــة :

يلاحظ أنه متى بلغ الطفل الثانية من عمرة لا يكفى امساكة أى لعبه فى يده وابقاؤها على حالتها بل يأخذ فى فكها الى أجزاء مختلفة لكى يقف على حقيقة امرها وكيفية تكوينها ، وهذا أثر فطرة كامنه فية ، وهى فطرة الفحص والاستقصاء، حتى ظهرت هذه الفطرة تبعتها فى الظهور ظاهره فطرية أخرى هى مضادة لها تحثه على جمع الاجزاء واعادتها الى حالتها الاصلية وهذه فطرة التكوين فعلى المربين أن يعنوا بتنشيط هذه الفطرة وارشادها بأن يمد الطفل بالاشياء التى يسهل علية فكها أو تجزئتها ثم أعادتها الى ماكانت علية بدون ضرر والتى تستعمل فى تكوين شئ صحيح كامل (٦٨).

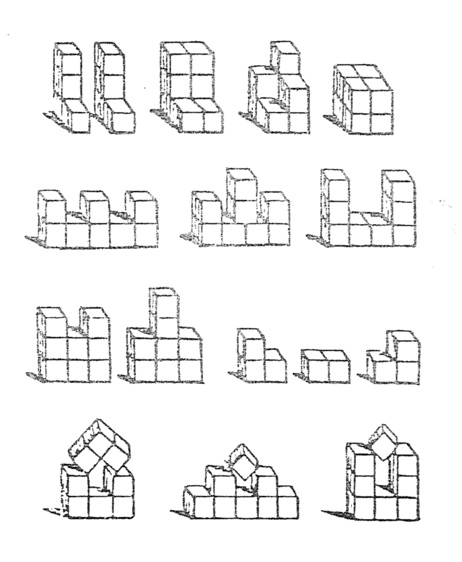
والهدية الثالثة عبارة عن مكعب كبير من الخشب مقسم الى ثمان مكعبات صغيرة متساوية الحجم ، ويعطى الطفل المكعب الكبير (وقد تعرف على شكل المكعب من قبل) ويلفت نظرة الى العلاقة بين المكعبات الصغيرة كاجزاء وبين المكعب ككل من حيث الشكل والحجم وذلك لكى يتعرف الطفل على الظاهرة الخاصة بأن الشئ ككل مكون من اجزاء وبخاصة عند ما يدرب الطفل على حل المكعب الكبير ثم بنائة ثانية من أجزائة وينصح

«فروبل» بأن يدرب الطفل على النظام واستخدام الاشياء دون الاضرار بها ، كما يدرب على بناء أشكال هندسية مستخدما المكعبات جميعها واذا بنى شكلاً فأنه ينبغى أن يكون منسقاً Symmetrical (٦٩) .

وطريقة استخدام هذه الهدية هى أن تقلب الام الصندوق المحتوى على المكعب الكبير على غطائة وتسحب الغطاء من تحته ثم ترفع الصندوق برفق كى يرى الطفل المكعب الصحيح أمامه ، ولكنه عند النظرة الثانية يدرك أنه مؤلف من أجزاء وأنه قابل للتقسيم ، فيأخذ فى تقسيمة بطرق مختلفة حتى يتعرف علية وعلى عدده ويدرك الصفة الجديدة التى تميز هذا المكعب من الذى سبقة فى الهدية الثانية الا وهى قبولة للقسمة ، ويدرك الطفل أن المكعب الكبير يتكون من أتخاذ الاجزاء وانسجامها وهو هنا يميز بين الشكل والحجم ، والطفل فى هذا اللعب البسيط يلم بالافكار الاساسية للكل والجزء للشكل والحجم ، ويعمل على تأكيد هذه الافكار أوجة التشابه والتضاد ويلم الطفل بفكرة واضحة عن التنظيم والترتيب ، فهو يرى مكعبا فوق مكعب آخر تحت ويجد مكعباً أمام وآخر وراء وهكذا ، فإن هذه الحقائق تمد الطفل بسلسلة متتابعه من نواحى الادراك تتناسب مع تقدم نموة (٧٠) . وبعد ذلك يبدأ الطفل فى تأليف شئ بسيط منقول عن الاشياء التى تحيط به سواء كان هذا الشئ أمامه فى ذاك الوقت أو مما يتذكرة فينشئ مرة كرسياً أو منضدة ... الخ (الشكل رقم ٤ يوضح النماذج التى يمكن للطفل تنفيذها بالهدية الثالثة) ومن شروط استعمالة هذه اللعبة أن تستعمل المكعبات الثمانية جميعها فى كل شكل من الاشكال ، كى يثبت فى ذهنه أهمية كل جزء من أجزاء الواحد الصحيح فى إتمام شئ صحيح آخر (٧١) . ويجب تعريف الطفل ان الواحد الصحيح يمكن تقسيمة الى نصفين كما نفعله فى البرتقالة والتفاحة والرغيف وغيرها ولايقتصر فكر الطفل على قسمة الشئ بطريقة واحدة بل يقسم أمامة الاشياء مرة بالطول وتارة بالعرض ، وكما قسم الواحد الصحيح

الى قسمين متساويين يقسم الى اربعه أقسام بشرط أن يكون السير فى التفهيم بيطئا وموافقاً لادراكة ، فلا يجب الانتقال الى نقطة جديدة قبل فهم الاولى جيدا وفى هذه العملية يراعى أن يتعرف على الاعداد من خلال عد المكعبات وأن يستخدم تفكيرة وملاحظتة وأن يكون نشاطة تلقائياً ما أمكن (٧٢)

وقد يلاحظ أنه عندما يلعب الطفل وحده بهذه المكعبات الثمانية الصغيرة قد يؤلف صورة أو شكلاً لا يشبه شكلا معروفاً له ، ولكنه يكون ذا منزلة كبيرة ومعنى عنده ، وهذا يدل على أن الطفل مطبوع على حب الزخرفة واختراع عمل الاشياء وذلك ما يسمية «فروبل» الاشياء المزخرفة واختراع عمل الاشياء وذلك ما يسمية «فروبل» الاشياء المزخرفة الفنية ، ويمكن اعطاء الطفل نماذج ليكون مثلها اشكالا (كما فى شكل رقم ٤) ويمكن استخدام هذه الهدية للاطفال ما بين الثالثة والسادسة ، ولذا كان استعمالها فى روضة الاطفال مفيداً ومناسبا (٧٣) .



شكل رقم (٤) نموذج لاشكال الهدية الثالثة

الهدية الرابعه :

والهدية الرابعه عبارة عن مكعب كبير مقسم الى ثمان مستطيلات ذات أوجة متوازنه وابعاد غير متساوية (متوازى مستطيلات) تشبة علب الكبريت والطوب الذى يستعمل فى البناء [٧٤] . ولقد لوحظ فى الهدية السابقة أن كل جزء من أجزاء الهدية ليس بينه وبين الكل الا أختلاف فى الحجم ويماثلة فى بقية الصفات الاخرى ، فلقد تميزت الهدية الرابعه بإظهار الابعاد الثلاثة

وهى الطول والعرض والارتفاع(٧٥)، فى كل جزء من أجزاء الهدية ، اذ نجد أن طول كل جزء من هذه الأجزاء ضعف عرضة وأن عرضة ضعف سمكة، فهذا الاختلاف الجديد يكسب هذه اللعبه أهمية غرية جديدة وخاصة عند تأليف الاشكال منها حيث يتمكن الطفل عند أستعمال الاجزاء من زيادة التأمل والمضاهاه فى تكوين الاشكال المناسبة (٧٦) .

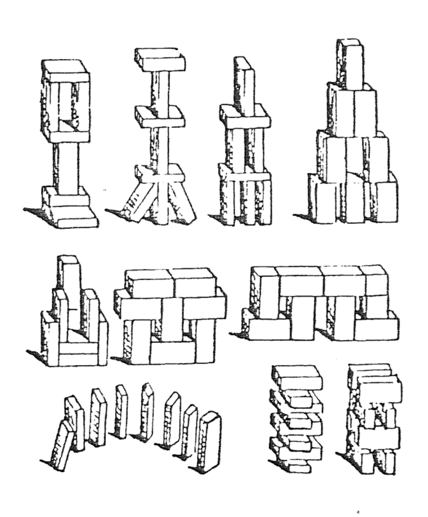
وطريقة استعمال هذه الهدية هى أن تقدم للطفل على شكل واحد صحيح أولا وبعد ملاحظة قبولها القسمة كما فى الهدية السابقة ، يبدأ فى اللعب ومن الواجب أن يطلق على كل عمل يقوم به الطفل اسما ، وقد يكون بناء منزل صغير أو حجرة إو منضدة ، وكلما كثرت وتنوعت أنواع الابنية التى يقيمها زادت خبرته وتنوعت معلوماته واتضحت له قيم الاشياء وفوائدها (٧٧) . ولا يفوت على المربية محادثة الطفل عن هذه الاشياء بأن تغنى له أو تحكى لة قصة فى أثناء اشتغالة ببنائها كى تزيد نشاطا وميلا الى العمل فيتعود التفكير فى كل شئ ويتعلم أثناء اللعب (٧٨) . ويجب على الطفل أن يستغل كل المستطيلات التى تعطى له مهما كان العمل الذى يشيدة بسيطاً والسبب فى ذلك يرجع الى :

١ - الا يعمل الطفل دون تفكير بل يضع خطة العمل أولا ثم يشرع فيه.

٢ - أن يدرك الطفل علاقات وخصائص الشئ الذى يشيدة.

٣ - أن يستمل الطفل كل ما يعطى لة فى الصالح العام ولا يترك شيئاً دون أن يجد له عملاً (٧٩) .

شكل رقم (٥) يوضح عمل نماذج الهدية الرابعه



شكل رقم (٥) نموذج لاشكال الهدية الرابعه

وبهذا تنمى قدرة الطفل على أحسن استخدام لما يحيط بمفهوم فوائدة واستغلالها أحسن استغلال والتعبير عن احساساته الداخلية فى أشياء خارجية ثم القدرة على خلق المعانى والافكار ثم تنفيذها [٨٠]. ومما هو جدير بالذكر أنة يجب على الطفل بعد انتهائة من اللعب أن يجمع الاجزاء فى الصندوق كما كانت ، ولا يفوتنا أن فى كل هذا تدريب لحواس الطفل وأناملة وعقلة معاً.

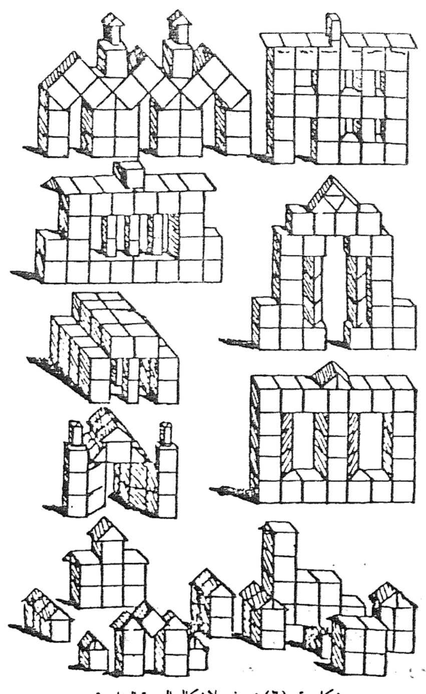
أما عن عمل الاشكال المزخرفة فيجب أن يوجد الوسط الذى يبتدئ منه الطفل أما على منضدة أو على ورق مقوى فيقدم الكل أمام الطفل ثم يؤمر بقسمته الى قسمين متساويين ثم يقسم هذا الى قسمين ايضاً ثم الى قسمين كذلك حتى يحصل على جزء واحد من ثمانية ،وهو القالب الصغير ، ثم يسأل الطفل هل جميع أوجهه متساوية أم أكبرها وما أصغرها وما نسبة تلك الاوجة بعضها الى بعض وتجرى العمليات بالقوالب التى تثبت ما يقال ، بأن يوضع مثلاً مكعبان أحدهما فوق الاخر أو بجانب عرض قالب آخر من الاجزاء التى تتألف منها الهدية كى يثبت الطفل أن العرض ضعف السمك ... وهكذا (٨١).

ولهذه الهدية فائدة كبيرة فى توضيح أبسط العمليات الحسابية الاولية فى الجمع والطرح لأنها تأخذ الاطفال من البسيط الى المركب ، ومن السهل الى الصعب ومن المعلوم الى المجهول ، ومن المحسوس الى المعقول.

الهديـة الخامسـة :

أن كل هدية تعتبر أساساً للهدية التالية ، لذلك فإن هذه الهدية عبارة عن مكعب وقسم كل مسطح من المكعب الى ثلاثة أقسام فيصبح ٢٧ مكعباً والكثرة العددية لا تعنى تطوراً بل يكون فى طريقة استخدام هذه المكعبات.

واستعمال الهدية الخامسة يجب أن يبدأ بادراك وفهم واضح لفكرة الكل المتحدة ولذلك فعندما تقدم هذه الهدية للطفل يجب مساعدته على معرفة الصفات التى تميز الهدية عن غيرها ، وللوصول الى ذلك تبدأ الام أو من ينوب عنها بتوجية نظرة اولاً الى الشكل ككل وهو متحد ومتناسق منسجم الاجزاء ثم الى انصافة مع بيان اجزائها وتنوع اشكالها (٨٢). وقد يكون لهذا التباين أشد التأثير فى نفسة حيث تنبة أفكارة ، وتبعث فيه الشغف بالبحث خصوصاً عند شروعه فى البناء (٨٣). ثم يقسم المكعب الى اربعه اقسام ثم بعد ذلك يستطيع أن يعيدها فيكون منها مكعبا واحداً (والشكل رقم ٦ بين بعض نماذج للبناء).



شكل رقم (٦) نموذج لاشكال الهدية الخامسة

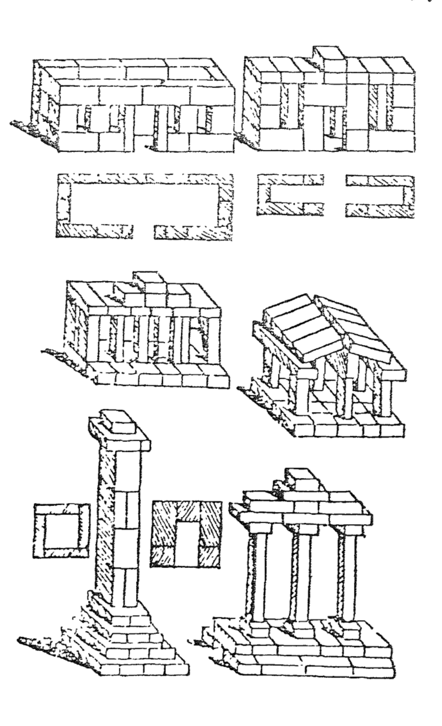
ويعتبر «فروبل» هذه الهدية قيمة جداً بالنسبة للتلاميذ الاكبر سنا فى مرحلة روضة الاطفال ، اذ أن التمرينات فى ترتيب أجزاء هذا المكعب لاحصر لها اذ يمكن أن يبرهنوا بواسطتها على النظرية القائلة بأن المربعات القائمة على ضلعى المثلث قائم الزاوية تساوى فى مجموعها المربع القائم على الضلع

المقابل للزاوية القائمة مثلاً ، كما تستخدم هذه الهدية فى تدريبات هندسية أخرى (٨٤). وعلاوة على ذلك يعرف الطفل معلومات بنفسة عن النصف والربع والفرق بينهما والعلاقة بينهما وبين الواحد الصحيح ويعرف المساحات وكيف تقسم الى أقسام متساوية.

ومن شروط هدايا «فروبل» أن يستخدم كل أجزاء الهدية فى العمل الذى يقوم بة ، ولا يترك سيئاً دون أن يجد له عملاً ، ويبنى الطفل الاشياء الكثيرة المماثلة امامه بالمنزل كالكرسى والمنضدة وغير ذلك ، ثم ينقل منها الى بناء المنزل الذى يسكنه مبيناً فيه كل حجرة على حدة ، ومتى اتسعت أفكارها خرج من هذه الدائرة الى الحديقة ومنها إلى الشارع ومايراه، فالمدرسة التى يذهب إليها أخوته، ثم الحانوت الذى يشترى منه الاشياء ،وهكذا تزداد الأشياء التى يمكنه بناؤها كلما ازدادت معلوماته وتجاربة ، ويكثر اتقانه كلما قو ت ملاحظته وأمدته أمة أو مربيته بالتفسير والحكايات المرتبطة بهذه الاشياء التى ينيها ، وسيجد الطفل المواد الحام أمامة ميسرة أكثر من الهدية السابقة وسيجد لانصاف المكعبات ولأرباعها عملاً يتلأم مع صغر حجمها ، وبذلك يفكر الطفل ويتدبر ليحسن استغلال كل ماعنده وكل ما فى يده وسينجح حتما فى كل تخيلاته (٨٥).

وعند عمل الاشكال المزخرفة يجب أن يبتدئ أولاً من الوسط ينظم الاجزاء حولة لعمل شكل مخصوص ، فيكون مثلثاً أو مربعاً مستديراً ... الخ مما يروق للطفل .

الهدية السادسة



شكل رقم (٧) نموذج لاشكال الهدية السادسة

وهى عبارة عن مكعب كبير من الخشب مقسم الى سبعه وعشرين قسما على شكل كل منها متوازى مستطيلات، منها ثمانية عشر قالباً ، وسته منصفة عرضا وثلاثة منصفة طولاً ، فيكون مجموع هذه الهدية ستة وثلاثين قطعه [٨٦] . وبذلك توجد كتل صغيرة بعضها قائم الزاوية وبعضها على شكل المثلث المتساوى الاضلاع ، ومن المؤكد أن التنوع فى التقسم يتبع تنوعا فى استخدام الاقسام والجزئيات [٨٧] ، وبذلك تتسع دائرة فكر الطفل ويسهل علية استعمال هذه اللعبه طالما عرفها ، لان للقوالب امتداد سطحى متسع يساعد المبانى بها على تغطية فضاء مجوف ، أما الاقسام الطويلة والعريضة فهى تساعد على عمل أرجل الكراسى مثلاً ونوافذ للمنازل كما هو موضح فى شكل رقم (٧) ، ويستفاد من التدريبات بهذه الهدية فى تعلم الهندسة وبخاصة ما يتصل منها بالمسطحات [٨٨] .

الهدية السابعة :

عبارة عن ثمان وأربعين قطعه من الاشكال الهندسية المختلفة المصنوعه من الخشب الرقيق أو الورق المقوى ، وتمثل المربعات والمثلثات بأشكالها المختلفة والمستطيلات ومتوازيات الاضلاع ، كلها ذات الوان مختلفة ، وتحتل الوان قوس قزح والابيض والاسود [٨٩] ويستخدم هذه الهدية فى قص أشكال مماثلة للقطع الهندسية ولصقها فى تشكيلات هندسية هذا بالاضافة الى استخدام القطع نفسها فى هذه التشكيلات .

وطريقة استعمال هذه الهدية أن يعطى الطفل ست قطع منها أولاً وتسعى الام فى تمهيد السبيل الى كشف الصفات الخاصة بهذه المادةالجديدة التى أعطيت له ومقابلتها بأشياء أخرى حائزة على نفس الصفات [٩٠] .

الهديتان الثامنه والتاسعه :

ويمهدان لتعلم الرسم بالخطوط المجردة فالهدية الثامنه تشكل عصيان رفيعه

أما الهدية التاسعة فتشمل حلقات دائرية ونصف دائرية من الخشب[٩١]

وتستخدم الهدية الثامنه بطريقتين رئيسيتين :

الطريقة الاولى : توضع العصا جنباً الى جنب حتى تأخذ اشكالاً مختلفة وتكوينها ونظامها يحتاج الى اعداد مختلفة من العصى ، وهذا اتمرين كاف للعد.

أما الطريقة الثانية : فتحتم تثبيت هذه العصى وربطها فى أشكال معينه وهي حلقات الهدية التاسعه ، فالتثبيت يكون بقطع من الفلين أو الحب المنقوع أو الشمع أو اللب Pith ويكون ربطها بسلك رفيع أو خيط من الصوف ،وقد يستعاض عن العصى بشرائح رفيعه من الخشب يمكن ثنيها وفردها دون أن تتكسر ويتطور العمل بهذه العصى والشرائح الى استخدام قصاصات الورق الملون وهذه يمكن ثنيها وطيها بل وجد لها أيضاً ، ولا تفرض العصى على الطفل فرضاً ولكنها تظهر نتيجة للتطور فى العابة ، فعندما يصل الى المرحلة التى يحس فيها بأنه يستطيع أن يستغل مهارته ونموة العقلى فى أشياء أخرى غير تلك الهدايا التى قدمت له فى هذه الحالة يتحتم علينا أن تقدم له العصى ليجد فى اللعب بها متنفساً لما يحس به ، ومن الخطأ التعجل بتقديم هذه اللعبه له قبل سن الخامسة [٩٢]. ويتميز استخدام العصى بمميزات هامه ، فهى تتطلب من الطفل سيطرة تامة على يدية وخاصة الاصابع (اداة اللمس) وحاسة البصر ثم تتطلب من الطفل فهما واضحا للمقصود بالدائرى والمستقيم ويندرج تحت لفظ المستقيم الفاظ أخرى يجب أن يكون معانيها واضحة فى ذهنه مثل العمودى والرأسى والمائل ، كذلك لفظ مائل يحتم على الطفل أن يعرف اتجاه الميل [٩٣].

ولابد أن يستنتج الطفل بنفسة عن طريق ملاحظته أن قصاصات الورق أو العصى المستعملة عند اتحادها تكون شيئا جديدا ، وحدة جديدة يمكن أن

تحلل الى أجزائها ، ومن هذه الاجزاء يمكن خلق وحدة جديدة وشكل جديد آخر ، ومع تنوع الاشكال ، فالمواد الاساسية المستعملة واحدة ولم تتغير ولم تزد ولم تنقص (٩٤) وهكذا فأن الهدايا تتبع نظاما خاصا فى محتوياتها تتمشى مع النمو الطبيعى للطفل وأفكارة وقدرته على التشكيل والبناء وبخاصة فى الهدايا الخمس الاولى.

اذ أنه ابتداء من الهدية الخامسة يكون الطفل قد انتقل من روضة الاطفال الى المدرسة - مدرسة المرحلة الاولى - وتكون الهدايا الاخرى مناسبة لنموه فى هذه المرحلة.

ويستفاد من كتابات «فروبل» أن الهدايا الاربع الاولى تخدم الطفل فى العابه وأنشطة وتدريباته الى نهاية السنه الرابعه من عمرة كما يمكن التعرف على العالم الخارجى حولة والتعبير عما بداخلة ، أما عن التعبير عما بداحلة فأن «فروبل» يرى أن أشغال الطفل Occupations هى الوسيلة لذلك ، فالهدايا تمدة بالمعلومات عن الخارج ، والاشغال تعبر عما بداخلة بما استفاده من معلومات خارجية أى أن الاشغال تثبت المعلومات التى يحصل عليها الطفل من الهدايا ، لذلك فأن الهدايا والاشغال مرتبطة سويا (٩٥) . وأنه اذا لم يعبر الطفل عما تعلمه من الهدايا بأشغال معينه توضح ذلك ، فأن الهدايا تفقد قيمتها التعليمية ،ويلاحظ أن فى رياض الاطفال حاليا توجد الاشغال المعبره وتتخلص فى الآتى :

أولاً : المواد الصلبة Solids استخدام الصلصال وتشكيلة فى أشكال مختلفة ، أستخدام الورق المقوى رلتية زعمل أشياء منه كالصناديق وأخيراً زخرف الخشب

ثانياً : الأسطح Surfaces ثنى الورق مى اتجاهين وقطعه ولصقة فى زخرفات وأشكال هندسية وبأستحدام الالوان بالفرشة فى الرسم .

ثالثاً : الخطوط والنقاط Lines and Points صناعه الحصير والنسيج فى نول يدوى ، تضفير الورق ، خياطة بسيطة ، اشغال بالشمع ، وبالفلين ، لضم الخرز ، أشغال الابرة البسيطة .

ويلاحظ أن كل الهدايا والاشغال السابقة الذكر تشمل الانشطة المدربة لحواس الطفل ولاسيما حاسة النظر والالوان والاشكال وحاسة اللمس النعومة والخشونه واللمس عموما (٩٦) .

الاطفـال والرسـم :

يعتقد «فروبل» أن الرسم ضرورى لحياه الطفل مثل اللغه ، وفى هذا قال «فروبل» أن كفاءة الرسم فى الطفل والرجل تكون فطرية أو غريزية مثل كفاءة الحديث ، ويتطلب حتما تطويرها وتهذيبها (٩٧) .

أن أساس كل نشاط الطفولة هو الحياه التى استمدها الطفل من اللة سبحانه وتعالى ، هذا هو السر فى أن الطفل يبث الحياه والحيوية فى كل شئ يحيط به ، وأن كل ما يتخيلة الطفل بحقيقة فقد يتخيل أصابع يدية مرة طيوراً لها أجنحة أو يراها سمكة أو يجدها أطفالا لكل منهم اسم خاص به ، ويجد الطفل فى اطرافة وخاصة يدية الادوات التى يستطيع بها أن يعبر عن احساساته ودوافعه الداخلية الى عالم الواقع (٩٨) . وعلى ذلك فأن اتاحة الفرصة للطفل كى يرسم يعتبر من الوسائل الضرورية الفعالة لتعليم الانسان عامه ، ويظهر لنا أن الرسم لا يتطلب نشاطا عاما من الجسم ، ولكن فى الحقيقة هو مران للكائن ككل لأن مسك القلم بين الاصابع يتطلب وضعاً خاصا لليد وهذا الوضع الخاص يستلزم من الذراع أن يكون فى مكان ملائم، ولا تسير ذلك الا اذا كان الجسم كلة قد اتخذ وضعاً مريحا ، ولا بد أن يكون جسم الطفل فى وضع مناسب لأن الجسم والعقل يؤثر كل منهما فى الاخر.

أن الرسم الصادق الحر يتطلب استخداما حرا ماهرا للحواس لا لحاسة البصر فقط ولكن للسمع واللمس أيضاً ، كما أن الرسم يساعد على تقوية وتنمية العضلات الدقيقة لليد ، كذلك يستلزم الرسم روحا منسجمه نامية واحساسا وقدرة عقلية واضحة للادراك والمقارنه والفهم ، وقدرة صحيحة على الحكم والتقدير ، وكذلك تخيل واسع وقدرته على الخلق والابتكار والابداع ، كما أن الرسم يمهد الطريق أمام قوى الطفل وتكوينه ويمد القلب والعقل بنواحي ادراك ممتازه وأفكار رائعه (٩٩).

وعندما يبدأ الطفل الرسم يستحسن أن يبدأ الخط فى الهواء ثم على سطح رملى تظهر علية الآثار واضحة ثم يعطى الطفل بعد ذلك قطعه من الطباشير مع لوح أسود كبيرا وقلما من الرصاص مع ورقة بيضاء كبيرة ، وهنا يبدأ الطفل رسم خطوط منحنيه ثم خطوط مستقيمة طويلة ، وعندما يرسم الطفل خطاً منحنياً أو مستقيما لا يتوقف الامر على مجرد حركة الذراع بل على وعى سابق للطفل لما سيقوم برسمة وعندما يطلب من الطفل رسم الخطوط المستقيمة يجب أن يراعى ضرورة تنوعها بمعنى أن تكون أفقية ورأسية ومائلة ويجب أن يصاحب الرسم وصفاً لما يقوم الطفل بعملة وهذا الوصف يكون فى الفاظ وعبارات تناسب العمل وادراك الطفل.

وتمثل الخطوط التى يرسمها الطفل أشياء مادية فمثلاً اذا رسم دائرة قد يشبهها بالشمس أو القمر أو تفاحة أو كرة ، وبعد ذلك يميل الطفل الى رسم الحياه ، فمثلاً يرسم منزلاً وعندما يصل الى هذه المرحلة يجب أن يكون على دارية بالاتجاهات وخاصة الرأسية والافقية والمائله وعن علاقات الاجزاء بالكل العام وعن الحجم التقريبى أو المساحة التقريبية بالمقارنه بالاشياء (١٠٠).
أن تمرين الطفل للنشاط الابداعى المعبر عن احساسة فى الرسم يعتبر نقطة البداية والمركز الدائم للتربية الصحيحة الكاملة ولذا فأن رياض الاطفال تلجأ الى الرسم فى كل شئ مهما كان تافها (١٠١).

كيفية استخدام ألعاب الحركة :

كان ينظر الى اللعب قديما على أنه مضيعه للوقت ، وأن الاطفال الذين يكثرون من اللعب يشبون رجالا غير جادين فى عملهم ، بل لقد نظر الى لعب الصغار على أنه نوع من الانحراف عن الجدية ، ولو أن الاطفال الان يعيشون فى جو أسعد من ناحية اللعب ، فهم احرار يلعبون اذا ما شعروا رغبة فى اللعب ، أن هذا الوضع يعزى لاسباب كثيرة من أهمها فلسفة «فروبل» فى اللعب ، اذ يعتبر «فروبل» من قبل المربين فيلسوف اللعب فقد لفت النظر أن الوقت الذى يضيعه الاطفال فى اللعب ليس وقتاً مفقوداً اذ عن طريق اللعب ينمو الانسان ككل ، واللعب اذن ليس عملاً لاقيمة له ولكن ذو شأن عميق وهام فى حياة الانسان ويقول «فروبل» أن أهم شئ فى ظاهره اللعب تكمن ليس فى اللعب نفسة بل فى الروح التى تصحبة ، فمن خلال اللعب يضع كل امكاناته للوصول الى هدف معين ، وهكذا فأن اللعب يهيئ عقل الطفل ، ويكون لدى الطفل هدف محدد يضع فيه طاقاته فى أثناء اللعب يتعلم الالتزام ببعض القوانين الخاصة باللعب ، وهكذا يعد نفسة بالالتزام بقوانين الحياه فيما بعد (١٠٢) .

أن بداية استخدام العاب الحركة عندما يرى الطفل الكرة تتحرك بيسر ، وهذا دفعه لكى يتحرك ويمشى والمشى يفيد الطفل بمكنه من التحرك وهو يستطيع الانتقال من مكان لاخر ويمكنه من الحصول على شئ ، ويعود المشى والسيطرة على أطرافه وجسمة كما يتعلم الطفل كيف يوجة نفسة نحو هدف معين ، وعندما يصل الى هدف أو مكان يستحسن أن نسمى هذا الشئ بأسمة ، وبعد ذلك نعطى كل جزء صفته وليس المقصود فقط تنمية القدرة الكلامية ، بل يعطى الطفل معلومات عن الاشياء وخواصها وتأثير ذلك فى نفسه والمعروف أن الكلام يؤدى الى زيادة الطاقة الفعلية ، ولكى نساعد

الطفل منذ البداية فى محاولاته للمشى حتى يحصل على الخبرات يجب أن نمدة بالالعاب التى تدفعه الى ذلك ، فيحاول الوصول اليها أو يدور حولها ، وفى كل مرة يمشى فيها الطفل حتى فى المنزل ولو لمسافة قصيرة يكتسب الطفل خبرات جديدة ويعتبر التجول فى المنزل اكتشافا جديداً بالنسبة له (١٠٣).

ويمكن تلخيص أنواع الالعاب بالنسبة للأطفال :

١ - ألعاب المشى.

٢ - ألعاب التجوال.

٣ - ألعاب الجرى.

٤ - ألعاب التمثيل.

هوامش الفصل

(١) تقع هذه القرية في غابة تورنجيا Thuringia بالمانيا .

(2) Courthorpe, Bowen H. : ***Froebel and Education By Self Activity*, *William Heinemann***, London, 1893, P.P. 6-8.

(3) Eby, Frederick, ***The History and Philosophy of Education Ancient and Medieval***, Prentice Hall LNC., New York, 1935, P. 497.

(4) Courthorpe, Bowen. H,: ***Op. Cit.***, P. 497.

(5) ***Ibid***, P.P. 10, 11.

(6) ***Ibid***, P.P. 12, 13.

(7) ***Ibid***, P.P. 14.

(8) ***Ibid***, P.16.

(٩) هذه الفكرة لابد كانت نتيجة لقراءته كتاب «أميل» «لروسو» اذ كان متأثراً بأفكاره كثيراً.

(10) Courthorpe, Bowen, ***Op. Cit.***, P. 18.

(11) ***Ibid***, P.P. 19, 20.

(12) ***Ibid***, P.P.20, 21.

(١٣) كانت أرملة أخية تمتلك مزرعه في كيلهاو عاش «فروبل» و «ميدندروف» في كوخ حقير وتحملا البرد القارس في الشتاء الا أن زوجة أخية منحتهما كوخاً أفضل في أرض المزرعه، وكان تلاميذ المدرسة قد بلغ عددهم اثنا عشر تلميذا .

(14) Courthorpe, Bowen, *Op. Cit.*, P.P. 20, 21

(15) *Ibid*, P. 25.

(16) *Ibid*, P.P. 28-32.

(17) *Ibid*, P.P. 35, 36.

(18) *Ibid*, P.P. 35, 36.

(19) *Ibid*, P.P. 37, 38.

(٢٠) هذه كلمة يونانية قديمة قالها أرشميدس يوم أن أكتشف قاعدته المعروفة بقاعده ارشميدس الخاصة بالاجسام الطافية

(21) Courthorpe. Bowen, *Op. Cit.*, P.P 39, 40

(22) *Ibid*, P.P. 40, 41.

(23) *Ibid*, P.P. 41, 42

(24) Fletcher, S S F. and Welton, J · ***Froebel's chief Writing on Education***, Edward Arnold & Comp., London, 1912, PP. 1 - 5.

(25) Froebel, Friedrich. ***The Education Of Man***, Trans By W. N. Hailmann, Appleton Comp New York, 1896, Section 1, P P. 1, 2.

(26) *Ibid*, P. 168

(27) Froebel, F., *Op Cit*, Section 9, P P 11, 12

(28) *Ibid*, Section 4, P 4

(29) ***Ibid***, Section 4, P 5.

(30) ***Ibid***, Section 24, P. 40.

(31) ***Ibid***, Section 26, P.P. 46, 47.

(32) ***Ibid***, Section 28, P.P. 47, 48.

(33) ***Ibid***, Section 29, P.P. 50, 51.

(٣٤) هكذا ذكر فروبل وتلك نظرة غير سليمة ، اذ أن اللعب هام بالنسبة لنوعى الجنس البشرى دون تفرقة ، ولعل ذلك خطأ فى النقل عنه ، أو فى الطبع.

(35) Froebel, F., ***Op. Cit***, Section 22, 46, P.P. 27, 96.

(36) ***Ibid***, Section 45, 59, P.P. 94, 138, 139.

(37) Courthorpe, Bowen, ***Op. Cit.***, P.P. 152, 155.

(38) Fletcher, S.S.F. & WElton, J., ***Op. Cit***, P.P. 82, 93.

(39) ***Ibid***, P.P. 83, 85.

(40) Courthorpe, Bowen, H., ***Op. Cit.***, P.P. 63, 64.

(41) Michaelis Emile & Moore Keatley : ***Froebel's Letters On Kindergarten***, Swan Sonnenschein & Co., London, 1891. P.P. 73, 88.

(42) Courthorpe, Bowen, H., ***Op. Cit.***, P.P. 63, 64.

(٤٣) مؤشر الجو عبارة عن شكل على هيئة ديك Cock مصنوعه من معدن خفيف يمكن أن يحركة الهواء – يوضع فى أعلى المنازل على عامود ليبين اتجاه الريح

(44) Courthorpe, Bowen, ***Op. Cit.***, P.P 65, 66.

(45) *Ibid*, P.P. 76, 79

(46) *Ibid*, P. 83

(47) Froebel, F. *Op. Cit*, Ss. 64, 75, 91. P.P. 95, 96, 200, 202, 251

(٤٨، ٤٩) سعد مرسى أحمد أحمد: **فروبل مؤسس رياض الأطفال وفلسفته فى التربية**، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٥٢، ص ١٥٩.

(٥٠) انصاف سرى: **روضة الأطفال للمدارس الأولية**، ط٢، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٩٣٠، ص ٦.

(٥١) هذه الهدايا من أهم مميزات طريقته فى تربية الطفل فى روضة الاطفال وقد استغرق فى التفكير فى شأنها واختراعها خمسة عشر عاما من ١٨٣٥ الى ١٨٥٠.

(51) Courthorpe, Bowen, *Op. Cit.*, P. 136.

(52) Fletcher, S.S.F., *Op. Cit.*, P.P. 171, 172.

(٥٣) سعد مرسى أحمد : **فروبل مؤسس رياض الاطفال ، مرجع سابق** ، ص ١٦٠.

(٥٤) هذا يدفعنا الى دراسة الاشياء التى يقبل عليها الطفل من تلقاء منفسة بدون دافع خارجى فنلاحظ على الاطفال ميلهم الى الاشياء الثقيلة الوزن بدرجة واضحة والى الاشياء غير الحية وهم يحبون الخشب والاحجار ، وقد ترى طفلاً يترك اعبته ليحمل قطعه من الحجر ، وقد تتخذ الطفله الصغير قطعه من الخشب دمية تحتضنها فى حنان بالغ.

(٥٥) من الملاحظ أن الطفل يهتز طربا عند سماعه مناغاه أمة له فصوتها يخاطب احساسات الطفل مباشرة مما يبعث اليه الراحة والهدوء وهذا يؤكد الفكرة التى تنادى بجعل الحواس نقطه البداية ومركز التعليم للاطفال على شرط أن يصاحب ذلك التفكير العمل ، فالتفكير يتحول الى عمل، والعمل يتصح يتحقق فى التفكير ولكن كلا منهما له اساسة فى الاحساس (عن سعد مرسى أحمد فروبل ، مرجع سابق ، ص ١٦٥)

(٥٦) انصاف سرى : مرجع سابق ، ص ص ٧ ، ٨.

(57) Courthorpe, Bowen, *Op. Cit.*, P. 138.

(58) Fletcher, S.S.F., *Op. Cit.*, P.P. 181, 182.

(59) *Ibid*, P. 183.

(60) Fletcher, S.S.F., *Op. Cit.*, P.P. 186, 187.

(61) Fletcher, S.S.F., *Op. Cit.*, P.P. 189 - 190.

(٦٢) أنظر انصاف سرى : مرجع سابق ، ص ١٠ .

(٦٣) المرجع السابق، ص ١٣ .

(٦٤) المرجع السابق ، ص ١٥.

(65) Fletcher, S.S.F., *Op. Cit.*, P.P. 189 - 191.

(٦٦) أنصاف سرى، مرجع سابق ص١٥ .

(٦٧) سعد مرسى أحمد، مرجع سابق، ص ١٧٤ .

(٦٨) أنصاف سرى، مرجع سابق، ص ١٦ ، ١٧ .

(69) Courthorpe, Bowen, *Op. Cit.*, P. 142.

(70) Fletcher, S.S.F., *Op. Cit.*, P. 196.

(٧١) أنظر انصاف سرى : مرجع سابق ، ص ١٧ ، ٢١ .

(72) Courthorpe, Bowen, *Op. Cit.*, P. 142.

(٧٣) أنظر انصاف سرى : مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(74) Courthorpe, Bowen, *Op. Cit.*, P. 142.

(٧٥) أنظر انصاف سرى : مرجع سابق ، ص ٢٧ .

(76) Fletcher, S.S.F., *Op. Cit.*, P. 203.

(77) *Ibid*, P. 207.

(78) *Ibid*, P. 208

(٧٩) أنظر سعد مرسى فروبل ، مرجع سابق ، ص ١٥٨ .

(80) Flretcher, S.S.F., *Op. Cit.*, P. 202.

(٨١) أنظر انصاف سرى : مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(82) Flretcher, S.S.F., *Op. Cit.*, P. 211.

(٨٣) أنظر انصاف سرى : مرجع سابق ، ص ٣٥.

(84) Courthorpe, Bowen, *Op. Cit.*, P. 142.

(85) Fletcher, S.S.F., *Op. Cit.*, P. 112

(٨٦) أنظر انصاف سرى : مرجع سابق ، ص ٤٤ .

(87) Courthorpe, Bowen, *Op. Cit.*, P. 142

(88) *Ibid*, P. 155.

(89) *Ibid* , P. 155

(٩٠) أنظر انصاف سرى : مرجع سابق ، ص ٤٨ .

(91) Courthorpe, Bowen, *Op. Cit.*, P. 143.

(92) Fletcher, S S F , *Op. Cit.*, P. 218

(93) *Ibid*, P 219

(94) ***Ibid***, P. 214.

(95) Courthorpe, Bowen, ***Op. Cit.***, P. 145.

(96) ***Ibid***, P.P. 146 , 147.

(97) Eby, Frederick, ***Op. Cit.***, P. 518.

(98) Fletcher, S.S.F., ***Op. Cit.***, P. 224.

(99) ***Ibid***, P. 226.

(100) ***Ibid***, P.P. 227, 228.

(101) ***Ibid***, P. 230.

(102) Raymont, T.M.A., ***Op. Cit.***, P.P. 300-302.

(١٠٢) أنظر سعد مرسى أحمد : فروبل ، مرجع سابق ، ص ٢٠٥.

الفصل الســادس

الخاتمة

- تحليل آراء المربين فى أستخدام الحواس.
- أوجة التشابة والاختلاف بين ارائهم.
- آثر استخدام الحواس على الممارسات التربوية.

تحليل اراء المربين فى أستخدام الحواس :

كان للاكتشافات العلمية والتقدم العلمى والصناعى آثار على تفكير المفكرين.

فقد أكد «كومنيوس» Comenius على تدريب الحواس ، فالتربية عندة يجب أن تتبع نظام الطبيعه ، فيجب تدريب الحواس أولا وتأكيد لبيان أهمية استخدام الحواس فى أكتساب المعرفة وخصوصاً فى المرحلة الاولى من التعليم المدرسى ألف كتابة الشهير «عالم الصور» Orbis Pictus ويعتبر هذا الكتاب تجسيداً لفكرة «كومينوس» التى فيها بتقديم الاشياء والصور على الالفاظ والكلمات ، كما يؤكد أن العقل لا يمكن أن يحصل على المعلومات الا اذا وصلت الية عن طريق الحواس أولاً ، فلقد استغل «كومنيوس» خاصة الـ صر عن طريق الصورة والكلمة فى جعل تعليم الصغار أيسر وأكثر قبولا واجتذابا للانتباه وتوفيرا للوقت والجهد من جانب الصغار والمعلم .

وجاء «جون لوك» Locke بمبادئة فى هذا الصدد والتى ربطت أسمة بالنظرية المسماه الصفحة البيضاء Tabula Raza ورأى «لوك» أن المعرفة ترجع الى عاملين : الاول : الحواس التى عن طريقها تصل المعرفة الى العقل ، والعامل الثانى : العقل نفسة الذى يتلقى الانطباعات الحسية من الخارج ، أن الانسان يدرك كل شئ من الطبيعه بحواسة [1]. فهو يولد وعقلة يشبة الصفحة البيضاء ، وعندما يبدأ فى الاحساس تنقش علية الانطباعات الحسية المختلفة ويبدأ فى تكوين الافكار وعلى ذلك فالعقل يستمد كل خبراته ومعلوماته من التجربة ، وبها وحدها ، ويقول «لوك» أن مادة العقل هى الفكر Ideas وهى الاساس للقيام بوظيفة غير مترابطة ،وهذه الانطباعات الحسية المنفصلة حين تتطبع فى الذهن فأنه يكون منها أفكارا وصورا ذهنيه متميزة والتى تعتبر بمثابة المادة الاساسية التى تقوم عليها كل معرفة ، وبعد عده

عمليات تحدث فى العقل تتكون الافكار المركبة «ويقول أيضاً : «لو كانت حواس الانسان أربعاً فقط لكان معناه أن أفكارنا ستكون أقل عددا عما هو عليه» [٢]. ومن رأى «لوك» أيضاً أن الانسان لا يمكن استغلال حواسة الطبيعيه بل لابد من أن يتعلم كيف يستخدم هذه الحواس فينبغى أن تدرب تدريباً خاصا.

ومما لاشك فيه أن المفكرين ابتدأ من الحركة الحسية الواقعيه وما بعدها تناولوا عمل الحواس فى حصول الانسان على المعرفة تناولوها بتقديم النظريات والتطبيقات حولها متأثيرين بالتقدم العلمى وبأفكار السابقين وكان أهم هؤلاء المفكرين «جان جاك روسو» الذى ركز الاهتمام على وظيفة الحواس فى تربية الصغار فى كتابه المسمى «أميل» فكان «أميل» أول محاولة لوصف طريقة تربوية تتعلق بالطبيعة ومضمون هذا الكتاب هو امكانية المحافظة على الطبيعه المتكاملة للطفل عن طريق التحكم الدقيق فى تربيته والجو المحيط به ، وبذلك نستطيع أن نحافظ على طبيعه الطفل المجبول عليها ، والكتاب مبنى على التحليل الدقيق للخواص الطبيعيه والنفسية لمختلف المراحل منذ الميلاد الى النضج [٣] لقد كانت آراء «روسو» منهلا عذبا وغنيا فنهل منها كثير من المربين القدامى والمحدثين ، فمن القدامى «بستالوتزى» و «فروبل» و «بزداو» و «هربارت» وغيرهم ومن المحدثين ، فأنه بالرغم من نقدهم لكثير من آرائة فأنهم بلا شك تأثروا بها ومن هؤلاء «جون ديوى» و «منتسورى» و «برأتراند راسل» وغير هؤلاء من مفكرى القرن العشرين واعتبر كتاب «أميل» فى نظر العلماء انجيل التربية والتعليم ، لقد سبق «روسو» عصرة بقرن ونصف قرن تقريباً ، فقد تكهن بكثير من الاراء التى يشعر بصوابها الا اليوم ، جهر بآرائة النفسية التى صارت منهجاً حديثاً فى تهذيب النشئ وتقويم أخلاق المتعلمين، ومحا الكثير من الافكار السيئة التى كانت متأصلة فى طرائق التعليم [٤]. أن ما رصل الية «روسو» من فكر فى عالم التربية هو انقلاب عظيم وبخاصة من

رجل لم ينل حظة من التعليم ، ولم يثقف عقلة ثقافة علمية منظمة ، فقد كان لة من التأثير والنفوذ مالم يكن لغيره من أئمة التربية أمثال «مونتين» Montaigne و «كومنيوس» Commenius و «لوك» Locke وقد يكون ذلك بسبب الاوضاع الاجتماعية والساسية التى كانت سائدة فى اوروبا وبخاصة فى فرنسا فى عصرة ، كما قد يكون ذلك بسبب خروجة عن التفكير التقليدى المألوف.

لقد نادى «روسو» بأرائة المتعددة فى تربية الصغار ، كما أنه نادى بتربية الحواس وتمرين أعضاء البدن فى مرحلة الطفولة المبكرة والمتأخرة ، لأن الطفل فى هذه المرحلة من عمرة يميل الى استعمال حواسة فى التعرف على الاشياء ، ويقول «روسو» أن تمرين الحواس ليس مجرد استعمالها ، بل تدريبها بحيث تكون وسيله صالحة للتميز ، وتمرين الحواس هى أن يتعلم الطفل كيف يحس لأنه لا يعرف القفز وحمل الاثقال، رياضة طبيعيه تكسب الجسم قوة من غير أن يكون لها تأثير فى التميز وعلى ذلك فأن تمرين القوة البدنية لا يكفى بل يجب والغرض من تدريب الحواس عنده ليس الحصول على المعرفة فقط ، لكن تكوين الحكم الشديد وقوة الشعور والادراك والملاحظة ، ولم يقتصر «روسو» على النداء باستعمال الحواس والانتفاع بها ، بل أرشد الى الوسائل التى ينبغى أن تربى بها الحواس وتقوى.

يبدأ «روسو» فى تدريب حواس الطفل منذ اليوم الاول من ميلادة فهو ينصح بعدم ربط الطفل (بالقماط) لأن ذلك يحد من حركته، ويعوق نموة كما يعوق دورته الدموية، كما رأى أنه يجب بسط أطرافه وتحريكها ،وأن يكون مهده واسعا لكى يعطية حرية الحركة، وهذه الحركة مران لأطرافة وعضلات جسمة، يبدأ «روسو» فى تربية حواس الطفل قبل أن يتكلم ويفهم، ففى السنه الاولى تكون ذاكر الطفل والتخيل عنده غير نشيطتين، لا يتتبه

الطفل الا لما يؤثر فعلاً فى حواسة ، والطفل يميل بالفطرة الى لمس الاشياء وتحريكها ، فيجب أن لا نعارض فى ذلك لانه بهذه الوسيلة يتعلم ويتدرب على اللمس ولتقوية حاسة اللمس أيضاً يلمس قطعاً متنوعه من النسيج الناعم أو الخشن صوفية أو حريرية أو قطنية أو تيلية خفيفة وثقيلة يرى الطفل الفرق بينها ، ويمكن أن نكون له مجموعات من بقايا الملابس المتنوعه وندعه يرتبها بحسب نعومتها أو خفتها أو ثقلها وبعد أن ينتهى من ترتيبه نبين له الخطأ فى الحكم كى تتربى عنده قوة الحكم ، ويمكن أيضاً تدريب حاسة اللمس فى الظلام .

أما تدريب حاسة النظر فتكون بتعويد الطفل على رؤية كل جديد ، كما يمكن استخدام الالوان فى معرفتها وتميز الاشياء المرئية فى الحكم على الجميل والقبيح وفى رؤية جمال الطبيعه التى تحيط به ، كما نترك الطفل يعرف الفروق بين الاشياء ويحلل كل شئ بنفسة.

ويمكن تدريب حاسة السمع بسماع الموسيقى والغناء وتغريد الطيور، ويجب أن يترك الطفل ليسمع النغم والاصوات ويميز بينها، كما يجب تعويد الطفل على سماع ضجة الاسلحة وضوضائها ، فعندما يسمع بعد ذلك صوتاً مرعباً لا يخاف منه.

أن الخصائص المحسوسة تكون بالنظر أو باللمس أو بالسمع ويستطيع الطفل مقارنه النظر باللمس حينما يقدر بالعين الاحساس الذى يأتية من اصابعه، ويجب تعويدة أن يتوقع النتيجة الطبيعيه لجميع حركاته وأن يصحح أخطاءه بالتجربة فإذا أراد حمل ثقل فيجب أن يتعلم أولاً بالنظر تقدير الاثقال ويعرف كيف يقارن بين كتل متفاوته الحجم من مادة واحدة، وكتل متساوية من مواد مختلفة، ويعتبر «روسو» أن حاسة اللمس هى أهم الحواس، ويجب تدريب الطفل عليها قبل غيرها ، وذلك لآن عملها لا يقتصر على حالة

اليقظة فقط ، ولكنها حارس فى حالة النوم ، اذ تنبة هذه الحاسة الى ما قد يؤذى لأنها منتشرة على سطح الجسم كله، حاسة اللمس عند فاقدى البصر أقوى وأرهف لأن افتقادهم الى البصر يجعلهم يركزون مشاعرهم فى تلك الحاسة لمعرفة الاشياء والتميز بها، ويرى «روسو» أن تعليم الرسم من الطبيعه يمرن حاسة النظر وكذلك اليد، وينصح «روسو» أن يرسم الاشياء وهى فى:

حالتها الطبيعية ، فالغرض من الرسم أن يعرف الطفل الذى يرسمة ، وفية تدريب حاسة النظر وتربية العين واليد أكثر من تفكيرة فى الرسم والاصطلاحات الفنية الخاصة بة ، ولذا كان لا يسمح «لا ميل» بالرسم الا من الاشياء نفسها فى حالتها الطبيعية ، أما عن حاستى الشم والذوق فلم يتكلم عنهما «روسو».

مما سبق اتضح اهتمام «روسو» البالغ بتنمية وتدريب الحواس منذ الميلاد الى سن الثانية عشرة ، أما التربية العقلية والخلقية فيرى تأجيلها الى ما بعد هذه السن وتكون عن طريق المشاهده والممارسة ، لقد أراد «روسو» بعد أن درب حواس «أميل» - وبعد سن الثانية عشرة - أن يربط بين وظائف اعضائة وعمل ملكاته ، ففى البداية كان رصيد الطفل هو الاحساسات وبعد ذلك فى هذه السن صارت لدية معان وأفكار وقدرات فأصبح يميز ويحكم بالاضافة الى عمل حواسة فى الحصول على المزيد من المعرفة ، وفى هذا الوقت يمكن أن يحصل على المعارف العلمية بنفسه ، ويمكن أن يتدرب على مهنه ويفضل «روسو» النجاره والحداده والزراعة، ويختار الحرفة التى تناسبه بحيث لايجد صعوبة أو مشقة فى تعلمها، لان تربيته الاولى تساعده على ذلك ولذا فأنه سوف يفهم تفاصيل المهنه فى وقت قصير ، فغرض التربية عند «روسو» هو ربط الحياه بالعمل الذى يقوم به الانسان والاثر الذى يتركة ، أن العمل هو الحياه والحياه هى العمل والانتفاع بالاعضاء والحواس والقوى التى وهبها

الله للانسان. والانسان الحي هو الذى يعمل أما عدد السنوات التى يعيشها الانسان فليست مقياساً للحكم علية ، ووظيفة التربية لدى «روسو» أن نزيل كل شئ يقف فى سبيل النهوض بالطبيعه الانسانية ورقيها بمعنى أن تكون التربية وسيلة سلبية تمنع الاشياء التى تعوق نمو الطفل من النواحى العقلية والجسمية والاجتماعية والخلقية (٥).

لقداتهم «روسو» بأنه استعار آراء غيرة ونسبها الى نفسة ، ولكن اذا سلمنا بأنه كان يحاكى غيرة من المربين ويحفظ خططهم ويؤمن بعقيدتهم فيجب ألا يكون هناك اقلال من قدر التفكير فى آراء السابقين وابراز مذاهبهم فى شكل واضح بعد أن اعتراها الغموض وظلت فى طى الكتمان أعواما طويلة، «فلروسو» أعظم الاثر فى توضيح تلك الافكار الغامضة وفى الفكير والتأمل لتسهيل الصعب وشرح المبهم (٦). لقد كان «روسو» متشبعاً بروح «مونتين» فاقتبس بعض آرائه وقرأ الكثير من المؤلفات الضخمة فى علوم التربية وتاريخ الاجتماع فأفادة هذا الاطلاع الواسع فى تدوين مذهبه ،فكان يرى رأى غيرة فلا يستطيع اتباعه ، ولكن بعد أن يتناولة بالتغيير والتبديل مستخدما فى ذلك خيالة القوى الحاد الذى خلق من تلك الافكارر والاراء شكلاً جديداً .، أن «ررسو» يأخذ الفكرة عارية مجردة مهملة فيكسوها ويلبسها لباساً علميا ويظهرها بأحسن صورة (٧).

أن بعض أفكار «روسو» فى تربية الطفل غير واقعية ومبالغ فيها يتنافى الكثير منها مع الصواب والمنطق ، الا أنه بالرغم من ذلك فإن أفكارة لفتت الانظار بشدة نحو طبيعه الطفل ، ومراحل نموة ، وتأكيدة على أهمية استخدام الحواس، أن «لروسو» أخطاء لكن حماسة فى لفت النظر للطفولة وأهميتها جدير بالثناء، فليس من الطبيعى إن طفلا قد تربى فى عزلة عن الاسرة يكون نموذجاً يحتذى حذوه، كذلك فإن المبدأ القائل بأن لا يعلم

الطفل شيئاً فى الاثنتى عشرة سنه الاولى من حياته ، فية مخالفة للآراء التى كانت منتشرة فى عصرة النهضة ، كما أنه خالف «كومنيوس» و «لوك» فقد بالغ «كومنيوس» فى أهمية اتساع رقعه المعرفة لدى الانسان ، وأنه يجب أن يتعلم كل شئ ونادى «لوك» بأهمية تكوين الاخلاق السليمة مصحوبه بالعلم والمعرفة لتكوين الرجل الكامل، وكان «روسو» أول من خالف بشجاعة نادرة ذلك الرأى الشائع ونادى بأعلى صوته بأنه يجب على المربى الا يعلم الطفل شيئاً فى الاثنتى عشرة سنه الاولى من حياته ، ولا شك أن «روسو» كان مبالغاً فى مناداته بعدم تعليم الطفل القراءة والكتابة الى هذه السن أن الذى جعل «روسو» ينادى بعدم تعليم الطفل القراءة والكتابة الى هذه السن ، أن الذى جعل «روسو» ينادى بعدم تعليم الاطفال القراءة فى الصغر اعتقادة أن الحركة واللعب تفيدة من الناحيتين الجسمية والعقلية أكثر من القراءة ، فلماذا لا نعطى الطفل فرصة فى أن يتعلم وأخرى فى أن يتحرك ويلعب ويمرح مدرباً بذلك حواسة وأعضاء جسمة فيجمع بين الفائدتين.

وبالرغم من المتناقضات فى أراء «روسو» كابعاد الطفل عن المجتمع ومبدأ التربية السلبية ، فقد كان المحور الذى يدور حولة من جاء بعده من علماء التربية وفلاسفتها الذين تأثروا بآرائة فقد حذا حذوه فى كثير من خلفة من المربين ، أن النظريات التى نادى بها «روسو» وقيل أن من المحال تطبيقها أصبح من الممكن تطبيقها كالاعتماد على النفس فى التعليم والحرية ، ولاستعانه بالحواس ، فأن كل هذه المبادئ نفذت فى طرق «بستالوتزى» و «فروبل» و «منتسورى» و «دالتون» و «المشروع» و «اللعب» و «دكرولى» وغيرها من الطرق الحديثة فى التربية ، فهو أول من هاجم فساد التربية التقليدية القديمة وبين عيوبها ووضع اساس الحركة العلمية التى تقوم على التجريب وتدريب الحواس والحركة الاجتماعية التى تعتمد على الاهتمام بتعليم الاطفال الصناعه(٨).

لقد قامت بعد «روسو» حركات تربوية واضحة فى القرن التاسع عشر كانت نواتها الحواس ، ووظيفتها ، وكيفيه توصيل المعرفة الى العقل ، ثم صلة الحواس بالعقل وذهب بعضهم الى أن صمم اساليب للتعليم مبنية على فكرة وظيفية الحواس ، ولو أن حركة الواقعيه الحسية الذى كان يمثلها «كومنيوس» كانت مبنية على ابراز أهمية الحواس فى الحصول على المعرفة ، فإن الرأى العام فى أوروبا فى وقته لم يكن متفتحاً بالدرجة التى تنتشر فيها مثل هذه الافكار لقد الف «كومنيوس» كتابة المعروف «المرشد العظيم» وتبعه مؤلفة الشهير «عالم الصور» لتعليم اللغات مستخدماً الصور كوسيلة تعليمية لكن أفكار «كومنيوس» بقيت حبيسة ولم تنتشر أو تقراء الا بعد موته بأكثر من قرن وذلك لان أوروبا كانت ترزخ تحت وطأه آثار حرب الثلاثين سنة وما خلقته من دمار ، لكن الامر لم يكن كذلك عندما ألف «روسو» كتاب «أميل» فلقد كن المجتمع فى حالة من التوتر والترقب قابلاً لكل رأى ثورى وذلك بسبب الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى سادت فى أوروبا وبخاصة فى فرنسا فى تلك الاوقات ، فلما طلع «روسو» على المجتمع بمؤلفة «أميل» ودعوته الى العودة الى الطبيعة فى الحياه وفى تربية الصغار ، وبين أن الطبيعه خيرة من يد خالقها وأنها خير رائد لتربية النشئ، وجد روسو عقولا متشوقة لمعرفة مبادئه واعتناقها وبخاصة فى أوساط الشباب المتعلم وحتى الاميين منهم كانوا يرددون آراءة التى سمعوا عنها ممن قرأوها ، وكان من نتيجة ذلك أن تأثر بة وبمبادئة عدد من المفكرين كونت أفكارهم ما سمى بالحركة النفسية التى بدأت تبنى التربية بأهدافها ووسائلها على الدراسات النفسية ، وكان من أهم الذين برزوا فى هذا المجال فى القرن التاسع عشر «بستالوتزى» و «فروبل» .

قام «بستالوتزى» فى توضيح دور الحواس فى ادراك الاشياء لأنه كان يعتقد أن فكرتنا عن العالم كلة انما تصل الينا عن طريق الحواس ، وبالرغم من أنه لا يمكننا ادراك العالم كلة ادراكاً حسياً ، بل ندرك أجزاء منه توصلنا

الى معرفة طبيعته فقد رأى «بستالوتزى» أن التربية تبدأ من داخل الطفل وأنها عملية تفتح مكوناته الطبيعيه التى تتفتح الى الخارج [٩]. إن أول معرفة يكتسبها الطفل يجب أن تتم عن طريق الحواس ، ففرض «بستالوتزى» أن التربية هى المواءمة مع الحياه وليست أكتساب عادات الطاعه العمياء ، وأنما استعداد للنشاط المستقبل [١٠].

افترض «بستالوتزى» أن هناك قدرة أساسية للعقل تستند اليها كل العمليات العقلية وتمكن الانسان من الحصول على المعرفة المرغوب فيها وعبر عن هذه القدرة بالمصطلح الالمانى Anschauung ، ويقصد بهذا التعبير عن جميع أوجة النشاط الحسى والعقلى الذى يكون مساعدا على تكوين الافكار أو المدركات اذن فهو يعنى كل المراحل التى تمربها الانطباعها الحسية حتى تصبح مدركة فى العقل [١١] لقد كان رأية أن الانطباعات الحسية حين تصل الى العقل من الخارج عن طريق الحواس تكون متداخلة بعضها مع البعض الاخر وتأخذ فى الوضوح تدريجياً متخذة اشكالاً معينه ويكون ذلك عن طريق التأمل ، وعلى ذلك فأن التعليم السليم ينبغى أن يتمشى مع طريقة عمل الحواس والعقل بتدرجها من المحسوس الى المعقول [١٢].

وفى تفسير المبادئ النفسية التى بنى «بستالوتزى» عليها طريقته، فأنه يرى أن أبسط الانطباعات الحسية ليست الا أقل الانطباعات من حيث المستوى فتكون لا شعورية غير واضحة ، ثم تتحول الى انطباعات حسية محددة ، وكلما تأكد الحس تتحول هذه الانطباعات الى صور واضحة يمكن إن تصبح أفكاراً محددة واضحة ، وعن طريق التعليم الصحيح يمكن أن ينقل الطفل من مرحلة استقباله لانطباعات حسية مشوشة وغير واضحة ، الى أن يتمكن من تحديد الاشياء التى تنقلها اليه حواسة ، ثم تميز تلك الاشياء ، ثم تكون الفكرة الواضحة المحددة عنها ، فالتربية الصحيحة تتضمن رفع مستوى قدرة

الملاحظة لدى الطفل من المستوى الحسى اللاشعورى الى المستوى العقلى الشعورى ، ويرى أن المدركات العقلية الواضحة والحقيقية هى التى تتكون عن طريق الحواس وانطباعاتها.

اهتم «بستالوتزى» بالتربية الجسمية ولكنه لم يكتب عنها كثيراً فى مؤلفة «كيف تعلم جرترود أطفالها» الذى يعتبر أهم مؤلفاته التربوية ، ومن رأية أن التربية الجسمية تعنى تدريب المهارات الجسمية والعملية والمهنية وهى مكملة للتربية العقلية وذلك لأن المعرفة وحدها دون المهارة العلمية لا تكفى لاعداد الانسان للقيام بعمله بكفاءة (١٣) . والتربية الجسمية تبدأ بالحركات البسيطة للجسم مثل حمل الاشياء وقذف الاشياء الصغيرة والضغط بالايدى والجذب والالتفاف حول النفس وبعد ذلك يبدأ الطفل فى تناول الاشياء واستخدامها ، وبعد ذلك ينتقل الطفل الى ممارسه حرفته بطريقة سهلة مقبوله ، وفى هذا الانتقال من تدريب الجسم والعضلات المتدرج من البساطة الى الصعوبة تكمن الصلة بين التربية الجسمية ، وتربية الحواس فالعمل الجسمانى ينبغى أن ينفذ بذكاء وتقبل ورضا (١٤) .

ويرى «بستالوتزى» أن التعليم ينبغى أن ينتقل من الضرورى الى الأقل ضرورة وتعليم الاشياء البعيدة لا يعطى الطفل اجابات مجهزة لتساؤلات بل يترك الطفل ليصل الى معرفة ما يريدة عن طريق خبرته الشخصية ونشاطة الذاتى ، ولذلك فأن تدريب حواسة واجب حتى تتقبل الانطباعات الحسية كاملة ، كما لا تستخدم الكلمات والعبارات لتوضيح ما يريد معرفته ، لكن حواسة هى التى ينبغى أن تنشط وتنمو حتى تصبح قادرة على تأدية وظيفتها بطريقة أفضل ويكون للكلمات معنى لدية (١٥) . وكانت طريقة «بستالوتزى» فى تدريس اللغه التى وصل اليها بعد تجارب ومحاولات عديدة هى أن يحلل موضوع الدرس الى ابسط عناصرة ويبدأ بتعليم تلك العناصر مع التدرج فى

تركيبها وذلك عن طريق مشاهده موضوع الدرس للحصول على الانطباعات الحسية الخاصة بالموضوع ، وهكذا يمكن استخدام الكلمات فى وصف الموضوع بدقة ، لان المراحل الاولى لتعليم اللغه تبنى على مبدأ استخدام الكلمات والعبارات لوصف أشياء يشاهدها الطفل فعلاً ، ويكون تعليم اللغه عن طريق المحادثة حول الموضوع المشاهد [١٦] . والمحادثة يجب أن تسبق قواعد اللغه والقراءة والهجاء والكتابه ، وابسط عناصر تعليم اللغه يتمثل فى تدريب الطفل على نطق بعض الاصوات البسيطة لتدريب الاعضاء الخاصة بالكلام ، وهذه الاصوات عبارة عن الحروف الهجائية والتى اذا اضيفت اليها حروف أو مقاطع أخرى أصبحت كلمات ، وهكذا يكون الانتقال من أبسط العناصر الى الاكثر صعوبة.

أما تعليم الحساب فإن أبسط عناصرة هو العد ، والعد عبارة عن أضافة وحدة الى وحدة أخرى أى عملية جمع ، فعملية تعليم الحساب يجب أن تعتمد على الخبرة الحسية Sensory Experience فينبغى أن يبدأ العد بأشياء حقيقة مثل العد على الاصابع أو بواسطة الخرز أو الزلط أو النقط ، ثم بعد ذلك ينتقل الى الاعداد المجردة ، ويرى «بستالوتزى» أن أول مرحلة لتعليم الهندسة هى تعليم الاشكال البسيطة للطفل مثل الخط المستقيم والمربع لأن الاساس الذى ينى علية تعليم الهندسة هو المربع ، فيمكن أن يضاف الية مربع آخر ، كما يمكن تقسيمة أما الخطوة الثانية فيقيس الطفل الابعاد المختلفة ، ويلى ذلك تعليم الاشكال الهندسية بتقليد الطفل لهذه الاشكال بالرسم فقط ، واذا استخدمت وحدة فى تعليم الحساب أو الهندسة يجب الالتزام بها ، وعلى ذلك يكون العد أساس تعلم الحساب والمربع اساس تعلم الهندسة ، ومن هنا يتضح أن «بستالوتزى» استخدم أكثر من حاسة فى تعليم الهندسة ، وكذلك رفع مستوى قدرته العقلية وتكوين التفكير السليم والملاحظة الدقيقة التى تكون عن طريق حاسة النظر

وكان «بستالوتزى» يرى أن أحسن وسيلة لدراسة الجغرافيا هى ملاحظة البيئة التى يعيش فيها الطفل ملاحظة دقيقة ورؤية المكان وفحص تفاصيلة حتى تكون لدية فكرة كاملة ،ودقيقة عن كل شئ به ، ثم يقوم بعمل نموذج من الطين للمنطقة المدروسة وبعد تشكيل النموذج المجسم تعرض خريطة المنطقة ، وبهذه الطريقة لا يدرس التلاميذ الخريطة الا بعد أن يكونوا مستعدين تماماً لفهمها وكان «بستالوتزى» يربط علم الجغرافيا بغيرة من العلوم المدرسية أثناء التدريس فكان يربطة بالتاريخ الطبيعى والزراعه وغيرها من العلوم التى لها صلة كبيرة بالبيئة.

أما تعليم التاريخ الطبيعى فكان مؤسسا على تمرينات متدرجة فى الملاحظة والتعبير وموضوعات هذه الدروس هى الاشياء التى كان يجمعها الاطفال بأنفسهم فى رحلاتهم وزياراتهم للحقول والغابات ويجمع بعض الحجارة والمعادن وبعض أنواع من النباتات الجافه والحيوانات المحنطة التى يقوم المعلم باعدادها ويعرض المعلم الشئ على تلاميذة ويطلب اليهم أن يختبروة بحواسهم ويلاحظون خواصة المختلفة ويجعلهم يصفون نتائج الاختبار والملاحظة فى جمل على حسب أعمارهم ومداركهم.

أن فكرة «بستالوتزى» عن التربية الخلقية والدينية فى الطفولة ينبغى الا تكون مبنية على التفكير ، بل تبنى على استخدام الحواس ثم على ايقاظ الشعور فيبدأ بتدريب الطفل على تنمية مشاعره واستخدام حكمة وذلك ليس عن طريق توسيع خبراته ، بل عن طريق لفت نظرة الى الاشياء القريبة المرغوب فى معرفتها فتتحول مكنوناته الفطرية الى قدراته لتصبح فيما بعد عادات ، وعن طريق تأثير الام ومحبتها وتوجيهها للطفل تفعل الخير ، واستمرارها مع الطفل حتى تكون لدية العقيدة التى تجعله خيراً بارادته ، ويعتبر «بستالوتزى» أن التربية الخلقية هى أساس التربية الدينية ، اذ أن المشاعر

التي تنمي في الطفل نحو الناس وهي المحبة والامان والشكر والطاعه تنتقل الى معرفة الاله (١٧). كما أهتم «بستالوتزي» بالغناء ، فالطريقة المتبعه في تعليم الغناء هي المحاكاه والتقليد ، والهدف من الغناء هو تمرين حاسة السمع وتربية الذوق الموسيقى ، ويرى أن في ذلك ترويحاً للصغار بعد اجهادهم في الدروس النظرية.

وبالرغم من أن بعض مبادئ «بستالوتزي» يكتنفها الغموض من حيث عمل العقل ، فهو لم يوضح كيفية التمثيل والنمو في العقل ، فبينما يذهب الى «أن التربية طريقة طبيعيه تعمل على انماء القوى الكامنه في الانسان «نراه يقول» أن أعمال التربية تنحصر في توليد الافكار والمعاني الذهنية من الصور الخارجية التي تصل الى النفس عن طريق الحواس «فالفكرة الاولى تتضمن أن الطفل يولد مزودا بجميع القوى والمواهب العقلية ، ومن المعتقد أن «بستالوتزي» أخذ هذه الفكرة عن «روسو» في تربيته الطبيعيه «لاميل» أما الفكرة الثانية فهي مبنيه على أن المشاهده والملاحظة أساس كل معرفة تصل الى الانسان فعقل الطفل لا يتكون الا بتجارب واضحة بواسطة معلمه ، هاتان الفكرتان هما الاساس الذى بنى عليهما كل من «هربارت» و «فروبل» طريقته في التعليم ، فقد اقتنع «فروبل» بالفكرة الاولى وبنى عليها مذهبه في التربية وهي استخدام الحواس ، أما «هربارت» فقد رأى أن الفكرة الثانية مناسبة للتربية ، ولهذا بنى عليها طريقته في التعليم وهي الاهتمام بموضوع الدرس وجعل محور العملية التعليمية المعلم وليس الطفل ، ومن هنا نرى أن بعض المصلحين التربويين يرجع أمر التربية الى الطفل وطبائعه، وأنه يجب دراسة غرائزة وقدراته التي خلقت معه في حين يرى البعض الاخر ضرورة الاهتمام بالمادة وطرق التدريس وبدور المربي في العمل التربوي.

ولم يجد اتباع «بستالوتزي» وتلاميذه جهداً في نشر مبادئه وطرقه المؤسسة

على الملاحظة واستخدام الحواس ، ولقد تسابقت دول أوروبا فى تأسيس مدراسها متبعه طرق وأساليب «بستالوتزى» فلقد كان مثالاً للذكاء باختراعه الطرق الحديثة فى تعليم الحساب ، وكذلك طريقته فى التعليم المبينه على الملاحظة واستخدام الحواس ومشاهده موضوع الدرس راعطائة غرفة الدرس روحا جديدة كل الجدة [١٨]. فهو يرى أنه ينبغى أن تسود حجرة الدرس جو المنزل الذى يجب أن يسود المدرسة بأكملها ، ويجب أن تكون العلاقة بين المدرسة والتلميذ علاقة مودة لكل هذا أطلق علية تلاميذه واتباعه «الاب الروحى» Father Pestalozzi [١٩].

لاشك أن «روسو» و «بستالوتزى» قد أثرا فى التربية الحديثة ولكن «فروبل» ترك على التربية الحديثة آثارا أقوى وأكثر دواما بسبب دراسته الجامعية المنظمة ومرافقته «لبستالوتزى» وقيامة بالتعليم ، واستفادته من تجاربه فى هذا الميدان واستعدادة المهنى ، لقد طبق «فروبل» افكارة الجديدة فى مرحلة واحدة من مراحل التربية ، وهى مرحلة رياض الاطفال [٢٠]. بين سن الثالثة والسابعه من أعمارهم غنيهم وفقيرهم ، وهى حسنه من حسناته وعمل من أنبل اعمالة فى التربية [٢١].

أن نظرية «فروبل» فى نمو الانسان لا تعنى زيادة فى الكم ولكن زيادة فى القوة والمهارة وفى الاداء ، ويرجع «فروبل» عملية النمو الى الاستخدام الوظيفى للاعضاء المختلفة لجسم الكائن ، فهو يرى أن أهمال أى عضو أو جزء من أجزاء الجسم يؤدى الى اضمحلاله ، وفى بعض الاحيان يؤدى الى اختفائة ، وعلى هذا فإن استعمال عضو الكائن أو عدم استعمالة يؤديان الى تقويته واكتسابة الكمال فى الاداء ، وفى رأى «فروبل» اذا أردنا تنمية الحواس فلابد من استخدامها وتدريبها ، واذا أردنا أن ننمى الانسان الكامل فليدرب الانسان بكل اعضائة وحواسة ، وكان يرى أن التدريب ذا الفائدة هو الذى

يحدث فى الوقت المناسب الذى يتفق مع الطبيعه ومستوى نمو الانسان ، أما ما يخص حواس الانسان وصلتها بما يتعرف علية الطفل فى طفولته الاولى فأن الطفل يرى العالم الخارجى مجموعه من الاشياء الممتزجة غير واضحة الاشكال كما تصلة من الوالدين كلمات متداخلة بعضها فى البعض الاخر وتدريجياً يمكنه التعرف على الكلمات وربط بعضها بالبعض الاحر وربطها بالاشياء المرئية التى تبدأ تأخذ أشكالا منفصلة فبواسطة حاستى النظر والسمع يصل الطفل الى معرفة نفسة كفرد له كينونته التى تختلف عن جميع الاشياء الاخرى ، و«لفروبل» مبدأ آخر يخص الحواس وهو أن الحواس توصل للانسان حالة الشئ الخارجى كما هو سواء كانت مادته سائلة أم صلبة أم غازية ، وكذلك معرفة ، اذا كان الشئ متحركا أم ساكنا ، وهناك مبدأ آخر خاص بالحواس يسمية «فروبل» قانون التناقض أن الاشياء تكون أكثر وضوحاً لو ارتبطت بما يناقضها ، وهذا فيما يخص بالحصول على المعرفة ، فمثلاً لو ارتبط اللون الابيض باللون الاسود تكون المعرفة أكثر ثباتا لأن هناك تناقض ، كذلك حاسة السمع تكون أول حاسة تنمو لدى الطفل وتتبعها حاسة النظر التى تساعدها حاسة السمع ، وعن طريق هاتين الحاستين يستطيع الطفل ربط الأشياء بمسمياتها أى وصل الكلمات بمرادفاتها من الرموز فتصبح هناك وحدة بين ما يرى الطفل وما يعرفة وبنمو حواس الطفل تكون أعضاء جسمة واطرافة آخذه فى النمو أيضاً ويعتبر الوقوف أهم مرحلة فى نمو الجسم اذ يعلم الطفل كيف يحفظ توازنه ، وفى هذا الوقت يهتم الطفل باستخدام اعضاء جسمة وحواسة ويدرب نفسة على هذا الاستخدام ، هذه هى مرحلة بداية اللعب الذى يكون الطفل فى حاجة الية ومن خلال اللعب يجعل من الطفل انساناً متفانيا فى خدمة المجتمع وفى الاعتماد على نفسة . ويرى «فروبل» أن اللعب فى الطفولة هو بمثابة استعداد للحياه المقبلة وأن مرحلة الطفولة هى مرحلة نمو يتعرف فيها الطفل على نفسه وعلى قدراته ويعبر عما فى ذاته

باللعب والنشاط ،وأكد «فروبل» أن يكون التعليم على هيئة تدريبات مبنية على مشاهده الطبيعه ووصف مايشاهد وفى هذه المشاهده استعمال لحاسئى النظر والسمع (٢٢).

لقد كان «لبستالوتزى» الفضل فى وضع فكرة رياض الاطفال ورسم خطتها وتوجية العقول اليها ، الا أنه تركها ناقصة غير ناضجة ليس لها أنظمة ثابته ، أما «فروبل» فهو صاحب الفضل الاكبر فى تكوينها وتنسيق أعمالها ووضع نظمها وابرازها فى تلك الصورة التامة الكاملة.

بنى «فروبل» أراءة على أسس فلسفية وسيكولوجية ، وكون نظريته التى تعتمد على أسس عملية لمدرسته تتعلق باللعب (٢٣). وكان يرى أن الاطفال يميلون الى الابتكار أكثر من مجرد تلقى المعلومات أو حفظها ، وأن العقل وحدة بذاته وليس مقسماً الى قوى مختلفة مستقلة كما قال «هربات» والغرض عنده من التربية تقوية الرابطة بين الطفل وبين الطبيعه وبين الله وذلك بأن تعمل التربية على أنماء القوى الجسميه والحسية والعقلية والخلقية للطفل ، ولهذا ينبغى العناية بالتربية فى أول الطفولة لانها تقوم بمساعده الطبيعه على الوصول بالطفل الى الغايات التى تؤهلة لها استعداداته الفطرية ، ويجب أن يكون للمربى خبرة واسعه بطبيعه الطفل ونفسيته.

أن «فروبل» استطاع أن يجعل الطفل غرضا فى ذاته تتوخى التربية العمل على تمتعه بطفولته واسعادة بها واستغل حاجات الاطفال ودوافعهم وقدراتهم الجسمية (يقصد بها الحواس والاطراف) والعقلية فى تعليمهم بحيث لا يشعرون أن التعليم عبء عليهم أو نقلة فجائية من البيت الى بيئة غريبة ،مصطنعه وانما هدفت آراء «فروبل» الى جعل المدرسة استمرار طبيعياً لوظيفة البيت يتفق ومراحل نمو الاطفال (٢٤).

ورأى «فروبل» أن رياض الاطفال يجب الا تشبة المدارس بوجة من الوجوة

فالكتب والدروس التقليدية يجب ألا تدخلها لأن تعليم القراءة لايجوز أن يبدأ قبل سن السابعة ، وهنا يتفق «فروبل» و «بستالوتزى» و «روسو» فإليهم جميعاً يعود الفضل فيما وصلت الية دراسة الطبيعه فى المدارس فيطعى الاطفال المعلومات البسيطة والحقائق من الطبيعه ، أى أن أهتمامة ارتبط بالدراسة عن طريق الملاحظة والمشاهده الشخصية والتجوال بين الغابات وملاحظة الحيوانات والطيور فى بيئتها ، أى جعل الطبيعه هى المدرسة (٢٥). وتعمل رياض الاطفال على انماء قواهم الجسمية ، وتمرين حواسهم ، وايقاظ مداركهم ، وقدرتهم على التعرف على مظاهر الطبيعه من حولهم ، وتوجية نفوسهم الى النافع الصالح فى الحياه ، وتقوية رابطتهم بالله وغرس محبته فى قلوبهم ، ولذلك كان «فروبل» يرمى الى تنمية أجسامهم ، وتدريب حواسهم ، وايقاظ عقولهم ليؤهلهم للحياه المدرسية فيما بعد.

أن أهم الميول التى تظهر عند الاطفال الصغار هى ميلهم الى الحركة واللعب والاستطلاع بالحواس وبخاصة حاسة اللمس ، لذلك جعل «فروبل» رياض الاطفال بيئة صالحة لتنظيم الميول والاستفادة منها ، ان احب شئ لدى الاطفال فى هذه المرحلة هى اللعب ، فينبغى أن نشغلهم بألعاب مختلفة متنوعه متوافقه لميولهم صالحة لتنمية حواسهم وتمرين اياديهم واظهار قواهم وتعويدهم العمل والابتكار ، وقد تعمق «فروبل» فى هذا المبدأ لايجاد مجموعه متميزة من التمارين والاشغال والالعاب الجذابة يرمى كل منها الى تنمية بعض الحواس.

قسم «فروبل» الاشغال والتمارين الى أربعه أقسام رئيسية :

١ - ألعاب رياضية مقترنه بالاناشيد والالحان تقليدا وتمثيلاً لاعمال اصحاب الحرف أو لحياه بعض الحيوانات ، ولبعض مشاهد الطبيعه فاهتمامه بالموسيقى والغناء والتمثيل من أجل أدخال السعاده على نفوس الاطفال

وتحبيب المدرسة اليهم وتدريب حواسهم وعضلاتهم.

٢- اشغال وتمارين يدوية بوسائل مختلفة مثل الخشب ، والعيدان وحلقات ، وورق ، وشرائط ، ورمل ، وصلصال ، وهذه التمارين فيها تدريب لحاسة اللمس والنظر.

٣- محادثات وقصص بسيطة مقترنه بأشعار وأناشيد وفيها تدريب لحاسة السمع.

٤- اشغال فى الحديقة الحقيقية أى زراعه النباتات والازهار فى البستان ، ويرى أن عمل الاطفال متعاونين بقربهم بعضهم من بعض ، ويؤدى الى تعاونهم ومحبتهم .

أن هناك هدف اخلاقى يبغية من وراء تلك الالعاب والاغانى هو ايقاظ وجدان الطفل وعقلة عن طريق حواسة وأعضاء جسمة ، فباللعب والغناء يمكنه التغلب على رغباته ويؤجل ظهور غرائزة الدنيا ، أن تنمية شعورة بالجمال وبخاصة جمال الطبيعه مصحوبة بالاغانى والموسيقى والالعاب له أثر تهذيبى كبير [٢٦] .

لقد أهتم «فروبل» بأبتكار سلسلة كبيرة من الوسائل والتمارين فابتكر مجموعه من الوسائل المادية للاعمال اليدوية وسماها الهدايا التى يلعب بها الاطفال ويتعلمون منها أثناء لعبهم فجعل التعليم نوعا من اللعب المحبوب للاطفال والمقرون بتدريب حواسهم ، وينصح «فروبل» باختيار الالعاب والاغانى بعناية قبل أن تعرض على الاطفال ويقصد بكل تمرين من التمارين وكل لعبه من الالعاب الى غاية مهمه ، فليس المهم فى الطريقة ولا فى الوسائل والتمارين ، بل الاهم كيفية استعمال هذه الوسائل وتحقيق الهدف المقصود منها [٢٧] .

أن الطريقة التى اتبعها «فروبل» فى تعليم الاطفال تتميز بالبساطة والوضوح وسرعه الوصول الى الغرض ، كما أن الوسائل التى يستخدمها للوصول الى اغراضة تتمشى تماماً مع مطالب وحاجات النمو البشرى ، ومن أولى مبادئ هذه الطريقة أن كل هدية تؤدى الى الهدية التالية ، وهذا يتمشى مع القول القائل «أن التربية عملية نمو مستمرة تؤدى كل مرحلة الى المرحلة التالية [٢٨]. ومن مبادئ طريقته أيضاً أن كل شئ يجب أن يظهر للطفل على أنه كل متحد فى ذاته وهو كذلك يكون جزءاً فى كل أكبر ، ويتخذ هذه الصفة من علاقاته بالاشياء وارتباطة بها ، وهذه الفكرة واضحة فى الهدايا ، فكل هدية كل متكامل فى ذاتها وهى جزء بالنسبة لكل الهدايا مع ملاحظة أن كل هدية عبارة عن تطور للهدية السابقة ، كما أنها تؤدى الى الهدية التالية.

والهدايا التى ابتكرها «فروبل» استخدم فيها خامات مختلفة أن هذه الهدايا تقوى فى الاطفال حاسة اللمس والنظر والسمع ، لقد وجة «فروبل» كل عناية الى تربية حواس الطفل التى تصل بواسطتها المعلومات الى العقل ، فالهدايا التى اعدها للاطفال تدرب حواسهم على استقبال المعرفة وتناسب من كانوا بين الثالثة والسادسة أو من هم أكبر سناً.

من الهدايا الخمس الاولى يمكن أن نتوصل الى حقيقة هامه وهى أن كل خصائص الهدايا توجد فى الهدية الاولى ، الكرات الصغيرة الصوفية الملونه، وهكذا فأن الطفل عن طريق لعبه بها يستطيع أن يحصل على الصفات العامه لما يحيط به ، المادة ، الوزن ، القوة ، الارتباط ، المرونه ، الشكل ، الحجم ، العدد ... الخ ، فالكرات الصغيرة تقدم الطفل للطبيعه وتعرفة بها وتفتح له ابواب المعرفة عن طريق حواسة سواء أكانت معرفة لمظاهر الطبيعه الخارجية أو لفهم قوانين الطبيعه التى ما حولة من الاشياء ويستطيع الطفل اذا

ما قارن بين الكرات أن يقف على أوجه الاختلاف بينها ، وهذه الخطوة الاولى لمعرفة الفروق في الهدية الثانية بين المكعب والكرة الكبيرة ، وقد يعطى للطفل الكرة الكبيرة والمكعب فإذا أخذهما معا يساعده على تلمس أوجه الاختلاف بينهما وفى هذا مران على استنتاج أوجة الاختلاف فى الطبيعه فيما بعد ونلاحظ أن الطفل لا يدرك ما بداخل الكرة الكبيرة ولكنه يدرك شكلها الظاهرى ادراكا تاما (٢٩) . فالكرة الكبيرة والمكعب يكمل كلاهما الاخر فاللعب بالكرات الصغيرة يعرف الطفل حقائق عامه عن الاشياء وعن الطبيعه وعن الحياه ، أما اللعب بالكرة الكبيره والمكعب فأنه يؤدى الى حقائق خاصة اكثر تحديداً من الحقائق العامه ، فنجد أن الهدايا تتبع قانون النمو، فمثلاً الكرة الصغيرة مستديرة مع الحركة ، الكرة الكبيرة مستديرة استدارة تامة مع صعوبة الحركة وهذا ييسر لها أن تتحرك فى خط مستقيم ، وأثناء سيرها تنتج زوايا ولكن الخطوط والزوايا غير مرئية ومن السهل تغييرها (٣٠) . أما فى المكعب فالزوايا والخطوط تصبح مرئية ودائمة وطول الخطوط واحد ، المكعب المقسم الى ثمانية مكعبات رأينا أن الزوايا والخطوط فى المكعب غير المقسم من الظاهره فقط ، ثم أن الاضلاع التى كانت دائماً متساوية يمكن اذا غيرنا وضع المكعبات الصغيرة أن تصبح غير متساوية لمدة مؤقته ، وكتل البناء تؤكد فكرة اختلاف الاضلاع فى الطول ، واختلاف الاشكال الناتجة من استعمال الكتل (٣١) .

كان اساس اختبار «فروبل» للهدايا ملاءمتها لطبيعه الطفل وللخصائص الذاتية فى اللعب والهدايا نفسها ، كما أن «فروبل» اختار هذه الهدايا وهو يؤكد أن الطفل يتصل بعالم الاشياء عن طريق جسمة وأبسط أنواع الاجسام المادية هى الكرة الصغيرة والكبيرة والاسطوانه وعلى الطفل أن يلاحظها ويميز ما بينها من أوجهه الاختلاف وأوجة التشابه ودرجة التمييز بين السكون والحركة وأن تمرين حواس الطفل واعضائة هو الحلقة التى تربط بين النمو

والعمل وتطورات الهدايا مع تطور نمو الطفل من سن الثالثة الى السادسة(٣٢)

لقد لفت «روسو» بحماس الانظار نحو طبيعه الطفل مبينا أن هذه الطبيعه خيرة بكل مكنوناتها عندما تأتى من الخالق ، لذا أكد أن خير سبيل لتربية الطفل هو اتباع هذه الطبيعه منذ ولادته وحتى يصبح شابا وذلك فى تربيتة وتدريبة . ولما كانت حواس الطفل الموزعه فى أعضاء جسمة هى جزء من هذه الطبيعه لذلك وضح أن الخبرة المباشرة للطفل المبنية على استخدام حواسة هى السبيل السليم فى حصولة على المعرفة ورفض فكرة تلقية المعلومات عن طريق الكلام أو الكتابة ، اذا الطفل فى هذه الحالة يعلم اشياء لا يدرى عنها شيئاً كما تتجاهل تلك الاشياء طبيعته بما فيها من حواس وجاء «بستالوتزى» فقرأ كتاب «أميل» وحاول تطبيقة فى تربيته لابنه الوحيد ، كما أتخذ نظام الطبيعه فى تربية الاطفال وفى جميع تجاربة كان يحاول ايقاظ القوى الكامنه فى الطفل وتنميتها حتى تصل الى درجة كمالها ، وذلك عن طريق تدريب حواس الاطفال وملاحظتهم بما يحيط بهم من مظاهر الطبيعه لأن المعانى الواضحة لا تصل الى عقول التلاميذ الا عن طريق حواسهم — وكما سبق القول — أن طريقة «بستالوتزى» كانت غير مكتملة كما أن مبادئة بها بعض الغموض ، وعلى الرغم من تشتتها واستنادها غالباً الى الحدس والتخمين كانت الاساس الذى بنى علية «فروبل» رياض الاطفال ، فقد اخذ عنه واهتدى بهدية . فكر «فروبل» فى كل شئ ووضع قوانين وأساليب ومبادئ لكل شئ ، وكان هذا النظام الشامل والترتيب الكامل من جملة الاسباب التى سهلت انتشار طريقة «فروبل» بسرعه كبيرة .

اتفق «بستالوتزى» مع «روسو» فى أنه بدون مشاركة الطفل فى العملية التعليمية لا يمكن تعليمة فيجب أن يترك الطفل حراً لا يفرض عليه المعلم الأوامر التى غالبا لايمتثل لها، بل يساعده ويشجعه بحيث يعمل الطفل الشئ بدقة فى هذا الوقت يمكن تدريبة على الاسلوب العلمى (٣٣). كما اتفق

«روسو» و «فروبل» على وجوب العناية بحياه الطفل الفردية من حين ولادته ونادى كلاهما بالالعاب والاعمال الحرة التى يميل اليها بفطرته والتى تساعد على نمو جسمة وعقلة ، أما الحياه الاجتماعية فلم يهتم بها «روسو» فى مرحلة الطفولة الاولى ، بل أراد للطفل بعد ولادته أن ينشأ بين أحضان الطبيعه بعيداً عن الرفاق الذين يكسبونه الشر أما «فروبل» فراعى هذه الحياه الاجتماعية لأن كمال الاخلاق لا يتأتى الا بمعاشرة الناس ومخالطتهم فالفضائل لا تغرس فى النفس الا بالمخالطة ، ومن أجل ذلك ابتدع فى رياض الاطفال انواعا من اللعب يشترك فيها الاطفال ويتعاونون مع بعضهم (٣٤).

اثر استخدام الحواس على الممارسات التربوية :

كان نتاج آراء «كومنيوس» و «روسو» و «بستالوتزى» و «فروبل» الاهتمام بعمل الحواس واللعب والعمل فى التعليم والحصول على المعرفة وظهرت النظريات والطرق التعليمية المؤسسة على عمل الحواس ، ومن أمثلتها الطرق الاتية المبنية جميعها على النشاط الذاتى المستند على استخدام الحواس:

طريقة المشروع :

تمثلت أراء «جون ديوى» بصورة واضحة فيما يسمى بطريقة المشروع التى نادى بها ووضع قواعدها ونفذها هو وتلميذه «كلباتريك» Kilpa-trick(٣٥). والمشروع دراسة عملية وفيها يحث الاطفال ويشتغلون بأيديهم اشتغالا مفيدة فى حياتهم لا بقصد التسلية ولكن لكى يحلون مشاكلهم التى تصادفهم بأنفسهم لا بالأعتماد على المدرسين (٣٦). وبهذا يمكن القول أن «جون ديوى» يرفض حشو أذهان الاطفال بالمعلومات وهو يتفق مع «روسو» فى التقليل من شأن الكتب ويرى أن يكون تعليم الاطفال ما يصادفهم من تجارب ومشكلات عن طريق الخبرة الشخصية والجهود الذاتى مستخدمين فى ذلك حواسهم.

مدرسة جان جاك روسو .

أنشاء جماعه من العلماء فى جنيف معهداً اسموه معهد «جان جاك روسو» والحقوا به فى عام ١٩١٤م داراً لتربية الاطفال من سن ٣ إلى ٧ سنوات وهو عبارة عن حديقة كبيرة تتسع للعب الاطفال لعباً حراً طليقاً من كل قيد اذ لم يقسم الاطفال الى فرق دراسية ولم يقرر لهم مناهج ، ولم يحدد زمن لفترات الدروس ولم يلزموا بدخول الحجرات بل ولا المواظبة أو البقاء فى المعهد اذ تركت لهم الحرية فى الخروج وقتما يشاؤن، ومن الطبيعى أن يتشبث الاطفال فى البقاء فى هذا المكان أطول فترة ممكنه فإنهم غير ملتزمين بأى مسئولية وكان المقصود من هذا المعهد أن يكسب الاطفال اثناء لعبهم خبرات ذاتية (٣٧) .

مدارس جيرى (٣٨):

تسير على نمط فلسفة مدرسة «جان جاك روسو» أى استغلال الفردية واللعب الحر الطليق ، ويقصد استغلال الحرية فى تقوية الاطفال جسيماً وعقلياً وخلقياً براسطة الدافع الذاتى لا بالنصح وعين «ورث» مدرسين للتربية الرياضية بحيث يجعلون من الالعاب جزءاً هاماً من برنامج الدراسة ، وبجانب ذلك يتمتع الاطفال بالحرية التامة فى اللعب الحر فى فناء المدرسة وفى استعمال الملاعب فى العطلات تحت اشراف المدرسين الذين يراقبونهم بعناية واكتشاف مواهبهم واتجاهاتهم وميولهم.

مدرسة دكرولى Decroly Class :

لقد وجد دكرولى فرقا ظاهرا بين أطفال الريف وأطفال المدن فى محصول كل منهما من المعلومات عند دخولهم المدرسة ، وبعد دراسة هذه الظاهره ، ادراك أن الأطفال المدنيين يعرفون كثيراً من المعلومات النظرية البراقة التى تغلب عليها السطحية والتفاهه اذ انها مستمدة من الصحف والمجلات

والسينما والمسارح والاذاعه ، ولا يثقون بأنفسهم اذ يعتمدون على الغير ، أما الريفيون فلديهم محصول صحيح عن البيئة الريفية اكتسبوه بالخبرة العملية ، وكذلك فأنهم يميلون الى الممارسة الفعلية والمخاطرة والاعتماد على أنفسهم ، ومن هنا رأى «دكرولى» ضرورة اقامه المدارس الابتدائية فى الريف حتى تكون دراسة التلاميذ للطبيعه دراسة مباشرة ، وهذا يتفق مع رأى «روسو» بأخذ الطفل الى الريف ليتربى بين الطبيعه ويشاهدها وكان اسلوب «دكرولى» مبنياً على مبدأ التعليم من خلال الحياه Learning Through Living وأن البيئة منبة صالح لظهور الميول الصالحة للتطور ، والفكرة التى تنطوى عليها طريقته هى البحث والتجربة Investigation and Experiment واعتبرو «دكرولى» الرحلات والزيارات من صميم المنهاج المدرسى اذ جعلها الوسيلة الطبيعيه للحصول على معلومات معينه ، وجعل ترابط الافكار يكون اساس البرنامج ، والمنهج يتضمن حاجات الطفولة الاساسية الحاجات الفسيولوجية ولاجتماعية، ويمكن تحقيق أهداف المدرسة عن طريق الملاحظة والترابط(٣٩) . لقد قدم «ديكرولى» وصفا لطريقته بحيث تنشأ المدرسة فى جو طبيعى أى توجد فى بيئة يتيسر فيها للطفل أن يتصل كل يوم بظواهر الطبيعه ومظاهر الكائنات الحية، ويكون التلاميذ من جميع الاعمار ما بين سن الرابعه والخامسة عشرة ومن الجنسين، وتؤلت المدارس بحيث تكون مصانع صغيرة أو معامل ، و أن يكون المدرسون نشيطون ذات خيال مبتكر ويخرج التلاميذ بعض الايام فى الصباح للرحلات والزيارات ، ويفضل أن تتصل الموضوعات بما يدرسون فى دروس الملاحظة والترابط ، ويتم التدريب على العمل الشخص والجمعى بالتعاون بين التلاميذ فى أوجة النشاط والتنفيذ (٤٠) .

طريقة اللعب :

دائماً نجد فى الماضى أصداء للمعلومات الحديثة ، فقد كان «أفلاطون»

أول من أدرك القيمة العملية للعب ، فكان يوزع التفاح على الصبيان لمساعدتهم على تعلم الحساب ، وكان ينصح دائماً باستخدام أدوات حقيقية مصغرة لمن هم فى سن الثالثة لكى يلعبون بها وكذلك رأى «أرسطو» ضرورة تشجيع الاطفال على اللعب بالاشياء التى يستعملونها جدياً عندما يكبرون.

لقد ازداد اقتناع المعلمين بعد عهد المصلحين التربويين من عهد «كومنيوس» فى القرن السابع عشر الى «روسو» و «بستالوتزى» و «فروبل» فى القرن الثامن عشر ومستهل القرن التاسع عشر بفكرة أن التعليم ينبغى أن يدخل فى حسابة اهتمامات الطفل الطبيعيه ومرحلة نموه ويبلغ هذا غايته فى تأكيد «فروبل» لأهميته للعب فى التعليم (٤١). فعن طريق اللعب يجد الطفل متنفسا لطاقاته الفائضة ، وهو يمرن عن طريق اللعب حواسه وقدراته ومواهبه العقلية واللعب وسيلة ابتدعتها الطبيعه لاعداد الفرد اعدادا يتمكن معه من مواجهه المشاغل الجادة ، وكل من اللعب والتقليد Imitation يعتبران من الوجهة السيكولوجية من وسائل تطور الطفل (٤٢).

مما سبق يتضح الى أى مدى كان تأثير كل من «كومنيوس» و «روسو» و «بستالوتزى» و «فروبل» على تكوين هذه المدارس من حيث مبادئها ومناهجها.

أن تدريب الحواس والعناية بها يسهل للمتعلم الحصول على أكبر قدر من المعرفة فى سهولة ويسر، أهمال ذلك يؤدى الى البلاهه أحياناً أو ضعف التعلم ، ومما يدل على أهمية استخدام الحواس وتدريبها تلك الحادثة ، فلقد وجد فى أوائل القرن العشرين فى أحدى غابات «فيردن» فى فرنسا طفل وحشى يظهر أنه قد ضاع من أهله كان لا يتكلم ولا يفكر مع أنه قد بلغ الثانية عشرة من عمرة حسب تقدير الاطباء ، وقد تفرغ أحد الاطباء وهو «أيتار» Itard لتربية هذا الولد وبحث أحواله فكان ضعيف العقل راهن الحواس ، فكان من

الضرورى ايجاد تمارين خاصة لتقوية كل حاسة من حواسة ولايقاظ كل قابلية من قابلياته واستمر «أيتار» على هذا العمل نحو عشر سنوات متوالية ووضع بذلك أسساً فى تعلم البلة مستخدما تدريب الحواس ووصفت هذه الطريقة فى مجلد طبع عام ١٨٤٦م تحت أسم Traitement Moral, Hygiene Et Education Des Idiots.(٤٣).

أن تطبيق مبدأ الحرية فى أمور التربية عرف بمذهب السلبية وفية تكون وظيفة المربى سلبية ليس لة الحق فى أن يتدخل فى أعمال الطفل ، وكان «روسو» هو مؤسسر هذا المذهب وسار «تولستوى» Tolstoi على هذا المبدأ فى القرن التاسع عشر ، فقد أسس فى «باسنايابوليفيا» مدرسة حرة على هذا الاساس حاول فيها تطبيق نظرية الحرية المطلقة والتربية السلبية تطبيقاً تاماً(٤٤). وتمثلت أيضاً فى كتابات «اللن كى» Wllen Key فى أوائل القرن العشرين(٤٥). وكان من رأيها أن يترك الاطفال من غير قيود يربون أنفسهم بأنفسهم بدون تدخل فى شئونهم.

طريقة مونتسورى :

أن الطريقة التى ابتدعتها «متسورى» Montessori هى محصلة دراسة آراء «روسو» و «بستالوتزى» و «فروبل» وكتب علم النفس والتربية ،فاقتبست أحسن ما جاءوا به ، ووجهت الانظار الى الفروق الفردية ، وأهمية تدريب الحواس فى التعليم، اخترعت عدة وسائل تعليمية لتربية الموقين ونجحت تجربتها واجتاز أطفالها الضعاف امتحان الاطفال العاديين بتفوق فطبقت خبرتها على الاطفال العاديين فى مدارس الاطفال ، واسست طريقتها على المبادئ الخاصة بتدريب الحواس أوجدت «متسورى» مجموعه كاملة من الوسائل اعتقدت كفايتها لتربية الحواس للصغار ، فقامت بوضع لعب للاطفال لتربية كل حاسة من حواسهم ، قد ربت حاسة اللمس عن طريق الورق المصنفر

المختلف فى سكمة ودربت حاسة السمع بواسطة علب بها مسامير وماء خشب بغرض اسماع أصوات مختلفة ، وتدريب حاسة الذوق بتذوق الاطعمه المختلفة وتدريب حاسة البصر بمشاهده الالوان والاشكال والاحجام المختلفة ، ويحتاج الطفل فى هذه الطريقة الى بيئة مهيأه خاصة غير التى تناسب الكبار (٤٦). ابتكرت «منتسورى» ادوات وأجهزه لتعليم الاطفال عن طريق اللعب والنشاط الذاتى المبنية على مبدأ استخدام حاسة اللمس والبصر والسمع والذوق ذلك يؤدى الى النمو العقلى وكانت أكبر عون على تحقيق طريقتها وأمكان تعليم جميع الاطفال حتى المعوقين منهم تعليما يؤهلهم للاسهام فى النشاط الاجتماعى.

غيرت «منتسورى» نظام قاعات الدراسة وملحقاتها عن النظام التقليدى ، فقد استخدمت أثاثاً لحجرات الدراسة يتناسب من حيث الشكل والحجم والارتفاع مع طول الاطفال كما أنه قابل للتحرك من مكان لاخر فى سهولة . أما دورات المياه فكان تصميمها يتناسب حجم الاطفال ، وهذه كلها عوامل تمكن الطفل من النمو (٤٧).

واعتبرت «منتسورى» الطفل وحدة بيولوجية وأن البيئة يجب أن تهيأ لنمو الطفل نموا مضطردا خالياً من العقبات ، وقد بينت أن الملاحظة التى يقوم بها الطفل أساس التعليم ، فيمكن أن يترك الاطفال أحرارا بعد أن تضع فى بيئتهم تلك الوسائل ، فأنهم سيشغلون بها حتما (٤٨). وقد أكدت «منتسورى» أن أجهزتها التعليمية وطريقتها الخاصة فى تعليم الاطفال تمكنهم من أن يكونوا قادرين على القراءه والكتابة وهم فى الخامسة من أعمارهم ، كذلك أجهزتها التعليمية مكنت الطفل من التعرف على خطئة بنفسة وتصحيحة ، كذلك مكنته من تدريب حواسة تدريباً مجدياً ، وهكذا يتضح أن التعليم بواسطة طريقة «منتسورى» يعتمد فى عالبيه على التعليم الذاتى فى

بيئة تعليمية منظمة ومهيئة بحيث تمكن الطفل من الحركة بحرية مع الاقلال من تدخل المدرسة ما أمكن (٤٩).

ونتيجة للنظريات السابقة والطرق المستخدمة فى تعليم الاطفال حدث انقلاب مهم فى الوسائل التعليمية المستخدمة ، فلقد اخترعت الوسائل السمعيه والبصرية المتنوعه.

أن الوسائل السمعيه البصرية تطبيق مباشر لنظريات التربية فى استخدام الحواس واذا كان المقصود من عملية التعليم هو احداث تأثير فى السلوك بطريقة منظمة ، فأن اللفظ أو الرمز الذى يدل على معنى معين هو فى ذاته آخر ما يستطيع أن يحدث هذا التأثير (٥٠). فالكلمة المسموعه يكون المتعلم فيها سلبيا يتلقى معلومات لا يعى منها شيئاً وهناك مجال أوسع لاستخدام الوسائل السمعيه والبصرية بحيث تصل الى التأثير المطلوب أن بعض الوسائل تكون بدائل عن خبرات مباشرة بشكل ما أن الكلمات تكون غير دقيقة وغير كافية لكى تعطى الانطباعات الحسية ، ولكن الوسائل السمعيه والبصرية تصحح الانطباعات وتقويها ، ثم أن الوسائل السمعيه والبصرية جذابة وتستحوذ على الشخص ككل يفوق الكلمات (٥١).

والوسائل متنوعه وكثيرة منها وسائل تستخدم فيها حاسة السمع مثل التسجيلات على أسطوانه أوعلى أشرطة أو الراديو ، ووسائل بصرية غير معروضة مثل السبورات ، و الرسوم التوضيحية ، الرسوم البيانيه ، الخرائط ، الكاريكاتير ، المناظر المجسمة ، والمصورات ، وسائل بصرية معروفه مثل الشرائح – الافلام الثابته ، الصور المتحركة ، وتوجد أيضا وسائل سمعيه بصرية معروضة مثل الافلام الثابته والناطقة ، الصور المتحركة الناطقة ، التلفزيون ، أن الوسائل السمعيه البصرية تستطيع أن تقدم خبرات محسوسة سواء أكانت تقدم خبرة جديدة أم تستعيد خبرة سابقة منسية ، فأن هذه الوسائل تنقل عن طريق

العين والاذن انطباعات حسية أكثر واقعيه وحيوية مما يحتمل أن تخلقة أو تستعيدة الكلمات (٥٢).

أن التليفزيون ليس فقط بديلا لطرق التعليم التقليدية ، ولكنه أداه لها جاذبيتها السيكولوجية ، اداه قادرة على أن تتخطى الحواجز الزمانية والمكانيه والنظم والشخصيات ، والتليفزيون اداه هامه من ادوات الاتصال بالجماهير ، فهو يجمع بين الكلمة والصورة فى نفس الوقت ، ولقد حقق انتصارا فى جميع انحاء العالم (٥٣). فهو من أهم الوسائل التعليمية تأثيراً على الاطفال بالرغم من حداثته نسبياً ، كما أنه أكثر الوسائل الاعلامية تأثيراً فى تعليم الاطفال وذلك لوجودة فى المنازل فى متناول الاطفال فى أى وقت ، وتبين أن الاطفال يتأثيرون بما يعرض عليهم من حيث تحصيل المعرفة وترجية السلوك ، الامور التى تخضع فى النهاية لما يتميز به الطفل من صفات عقلية ومزاجية (٥٤).

لقد بدأت الولايات المتحدة الامريكية تجارب رائدة فى ادخال التليفزيون فى المدارس ، كما استخدم التليفزيون التعليمى فى معظم بلاد العالم ، وذلك لأن الوسائل البصرية تلعب دوراً هاماً فى تشكيل عقول الاطفال وتحديد ردود الافعال عند الدارس الصغير وأن أحد فوائد التليفزيون كاداه تعليمية هى فى أنه يتكلم لغه تكمل لغه التعليم الكتابى ، ولا شك أنه عنصر بصرى له أثر كبير (٥٥). اجتمع فى عام ١٩٦٧ فى أمريكا مجموعات من الباحثين الاجتماعيين ، الباحثين الاكاديميين ، التربويين ، لاجل خلق برامج ترويجية تعليمية للاطفال ،وكان أنجح هذه البرامج «شارع سمسم» Sesame Street (٥٦). ويشتمل البرنامج عناصر فكاهيه وتعليمية ، منها تعليم الحروف الهجائية وفيها توجيهات سلوكية ، ومنها بعض العمليات الحسابية البسيطة ، ومنها تدريبات على تقدير أشكال الأشياء وأحجامها (٥٧) ولقد قام باحثان Ball

and Bogatz لتقويم هذا البرنامج فى عام ١٩٧٠ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٢ ومقارنه الاطفال الذين يشاهدون البرنامج بانتظام وبين أطفال يشاهدون البرنامج بصورة غير منتظمة وكذلك بين أطفال لم يشاهدوا البرنامج فتبين أن الاطفال الذين يشاهدون البرنامج بصورة منتظمة يتقدمون عن غيرهم فى اكتساب المعارف وبعض المهارات، وهذا جاء فى تقرير Ball and Bogatz فى عام ١٩٧١ . كما تبين أن أطفال الاسر ذات المستوى المرتفع ثقافياً واقتصادياً الذين يشاهدون برنامج «شارع سمسم» يستفيدون أكثر من الاطفال الاخرين، ومازالت البحوث مستمرة حول آثار هذا البرنامج فى تربية الطفل [٥٨] .

وخلاصة القول فأن حواس الانسان التى أهتم الاقدمون بدورها فى اكساب الطفل المعرفة تستغل الان اكبر استغلال عن طريق استخدام الوسائط الاعلامية الجماهيرية Mass Media فالتليفزيون مثلاً يستغل فى توصيل المعرفة للاطفال فى أكثر صورها جاذبية ، اذ لا شك فى أن مايعرض على الشاشة الصغيرة الملونه من أحداث وما يوضح من معلومات له أثر لا ينمحى من عقول الصغار ، فالطفل يرى ويسمع ويستمتع فى آن واحد ، فارتبطت بذلك الاحساسات بالوجدان ، وأصبحت بذلك أكثر قابلية على عمل فى العملية التعليمية.

هوامش الفصل

1- Price, Kingsley, *Op. Cit.*, P. 230.

2- Bowyer, H. Carlton, *Op. Cit.*, P.P 158-161.

3- Stewart, W.A.C. : ***Progressives and Radicals in English Education 1750-1970***, The Chaucer Press, Ltd., Great Britain, 1972, P. 15.

٤- انظر محمد عطية الابراشي : **أصول التربية المثالية فى أميل** ، دار احياء الكتب ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٢ ، ٣.

5- Rousseau, Emile, *Op. Cit* .

٦- انظر محمد عطية الابراشي : **أصول التربية المثالية فى أميل** ، مرجع سابق ، ص ١٤ ، ١٥.

٧- انظر المرجع السابق ، ص ١٦.

٨- انظر عبد المجيد عبد الرحيم. **التربية والحضارة** ، الطبعه الاولى ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٦٣.

9- Quick, R.H., ***Essays On Education Reformers***, London 1904, P. 313.

١٠- عبد العال الجسماني: **التربية المتجددة اسسها النفسية وموقفها من الطفل نظريا وعلميا** ، مطابع دار الشعب ، عمان، الاردن ، ١٩٧٨ ، ص ١٧.

11- Silber, Kate, *Op. Cit* , P. 137.

12- Pestalozzi, H J., *Op. Cit.*, P. 99.

13- Silber, Kate, *Op. Cit.*, P. 146.

14- *Ibid*, P. 146.

15- Pestalozzi, H. J., *Op. Cit.*, P.P. 150- 157.

16- Cole, R. Percival : *A History Of Educational Thought, University Press*, London, 1931, P. 256.

17- Pestalozzi, H. J., *Op. Cit.*, P.P. 163- 195.

18- Stewart, W.A.C., *Op. Cit.*, P. 75.

19- Monroe, Paul., *Op. Cit.*, P. 622.

٢٠- أن مبادئ «فروبل» أساسية بالنسبة لجميع مراحل التعليم.

21- Grow and Grow, *Intraduction to Education, Eurasia .Pub*. House Private L. T. D, New Delhi, 1962 , P. 33.

22- Froebel, F., *Op. Cit.*, P.P. 11, 40, 42-47, 150, 151.

23- Stewart, W.A.C., *Op. Cit.*, P. 75 111.

٢٤- انظر عبد المجيد عبد الرحيم ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ ، ١٦٩.

25- Monroe, Paul., *Op. Cit.*, P. 664.

26- Courthorpe, Bowen, *Op. Cit.*, P. 83.

27- Fletcher, S.S.F., *Op. Cit.*, P. 201.

٢٨- انظر ساطع الحصري ، مرجع سابق ، ص ٧١.

29- Fletcher, S.S.F., *Op. Cit.*, P.P. 209.

30- *Ibid*, P. 213.

31 Courthorpe, Bowen, *Op Cit.*, P 142

32- Fletcher, S S.F., *Op. Cit.*, P. 214.

33 Cole. R Percival, *OP. Cit.*, P. 256.

٣٤- مصطفى أمين ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨.

35- Wilds, H Elmer and Lottich, V. Kenneth, *Op. Cit.*, P. 390.

٣٦- انظر عبد المجيد عبد المجيد ، مرجع سابق ، ص ١٧٦.

٣٧- انظر المرجع السابق ، ص ١٨٢.

٣٨- أنشأ مدارس جيرى الاستاذ ورثه بمقاطعه وأنديانا، بأمريكا.

39- Boyd. William, : Towards a New Education, *Op. Cit.*, P. 156.

٤٠- انظر أميلى هامايد : **طريقة ديكرولى** ، ترجمة أحمد فؤاد الأهوانى ، الطبعه الأولى ، مطبعه مصطفى البابى الحلبى ، القاهره ، ١٩٥٣ ، ص ٢٧ - ٣٠.

٤١- سوزانا ميلر : سيكولوجية اللعب ، ترجمة رمزى حليم يسى ، الهيئة المصرية العامه للكتاب ، القاهره ، ١٩٧٤ ، ص ١٣ - ١٤.

٤٢- انظر عبد العال الجسمانى : مرجع سابق ، ص ٦٥.

43- Orem, R. C. : ***Montessori and The Special Child***, Capricorn Books, New York, 1969, P. 17.

٤٤- انظر ساطع الحصرى : مرجع سابق ، ص ٧٣.

٤٥- محررة سويدية حملت حملات عنيفة على المدارس وعلى الأخص رياض الأطفال.

46- Orem, R. C, *Op Cit*, P 11, 37.

47- Boyd, William, : Towards a New Education, *Op. Cit.*, P. 156

48- Orem, R . C., *Op Cit.*, P 36

٤٩- انظر فتحية حسن سليمان · **تربية الطفل بين الماضي والحاضر** ، مرجع سابق ، ص ١٨٠.

٥٠- انظر جون و باكمن : **كيف تستعمل الوسائل السمعيه والبصرية** ، ترجمه مصطفى بدران ، دار القلم ، القاهره ، ١٩٦٦ ، ص ٧.

٥١- انظر المرجع السابق ، ص ٢٥ ، ٢٦.

52- Grow, and Grow, Op. Cit., P. 427.

٥٣- انظر هنرى كاسيرر : **التعليم عن طريق التليفزيون** ، ترجمة سلامة حماد ، مؤسسة سجل العرب ، القاهره ، ١٩٦٤، ص ١٠، ١١.

٥٤- انظر فتحية حسن سليمان : **تربية الطفل بين الماضي والحاضر** ، مرجع سابق ، ص٢٣٣.

٥٥- انظر هنرى كاسيرر : مرجع سابق ، ص ٤٥٩.

56- Palmer, L. Edward : ***Children and The Faces Of T.V. Teaching Violence*** , Selling Academic Press, New York, 1980, P. 51.

٥٧- انظر فتحية حسن سليمان : **تربية الطفل بين الماضي والحاضر** ، مرجع سابق ، ص٢٣٨.

٥٨- المرجع السابق، ص ٢٣٩.

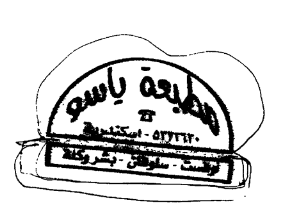
محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله

من إصدارات المكتبة التربوية

- التربية البيئية — د. إبراهيم عصمت مطاوع
- التربية والنظام السياسى — د. شبل بدران
- سياسة التعليم فى الوطن العربى — د. شبل بدران
- كما يكون المجتمع تكون التربية — د. شبل بدران
- التعليم والتحديث — د. شبل بدران
- علم الاجتماع التربوى — د. عبد السميع سيد أحمد
- نحو فلسفة تربوية لبناء الإنسان العربى — د. عبد الفتاح إبراهيم تركى
- التربية عند هيجل — د. عبد الفتاح الديدى، د. عصام الدين هلال
- اقتصاديات التربية — ج. ب. اتكنسون. ترجمة: عبد الرحمن بن أحمد صائغ
- التعليم والتنمية — د. شبل بدران
- طرق تدريس اللغة العربية — د. زكريا اسماعيل
- المناهج الدراسية — د. محمود أبو زيد، د. أسماء محمود غانم
- أسس التربية — د. أحمد فاروق محفوظ، د. شبل بدران
- التربية المقارنة. دراسات فى نظم التعليم — د. شبل بدران



مطبعة ياسو

هذا الكتاب

إن مرحلة الطفولة تعد من أهل مراحل الحياة ، إن لم تكن أهمها جميعا . ففى هذه المرحلة تعرس البذور الأولى للشخصية ، وتتشكل العادات والاتجاهات، وتنمو الميول والاستعدادات ، وقد أدركت الأمم المتحضرة فى عصرنا الحديث ما للطفولة من أثر ، فأولت كل أمة أطفالها ورعايتها وعنايتها ، وأدرجت لهم أكبر نسبة من المنفق فى ميزانيتها ، ووضعت لهم المناهج العلمية والتربوية والصحية والترفيهية ، وبذلت فى سبيلها مابذلت ، وأصبح معيار الحضارة بين الشعوب هو مقدار اهتمام كل شعب بأطفاله .

إذا كان مستوى الدول يقاس بحجم الخدمات التى تقدم للطفولة ، فإننا فى مصر أحوج ما نكون لبلوغ غاية مقبولة فى ذلك المجال ، فإن احتياجات الطفولة لها أولوية مصيرية ، حيث أن التعامل مع قضايا الطفولة ومتطلبات تربية الطفل المصرى ورعايته يعتبر من قضايا المستقبل المأمول ، ويجب أن يكون لدينا نموذج قادر وفعال للمجتمع فى مواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين ، مما يقتضى وضع إطار شامل مركب يحدد المبادىء والأهداف والمجالات والأولويات وأساليب العمل وإجراءاته . التى تلبى مطالب الطفولة وكذلك مواجهة تحديات المستقبل فى هذا المجال . هذا ويجب توفير القاعدة المعلوماتية المتعلقة بالطفولة وبمتغيراتها وعناصرها، حيث تمتد إلى تحليلها ، ويجب أن تتجاوز مجرد رصد الواقع إلى تقدير المتوقع واستشراف المستقبل .

ويعتبر هذا الكتاب إثراء للحركة التربوية لما يقدمه من أساليب تربوية معاصرة فى تربية الطفل ، وفى مقدمتها التربية الأخلاقية ، والتربية الابتكارية ، والتربية الابداعية ، وغير ذلك من المستحدثات التربوية التى تواكب التقدم المطرد فى هذا الشأن .

الناشر

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير . الأزاريطة . الاسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣